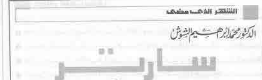
الدوحة



في وادي حضرموت
بديل
جديد
للطاقة
الرجل
والنملة
ليوسف ادريس
اينشتين على المائدة



- هل كان يؤمن بما يقول .. أم كان يستثير عطف الجماهير ويستغل التهاب مشاعرها ؟

في منتصف الشهر الذي مضى ، وبالتحديد في يوم الثلاثاء الخامس عشر من ابريل (نيسان) عام ١٩٨٠ ، توقف ـ الى نوبة حادة ـ قلب واحد من اشهر الاسماء المعاصرة واغزرهم انتاجا ، واعلاهم صيتا ، واعمقهم تأثيرا فكريا وادبيا وسياسيا وفلسفيا ، وكثرهم اثارة للجدل والمعارك . جان بول سارتر الفيلسوف الوجودي الفرنسي والروائي والكاتب المسرحي والناقد الادبي والمحلل السياسي والصحفي والناشر ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين .

وبالرغم من إختلافنا الجذري معه في الكثير مما يدين به فكريا وعقائديا واسلوب حياة ، وبالرغم من امتعاضنا من كثير من مواقفه المتناقضة المضطربة المتذبذبة والمتطرفة من قضايا العصر السياسية ، وبالرغم مما يصيب وجدانه الاخلاقي من عطب احيانا في الحكم جعلته يقف في خضم نشاطه السياسي المنفعل موقف المدافع والمبرر للتطهير والقهر الستاليني ، ومعسكرات العمل الاجباري في صقيع سيبيريا ، وواقع الاحتلال الصهيوني ، وبالرغم من فقدانه الكثير من مواقعه الفكرية والسياسية والادبية في سني عمره الاخيرة ، وبالرغم من انه هو نفسه قد تخلى عن كثير مما شغل به نفسه وشغل به الناس عبر اعوام طويلة ، وبرغم ميله الاستعراضي الذي جعله قبلة السواح يهرعون اليه من العالم القديم والحديث والغني والنائم والمتقدم بآلات تصويرهم معلقة على اكتافهم ، يجوبون مقاهي الشاطئ الغربي في مونبارناس وسان جيرمان دي بري ، لإلقاء نظرة عليه ، وجعل جوقات الفلسفة ذوي اللحى من الشباب العاطلين المتبطلين ، المولة دماؤهم بعقاقير الهوس والجنون يتحلقون حوله اينما يذهب ويتخذونه اماما يروجون عنه الفاظا لا يعرفون لها معنى كالعبثية واللاانتمائية والوجودية والذات والإستلاب ، ويرددون عنه مفاهيم حولوها الى شعارات سوقية مثل البرجوازية المتعفنة ، والحياة لا جدوى منها ، والآخرون هم الجحيم ، وحولت الوجودية من مذهب فكري مغلق التركيب الى موضوع اجتماعي للموكة الاكثر في حفلات الكوكتيل وحانات باريس ، ويتشدق به المتسوقون في المجتمع الباريسي وهن ينفثن دخان سجائرهن من مباسمهن الذهبية الطويلة .

برغم كل ذلك وربما بسبب بعض ذلك سيظل جان بول سارتر معلما فكريا بارزا من معالم القرن العشرين لا يمكن تجاهله او الغض من اهميته لإن تجاهل تأثيره هو تجاهل لخطره ايضا كما ان حضوره الفكري هو حضور واقع بالفعل لا منة او تشريفا نسبغه عليه من عقدنا البعيد هذا ونحرمه منه إن اختلفنا معه .

وما كان المئات من قادة الفكر وارباب القلم الذين هرعوا بلا اعلان ودون دعوة الى تشييع جثمانه ، وساروا وراء نعشه وهو يجوب شوارع باريس لساعات طويلة ليستقر في مثواه في مونبارناس من حوارية او مريديه بل كان اغلبهم ممن ناصبه العداء ، وخالفه الرأي ، وما كان الآلاف الذين انضموا الى الموكب بصورة عفوية من اتباع فكره او مؤيديه بل ربما لم يقرأ جلهم سطرا واحدا مما كتب ، ولم يستوعبوا الكثير مما اتيح لهم الاطلاع عليه من اعماله . ولكنهم جميعا كانوا يرون فيه منارة فكرية وإن لم يستضيئوا بنورها .

هل ايقظنا فرنسا

قال عنه شارل ديجول وهنا في اوج الخصومة والعداء ، رافضا فكرة اعتقاله من اجل موقفه المعادي للحكومة

- كان الشهر [illegible] العشر [illegible] أعلام [illegible] إثارة للجدل [illegible]
- حين [illegible] الوجودية [illegible]
- كان [illegible] الأخلاق [illegible] القهر والاحتلال
- [illegible]

الفرنسية بسبب موقفها من الثورة الجزائرية ، إنه أيضا يمثل فرنسا » .

والرئيس الفرنسي جيسكار ديستان والذي ظل هدف تهجم سارتر وسخريته ونقده اللاذع قال حين تلقى نبأ وفاة الفيلسوف المشاكس في لغة عاطفية ما عرفت عن الرئيس الفرنسي : « إنني كطالب شاب لمؤلفاته اثناء الحرب العالمية الثانية ، وبعد فترة التحرير اشعر بأن اختفاءه هو بمثابة خمود انوار الفكر الوقاد في عصرنا ، ففي ادراكه للتطور [illegible] للانسان تجاوب بمقتضى ذهني واريحية نفسية ربما تكون قد عبّرت عن نفسها بشيء من الحدة والتعصب والتعسف احيانا ، ولكنها كانت صادقة مع نفسها لفترة محددة ، وبرغم رفضها لكل التصانيف والقوالب الفكرية ، [illegible] الطبع والهوية » .

[illegible] الفرنسي ريمون ارون خصم الجرحي [illegible] بأنه من أعظم فلاسفة العصر . ووصفته مجلة (النيوزويك) الامريكية في عددها الصادر في ٢٨ ابريل (نيسان) الماضي إنه اعظم المفكرين شهرة في عصرنا هذا ، ووصفته مجلة (تايم) الصادرة في نفس التاريخ بأنه كان - خلافا لما عهد في الفلاسفة - يملك اسلوبا سلسا رشيقا يحيل اكثر المفاهيم الفلسفية تعقيدا الى فكرة درامية واضحة . وبذلك اصبح سارتر فيلسوفا مؤثرا على جماهير عريضة في فترة من التاريخ لم يعد للفلاسفة تأثير على اي انسان . وقالت صحيفة (التايمز) اللندنية عقب وفاة سارتر في عددها الصادر في ١٧ ابريل ١٩٨٠ بأن وفاته تعني اختفاء واحد من ابرز وانبغ الكتاب في مسرح الادب والفلسفة والسياسة ، واقول نجم واحد من اكثر الفلاسفة المعاصرين اصالة في التفكير حملته ان يجمع في محاولة فكرية جريئة بين آراء ماركس وفرويد وهسيرل وهيدجر وماو وماركوز في اطار فكري منسجم ومتكامل ، وان يؤثر بصورة مباشرة وجادة اكثر من اي مفكر غربي معاصر - في تفكير معاصريه واتجاهاتهم . كما وصفته بأنه فرنسي في اتقاد عاطفته وميله للفكر المجرد ، اوربي باتساع اهتماماته الشاملة لكل مناحي الفكر الغربي الاوربي قديمه وحديثه ، عالمي بتأثيره الفكري العام ، وبما اثاره من اهتمام بمشاكل العالم ، واحاطة بتعقيدات العصر ، بصورة تجعل من المستحيل على اي كاتب مسرحي او روائي او فيلسوف او عالم نفس او مفكر سياسي ، في اي مكان في العالم ، ان



[illegible] وافقة سارتر

سارتر في [illegible] ١٩٤٦

سارتر
طالب الفلسفة عام ١٩٢٤

سارتر في سن [illegible] مع والدته

- قال عنه ديجول : إنه أيضا يمثل فرنسا ، ووصفه ديستان بانه فرنسي الطابع والمزاج
- فرنسي في انتقاد عاطفته ، اوروبي باقتناع اهتماماته ، عالمي بمنشوره الفكري العام
- كان يريد لصوته أن يصل إلى مدى لا تستمع له غرفة الطابعة والدرس
- حين يترك الإنسان للآخرين تحديد ماهيته يتخلى عن مسئوليته تجاه نفسه

يتحقق له إدراك حقيقي لمشكلات العصر دون أن يأخذ آراء سارتر في الاعتبار . ووصفته صحيفة (الايكونومست) في عددها الصادر في ١٩ ابريل ١٩٨٠ بانه واحد من اقدم واشجع المناكفين والمشاكسين في مجالات الفكر والادب والسياسة

مفتاح شخصيته

ولا شك ان وقتا طويلا سيمر قبل ان تنتهي محاولات التنقيب في مكامن هذه الشخصية المتناقضة المعقدة ، المتشابكة الاهتمامات ، المتغيرة الاتجاهات والغريبة الاطوار . وربما كان مفتاح هذه الشخصية يكمن في المؤثرات الاولى المكونة لحياته وطفولته والتي تناولها في تفصيل معجز في سيرة حياته في كتابه (كلمات) الذي اصدره في عام ١٩٦٤ . ولكن ذلك لا يكشف إلا جانبه وهو دون العالم الذي عرفوه محكوما بحكمة السن المتقدمة ، وتفسيرات الكهولة الواهمة .

والذي يعرفه الناس من تفاصيل حياته انه ولد في باريس في ٢١ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٥ من ابوين مختلفين في الجنسية والمعتقد الديني . ويقولون ان هذا المزيج المختلط قد اكسبه كما اكسب اندرية جيد قبله عنصر التطرف في حياته .

وعندما بلغ الثانية من عمره توفي والده الفرنسي الجنسية يقول في ذلك حين يستولي عليه الصوت المريف ، ويتقمص شخصية البهلوان الفكري وعينه على جمهوره : «لقد كانت وفاة والدي وانا في هذه السن المبكرة ضربة حظ بالنسبة لي فقد ابعدت عن حياتي شبح ذاتية طاغية مهيمنة كان يمكن ان تفرض على ذاتي الخاصة كيانا ودورا ليس لهما لم تختاره بمحض ارادتها» . فإلى ذلك تحت تأثير فكرته عن الحرية الفردية المطلقة في الاختيار ، وما أكثر ما كانت تقوده الافكار المجردة الى القول المفتعل

بين الادب والفلسفة

بعد وفاة والده عاش مع والدته الالمانية الاصل (آن ماري شفايتزر) ابنة عم الطبيب المفكر الشهير (ألبير شفايتزر) وتأثر بجده لامه (كارل شفايتزر) استاذ اللغويات . هذه الصلة العضوية بالثقافة الالمانية بالاضافة الى اتقان اللغة الالمانية، ربما كانت من الاسباب التي جعلته يتجه الى الفلسفة الالمانية ينهل منها ويقتدي بها . فبعد حصوله على الشهادة الجامعية في الفلسفة والتدريس لبعض الوقت امضى عاما دراسيا في المدرسة الفرنسية في برلين بين عامي ١٩٣٣ و ١٩٣٤ . ومكنته لغته الالمانية من استيعاب فلسفات هيدجر وجاسبر وهوسيرل . ولقد كان المزج بين فلسفة هؤلاء الثلاثة ، بالاضافة الى ارائه الخاصة ، ومفاهيمه حول الحرية والمسؤولية هي التي كونت مجمل فلسفته الوجودية التي اكتسبت شهرة لا نظير لها في الاربعينات والخمسينات ، ربما لانه عمد الى أطر ادبية عدا المؤلفات الفلسفية المباشرة في حمل آرائه الى الجمهور .

فلم يكن سارتر مطمحه ميالا الى الانغلاق في برج الاكاديمية المرتفع ، إذ لم يحاول ابدا ان يحصل على اجازة الدكتوراه مطلقا ، ولم يسع ليكون استاذا جامعيا . كان يحب ان يصل صوته الى جماهير واسعة لا تتسع لها غرف المطالعة والدرس . فبالاضافة الى مؤلفاته الخمسة الجوهرية ، طرح سارتر آراءه الفلسفية هذه في تسع مسرحيات واربع روايات .

فالى جانب اعماله الفلسفية كالمتخيل ١٩٣٩ والكينونة والعدم ١٩٤٣ حملت آراءه بصورة اكثر فعالية واشد تأثيرا عدد من الروايات والقصص القصيرة اهمها : (الغثيان) ١٩٢٨ و (الجدار) ١٩٣٩ والمسرحيات مثل (الذباب) ١٩٤٣ و (جلسة سرية) ١٩٤٤ و (الأيدي القذرة) ١٩٤٨ . وكتب النقد الادبي مثل (بودلير) ١٩٤٦ . و (القديس جينيه كوميديا وشهيدا) وسيناريو فيلم مثل (تحت اللعبة) ١٩٤٧ ، وكتيبات جماهيرية مثل (الوجودية نزعة انسانية) ١٩٤٦ ، الى جانب مجموعة من المقالات الصحفية المبسطة التي كان يكتبها لمجلته الشهرية (الازمنة الحديثة) التي انشأها في عام ١٩٤٥ . وكذلك مقالاته الادبية التي كان يكتبها في الفترة بين ١٩٤٧ ـ ١٩٧٢ وضمنها الاجزاء التسعة من (مواقف) . كان في كل هذه الاعمال يهدف الى التوجيه والدعوة لفلسفته . فقد كانت هذه في نظره هي رسالة الأدب لا رسالة له غيرها .

موقف فكري

وبرغم تعدد اهتمامات سارتر الفكرية والادبية والسياسية كما سنرى فقد عرف واشتهر اساسا كمفكر وجودي . والوجودية لفظ شائع ، وربما كان من الصعب تحديده تحديدا

- لا شيء يضمن لنا النجاح ولا شيء يمكن أن يقنعنا بحتمية الفشل
- الغثيان التي كشف فيها سارتر عن أهم معتقداته ورؤيته الفلسفية

قاطعا لكثرة ما تحمل من تعريف وتحريف . وهو يطلق على موقف فكري كما يطلق على حركة فكرية محددة في أوساط عدد من المفكرين الأوربيين . ولم يكن سارتر برغم ما حظي به من شهرة كفيلسوف الوجودية ، هو مبتدع الفكرة أو الاسم بل بدين للفكرة لعدد من الفلاسفة الألمان وبخاصة مارتن هيدجر، ويذهب البعض الى حد نفي اي قدر من الاصالة في آراء سارتر الوجودية ، وقيل انه كان ينقلها حرفيا من الفلاسفة الألمان ومن ياسبرز على وجه الخصوص بعد أن يصوغها بأسلوبه الخاص .

وأهمية الوجودية فكريا انها تقلب المفهوم الأساسي الذي ظل يسيطر على الفكر الفلسفي منذ افلاطون والذي يقول بأن الانسانية هي جوهر الانسان ، لتصل الى معادلة بسيطة مؤداها ان الوجود يسبق الجوهر اي بمعنى آخر (ان تعريف ذاتك يتحدد بما تفعل) فالوجودية هي اذن في أبسط معانيها محاولة ايجاد معنى للاشياء من داخلها لا من خارجها .

وربما لم يكن سارتر مبتدع الافكار التي شاع نسبتها له بل ربما لم يكن يؤمن بها أصلا كما اعترف بمعظم ذلك في أواخر حياته ، ولكنه قطعا هو الذي فتح أبوابها المغلقة للجماهير الواسعة ، وهو الذي منح كيانها المجرد لحما ودما وجعل منها برنامج عمل .

الحرية والمسؤولية

وتلخص الفكرة الوجودية كما برزت في كتابه (الكينونة والعدم) ١٩٤٣ ، انه ليست هناك طبيعة تحدد ماهية الانسان وهويته ومساره ، وبالتالي فان الانسان هو وحده الذي يتحمل مسؤولية تحديد ذاته بنفسه ـ وهو يفعل ذلك في كل لحظة عن طريق اختيار فعله بحرية كاملة . فالجبان هو الذي يجعل نفسه جبانا لأنه يختار بمحض ارادته أن يقوم بعمل جبان ، والبطل هو الذي يجعل من نفسه بطلا لأنه وبمحض إرادته يختار أن يقوم بعمل بطولي . وهو يقر بان الاختيار او اتخاذ القرار إنما يتم في اطار وضع ما . ولكن الوضع نفسه يمكن ان يتغير بقرار ، وبالتالي يصبح هو نفسه جزءا من مسؤولية صانع القرار . هذا الاختيار هو الذي يعطي القيمة للفعل ، وأي شيء لا ينفذ عمليا ولا يتضمن اي فعل هو شيء لا قيمة له وبالتالي يؤكد سارتر بان الانسان لا يستطيع ان يحدد ذاتيته عن طريق احلام لم تتحقق او آمال خائبة او توقعات فاشلة فالانسان حين يلقي اللوم على غيره إنما يتهرب من المسؤولية ويرتكب عملا مشينا وغير امين ، يسميه سارتر سوء الطوية ، وكذلك يتخلى عن مسؤوليته تجاه نفسه من يترك شيئا ما خارجه أكان ذلك زوجا او عموا او مجتمعا يحدد له شخصيته

فانه حينئذ يصبح آلة لا إنسانا ، وهذا يمثل اللعنة الحقيقية التي اصابت شخصيات روايته الرباعية (دروب الحرية) ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ وكذلك شخصيات اشهر مسرحياته (لا مخـــرج) ١٩٤٤ ، والذين يدركون فجأة ان الجحيم هو الآخرون .

يقول في (صورة ذاتية في السبعين) :

« ... إن التغيير القادم سيكون مختلفا عما سبقه ، سيكون مستمرا ودائما وسيكون اكثر صرامة . سيكون هناك تقدم وتقهقر ونجاح ونكسات حتى يبرز في النهاية مجتمع جديد يستغني عن كل أوجه السلطة والنفوذ الخارجي لأن كل فرد فيه يملك السلطة الكاملة على نفسه .. لا شيء يضمن لنا النجاح ، ولا شيء يمكن ان يقنعنا بحتمية الفشل ... »

ولما كانت الحياة هي سلسلة من الاختيارات المستمرة فهي متجددة دوما يمحو الحاضر فيها الماضي ويلغي المستقبل الحاضر . ويتصل بهذا الاطار الفردي المطلق تكامل ارتباط الحالة الانسانية ارتباطا لافكاك منه بحالة من ... والقلق والتشاؤم والاحساس بعبثية الوجود ولا جدوى الحياة .

وقد وجدت هذه الاحاسيس طريقها في كثير من أعماله التي اكتسبت صدى شعبيا كبيرا كرواية « الغثيان » ومسرحية « لا مخرج » ولقد كانت الوجودية تلك تبدو للكثيرين فلسفة سلبية لا ترى للحياة معنى او جدوى ولكن سارتر يخالف ذلك ويدعي انها بعكس ذلك تماما ، تحث الناس للعمل بان تفتح أعينهم على مدى اتساع نطاق حريتهم ومسؤولياتهم تجاه تحديد مصيرهم . ورغم هذا الاحتجاج فلم يكن الوجه المشرق للوجودية ظاهرا للعيان بصورة مقنعة .

• رابطة الأخوة والأسرة المشتركة في الغرب ... [illegible]

• [illegible]

كابوس الحرب

ولم يكن غريبا أن تجد هذه الأفكار القاتمة المتشائمة الغير المضيئة بنور الإيمان صدى واسعا وتقبلا وانتشارا في أوساط الجيل الذي عاش في الثلاثينات في الغرب تحت ظلال جو سياسي كان يتدهور بسرعة مذهلة بعد الانهيار الاقتصادي الذي هز العالم الغربي في عام ١٩٣٠ . فقد كانت الوجودية تتجه الى أولئك الذين كانوا يحسون بمقدم الفجيعة التي تحملها مخالب النازية وهي تلقي بظلالها الكثيفة على أوربا بعد أن فقدوا كل الثقة في الأطر والنظم الأخلاقية والسياسية التقليدية السائدة حينذاك . وكانت الوجودية تتجه أيضا بعد ذلك الى جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية والتي خرجت منها أوربا منهوكة القوى مضعضعة القيم انهارت اكثرها استسلاما وتعاونا مع قوى الباطل ، بما استطاعت أن تصمد أمام رهانية هتلر والشر الشيطاني الذي أطلقه في معظم ... أوربا لا لتستقبل بسلام وإنما لتواجه حربا باردة تخلقها سحابة دمار نووي شهد العالم بعض مظاهره . وبحث عن طريق الخلاص في عصر انهارت فيه القيم وأصبحت كل الأفكار ، كل الأطر التقليدية موضع شك أو تجاوزتها الأحداث . كانت الوجودية تبدو لكثير من هذا الجيل التائه الضائع ملاذا لأنها ترفع المسؤولية عن كاهل مؤسسات لم تعد أصلا موضع الثقة لتضعها في الانسان نفسه وهو الذي يتولى إيجاد المعنى والموقف الأخلاقي الفردي في عالم لا يمنح تفسيرا لماهيات الأشياء في نفسها .

التراجع الفكري

والسؤال الذي سيحدد في النهاية الحكم على سارتر انسانا ومفكرا هو ، ما إذا كان سارتر صادقا مع نفسه فيما كان يدعو إليه ، أم أنه كان ممثلا حصيفا وجد مناخا لأفكار معينة ، فتبناها طلبا للشهرة وحبا للمظهر ؟ وبمعنى آخر : هل كان سارتر يؤمن حقا بما كان يدعو إليه ؟ .

إن ميل سارتر الطبيعي الى التظاهر والتمثيل كان واضحا منذ البداية ، وهذا الميل هو الذي أعطى للوجودية تلك الأطر الشائع الذي لا صلة له بالفلسفة ذاتها وإنما هو مظهر من مظاهر انحلال القيم وتفسخها في المجتمعات الغربية التي كان يمثلها نفر من الشباب ممن أسموا أنفسهم بالشباب الوجودي بشعورهم الطويلة ولحاهم الفارغة في مقاهي سارتر (لي فلير) و (لي دي ماجو) في (سان جيرمان دي بري) وفي مقاهي (الحي اللاتيني) .

سارتر في أول عهده الأدبي ١٩٢٦

وربما لم يكن لسارتر حيلة أو ذنب فيمن كانوا يتحلقون حوله ، أو يتحدثون باسمه وباسم الفلسفة التي يدعو لها ، ربما ؟ ولكن سارتر قد عرّى نفسه تماما في مقابلة أجريت معه في الحريات أيامه لا أعرف لها نظيرا في تاريخ الفكر . وقد أجرى هذه المقابلة (بيني ليفي) أستاذ الفلسفة الذي كان يلازم سارتر بعد أن أصيب بالعمى . وقد جرت المقابلة قبل فترة قصيرة من وفاته . وقد نقلت المقابلة صحيفة (الاوبزيرفر) البريطانية في عددها الصادر في العشرين من ابريل (نيسان) الماضي ١٩٨٠ .

والمثير في هذه المقابلة أن سارتر يتنصل من كل معتقداته والتي تمثل حجر الزاوية في فلسفته الوجودية . كما يعطي لاعتناقه لها ، أو إدعاء اعتناقها ، أسبابا مثيرة ليست بالقطع مما يشرف كاتبا فيلسوفا له صيت سارتر .

فقد أنكر فكرته الأساسية والتي كانت محور مسرحيته (لامخرج) بأن الجحيم هو الآخرون ، بقوله : « إذا كنت قد تخلصت من التشاؤم المطلق المتضمن في هذه الفكرة ، فلأن ذلك يعود في المقام الأول الى أنني أحس في نفسي

● رفض جائزة نوبل لأنه لا يريد أن يكون أداة في ساحة الصراع بين الشرق والغرب

● [illegible]



سارتر المتمرد الستيني عام ١٩٦٨ في مظاهرة عمالية

بحاجات محددة ادرك ايضا انها حاجات كل انسان آخر » .
وهكذا يدرك سارتر حقيقة بديهية هى اساس مجتمعنا الانسانى ، بانه ما من انسان مهما بلغ شأنه يمكن أن يكون جزيرة معزولة . وقد عبّر سارتر عن تغيير موقفه هذا فى سلسلة مقالات اسبوعية كان يكتبها فى السنوات الاخيرة من عمره فى صحيفة (نوفيل اوبزيرفاتير) ،إذ يقول فيلسوف الالتزام الفردى إنه كان مخطئا عندما اعتقد أن الجحيم هو الاخرون .

يقـــول :

« لقد جعلت كل انسان مستقلا اكثر مما ينبغى عن الآخرين من حوله فى نظريتى ولكنى ادرك الآن ان الشيء الوحيد الحقيقى هو ما يربطك بى ويربطنى بك » .

وقد كشف فى مقابلته مع (ليفي) انه وان كان يقف مهاجما كل قيم المجتمع البرجوازى إلا انه كان فى حقيقة نفسه يتوق الى كثير من هذه القيم الخلقية البرجوازية كالأمل وعلاقات الإخوة وارتباط الاسرة والديمقراطية . فقد اعلن فى شيخوخته عن اقتناعه بأن اليسار لم يعد موجودا وأن الطريق الديمقراطى هو الذى يجب أن يسود باعتباره اسلم الطرق التى يجب أن يعيش فى ظلها الانسان . بل ذهب به الحنين الرومانسى الى ذلك العالم ذى الكيان الاجتماعى البدائى البسيط غير المعقد ، والذى يقوم على روابط الاسرة والعشيرة . يقـــول :

« فى الماضى كانت الوحدة الاساسية هى العشيرة المتحدة العقيدة والهدف والاسلوب وكانت العلاقات السائدة هى علاقة الاخوة والمحبة . وهذا هو الذى يجب أن نبحث عنه ونحققه فى مجتمعنا الآن » .

ولا تكمن الغرابة فى التغيير الذى طرأ على فكره فى بعض القضايا الجوهرية ، فذلك امر طبيعى . ولكن الغريب هى الاسباب التى ساقها لهذا التغيير . فهو يؤكد انه لم يغير افكاره بل هو اصلا لم يكن يعتنق ما كان يدعو له ، وانما فعل ذلك لأن تلك كانت بدعة العصر والنمط السائد . فهو يقول بأن هذه المفاهيم لم تنبع من داخله ولم تعبر عن احاسيسه الداخلية ، ولكنها كانت مجرد موجة فكرية ركبها تظاهرا وحبا للشهرة . فقد ذكر (ليفي) فى المقابلة بأنه ــ أى سارتر كان قد اعترف بأن حديثه عن اليأس كان عابرا وكان يمثل موقفا سطحيا ، لأن الحديث عن اليأس كان حينذاك شائعا فى الاوساط الثقافية وكان بدعة العصر ، فأمن سارتر على ذلك بل ذهب الى القول بأنه شخصيا لم يجرب اليأس مطلقا ، ولم يتخيل أن يكون لليأس ــ بأية درجة مهما كانت طفيفة ــ أى تأثير عليه ، وانه انما فعل ذلك بتأثير (كيركغارد) السائد حينذاك . وأضاف سارتر :

« كان ذلك هو نمط التفكير فى ذلك العصر . ولقد احسست أن هنالك شيئا مفقودا فى ادراكى وفهمى الذاتى لنفسى . وهى التى جعلتنى لا احس بهذا اليأس الذى يتحدثون عنه » .

● انصرف عنه الشباب والطلاب والعمال، ثم أصيب بالعمى فاكتشف عزلته

● حين قال سارتر: الجحيم الآخرون فقد صنع الشعار الوحيد الوجودي

وفي محاولته لإيجاد تبرير لهذا الانسياق، يقول:

" ... وقد لاحظت هذه الظاهرة بالنسبة للكثيرين من الفلاسفة. فقد تشغلهم فكرة الشيخوخة ومشكلتها عن الآخرين حولهم في المرحلة الأولى من تكوين فلسفتهم، ويمنحونها حيزا كبيرا في كتاباتهم ثم يتخلون عنها تدريجيا حين يدركون أن الموضوع لا وجود حقيقي له بالنسبة لهم، وإنما التقطوه من الآخرين. فأنا شخصيا لم أعرف القلق مثلا، ولكن القلق كان المحور الرئيسي للفلسفة بين عامي ١٩٣٠ ــ ١٩٤٠ وقد نمت الفكرة من هيدجر. وقد يستعير الإنسان هذه المواقف ولكنها لا تعني شيئا بالنسبة لي ..

حتى المواقف السياسية بالنسبة له مجرد تكتيك ومحاولة لكسب جماهير عمياء أصلا. سئل مثلا عن تأييده لبعض العناصر المتطرفة فلم يقل إنه يؤمن بمبادئهم أو يؤيدها، ولم يقصد إلى الدفاع عن مواقف هذه الجماعات التي ساندها بلا قواد بل أعطانا سببا غريبا:

لم أكن أعتقد أنني سأغير العالم وحدي عن طريق الفكر. لقد أدركت أن هناك حاجة ملحة لإيجاد مستقبل للمجتمع. ولقد أحسست بوجود قوى اجتماعية تحاول ... وقررت أن يكون موقعي في وسطها. ... مجموعة من الناس. لأن الإنسان وحده ... وحدات منعزلة متفرقة ــ لا يستطيع أن ... المجتمع وبقوضه. يجب أن يبدأ الإنسان مع مجموعة من الناس ... القدرة والاستعداد للنضال ..

كل شيء، كل إحساس عبّر عنه كان يأتيه من الخارج لا ينبع من الداخل. حتى شيخوخته لا يحس بها إلا في عيون الآخرين. فعندما سأله (ليفي) إن كانت الشيخوخة قد غيرت من مفاهيمه لا أجاب بالنفي، موضحا ذلك بقوله:

" إنني أفهم بمراقبتي للآخرين ما تعنيه الشيخوخة لأولئك الذين ينظرون إليها من الخارج. وبالنسبة لي فإنني لا أحس بتقدم العمر ولهذا فإن شيخوختي ــ والتي لا وجود لها بالنسبة لي ــ لا يمكن أن تعلمني شيئا. ولكن الذي يعلمني هو نظرة الآخرين لي وموقفهم مني. وهكذا فإن شيخوختي هي الآخرون ".

الالتزام السياسي

ولما كان الإطار الفلسفي لا يمنحه ذلك المد الجماهيري الواسع الذي تفوق إليه نفسه المسرحية الهوى، فقد أخذ الفكر سارتر يتجه بصورة متزايدة في الخمسينات نحو العمل السياسي النشط. ومن ناحية أخرى كان سارتر يؤمن أنه لا يمكن الفصل بين الحياة الفكرية والعمل العام. ويرى أن الجمع بينهما يشكل التزاما أخلاقيا. وقد عبر عن هذه الفكرة في كتابه «ما هو الأدب؟» الذي أصدره في عام ١٩٤٤. وهكذا تميز الجزء الأخير من حياة سارتر بالانغماس الكلي في المسائل السياسية، وربما كانت بذور هذا التحول قد بدأت مع

٣ يونيو ١٩٧٩ مع (زميله العتيق) ريمون آرون



الاحتلال النازي لفرنسا حينما تعرض للاعتقال في عام ١٩٤٠ ثم أطلق سراحه في عام ١٩٤١ حيث بدأ يكتب سرا في صحف المقاومة. وقد كتب في هذه الفترة مسرحيته (الذباب) عام ١٩٤٣ وبالرغم من أنها تعتبر ظاهريا إعادة صياغة (مأساة إلكترا) إلا أنها كانت تحمل مغزى سياسيا يؤكد بأن أي عمل من أعمال المقاومة ضد الاحتلال النازي، حتى وإن تضمن ارتكاب جريمة قتل، هو عمل مُبرّر في طريق النضال من أجل الحرية. وقد أدركت قوات الاحتلال مغزى المسرحية فأمرت بمصادرتها.

بيد أن تحوله إلى الميدان السياسي قد برز بوضوح كما اتضح موقفه السياسي العام في أوائل الخمسينات، حين نشر روايته (الشيطان) ١٩٥١، وانفصل فكريا عن صديقه وزميله ألبير كامو، بسبب هجوم الأخير على الشيوعية والقهر الستاليني في (الإنسان الثائر) الذي نشره عام ١٩٥١، وخاصم لنفس الأسباب صديقه الآخر وزميل دراسته موريس مارلو بونتي.

ولم يكن غريبا أن يكون خطه السياسي العام، متمشيا مع مناخ العصر وروحه، ومع تكوين شخصيته الميالة إلى الاستعراض والتطرف وابتداع التقليعات والبدع، تمجيد اليسار وتبرير أعمال المعسكر الاشتراكي، وبالتالي معارضة أمريكا وحكومات الدول الغربية معارضة مبدئية، والهجوم المنظم والمستمر والثابت على كل مُسلّمات الطبقة البرجوازية المتوسطة وقيمها وأسلوب حياتها، والتي كان يراها من أشد أعداء الحرية والأمانة الخلقية.

وكما كانت مبادئ الوجودية من قلق ويأس ولا جدوى وتغريب هي بدعة العصر المحببة، كانت كذلك هذه المواقف السياسية بدعة العصر ولعبته السياسية المفضلة. وتغيير المواقف المشرقة التي هي سمة المثقف إن تحدث أو كتب أو





خطف . ولم يكن سارتر من الذين يمكن ان تغيب عن حديثهم الجماهيري حلاوة الحكم على الدنيا وعلى الاشياء في هذا المنطلق الديماجوجي الذي يبسط الاشياء والامور، والذي يستهوي قلوب الشباب ويشعل خيالهم .

وإذا كان المناخ الفكري في انجلترا في الثلاثينات قد سار في هذا الاتجاه ، وجذب نحوه رجالا مثل (ستيفن سبندر) و (اودن) ، فقد كان لهم عذرهم انهم كانوا يعيشون تحت ظل تهديد نازي ، ولم تتكشف لهم بعد حملات التطهير ومعسكرات العمل ، لكن سارتر وهو يسير في نفس الاتجاه في الخمسينات لم يكن له من عذر،كان يعرف. وكان يعض الطرف وكان يبحث عن التبرير ، قال عن ذلك العنف الذي رفض ان يدينه : ... انه لا يعدو ان يكون مرضا عارضا كالذي يصيب الاطفال عادة ثم يتجاوزونه .

وفي غمرة هذا الحماس المتدفق عاد من الاتحاد السوفيتي بعد رحلة رسمية قصيرة في عام ١٩٥٤ ليعلن في صحيفة جماهيرية مسائية بأن الاتحاد السوفيتي هو البلد الذي يتمتع بالحرية المطلقة،وهو القول الذي تبرأ منه في اخريات حياته حين قال في مقابلته مع (ليفي) انني احسست بقلق انذاك او ربما خدعت نفسي عن ابريء النار .

ولم يفته في تلك السنوات ان يمدح ثورة الصين في عام ١٩٥٥ وثورة كوبا في عام ١٩٥٩ . لكن ضغط الاحداث السياسية وخيبة الامل كانت اقوى من تبريراته وتعاطفه ومن هنا اضطر الى شجب الغزو السوفيتي للمجر في عام ١٩٥٦ ولبراغ في اغسطس ١٩٦٨ ، ولافغانستان عام ١٩٧٩ ، حتى انه كان اكثر تصلبا من الحكومة الفرنسية نفسها إذ ايد بكل قواه دعوة الولايات المتحدة الامريكية لمقاطعة دورة موسكو للالعاب الاولمبية . بل ذهب به الحنق في عام ٦٨ حين غزا الاتحاد السوفيتي تشيكوسلوفاكيا الى القول بان الاتحاد السوفيتي قد اصبح العدو الاكبر للاشتراكية وان على شعوب اوربا الشرقية واجب المقاومة بكل ما اتوا من قــوة .

ولقد شهدت الستينات ظهور اهم اعماله الفلسفية السياسية وهو كتاب « نقد العقل الجدلي » الذي صدر عام ١٩٦٠ ، والذي حاول فيه ان يمزج بين الوجودية والماركسية . كما شهدت مواقف سياسية علنية ودرامية ارتبطت بسارتر . ففي عام ١٩٦٠ كان من اشد المعارضين للحكومة الفرنسية في محاولاتها قمع الثورة الجزائرية ، وكان يدين اساليب القهر والتعذيب التي كان يمارسها الجيش الفرنسي في الجزائر معرضا نفسه لمحنة الاعتقال ، ولكن ديجول رفض ان يمنحه هذا الشرف .

وفي عام ١٩٦٤ وقف موقفا مشهودا حين رفض جائزة نوبل للآداب باعتبارها تمثل نمطا من التفكير والممارسة البرجوازية التي يبغضها ، وهو نفس السبب الذي جعله يرفض من قبل وسام الشرف الذي منح له في عام ١٩٤٤ على اثر تحرير فرنسا . كما رفض ان يعرض ايا من اعماله للتقويم من قبل اية هيئة تحكيم لمنح جوائز ، وهو التقليد الذي كان سائدا في الوسط الادبي في فرنسا . ولقد كان التبرير الذي اعطاه لهذا الرفض انه لا يريد ان يكون اداة في ساحة الصراع الثقافي بين الشرق والغرب،وقال بان الكاتب يجب ان يرفض ان يحوله الآخرون الى مؤسسة .

وفي عام ١٩٦٥ سجل اول اعتراضاته ضد سياسة امريكا في فيتنام وذلك برفضه العلني للدعوة التي وجهتها له جامعة (كورنيل) بالولايات المتحدة لالقاء محاضرات فيها ، وعلى مدى السنوات الثلاث التي تلت ذلك ظل موضوع (فيتنام) بالذات شغله الشاغل . ففي سنة ١٩٦٦ قبل دعوة برتراند رسل لعضوية (هيئة المحاكمة الصورية لجرائم الحرب الامريكية في فيتنام) التي عقدت في (استكهولم) . ولقد لعب دورا بارزا ورئيسيا في هذه المظاهرة الاعلامية الكبرى التي انتهت بادانة امريكا بارتكاب حرب إبادة في فيتنام . وحتى لا تخبو هذه الاضواء الكاشفة لحظة واحدة ، اعلن سارتر فوق ذلك وفي نهاية الجلسة الاخيرة بتطرفه المعهود ان جرائم امريكا ضد الفيتناميين شبيهة بجرائم النازية ضد اليهود .

التطرف والعزلة

ولقد كانت احداث الحركة الطلابية العنيفة في مايو عام ١٩٦٨ نقطة تحول في تفكير سارتر ونشاطه السياسي ، فقد تضافرت عوامل كثيرة : فشل الحركة،واحساسه بالعزلة عنها، وانصراف الشباب عنه، لتدفعه الى مواقف شديدة التطرف كان اهمها تأييده للحركات الماوية المتطرفة وبعض النشاطات الطلابية،وهجومه المطلق على الثقافة باعتبارها نشاطا برجوازيا لا قيمة له .

كان يحاول عبثا ان يستعيد نضارة الايام الاولى حين كان محط انظار الشباب ، وذلك باتخاذ مواقف سياسية متطرفة لم تزده إلا عزلـة وابتعـادا عـن المجـرى الفكـري العالمي الجاد ، وكان اكثرها جسارة تأييده العلني لاندرياس بادر احد زعماء حركة (بادر ماينهوف) الارهابية المعروفة .

وهكذا بدا سارتر يفقد الحس الذي جعله ينجح في تجميع الشباب من حوله .. وربما كان احد اسباب ذلك هذا التغيير في المناخ الفكري والسياسي العالمي حيث لم تعد شعارات اليسار هي المسيطرة على الوسط الفكري، إلى ذلك التحول الاساسي في فلسفته الوجودية والذي برز في كتابه (نقد العقل الجدلــي) ١٩٦٠ حيث اختفى الانسان الفرد في خضم مجموعات كبيرة ، وهو التحول الذي عبرت عنه (مارى وارنوك) الناقدة الانجليزية بقولها : « .. ان الهدف المطلوب لم يعد فرديا وإنما هو الحرية السياسية .. » .

ولما قامت حركة الطلاب في ١٩٦٨ كان بريق آرائه ومواقفه قد خمد .. ووجد ــ سارتر ــ نفسه ــ بعيدا عن الاحداث لم يأبه





سارتر مع سيمون دي بوفوار .. في عام ١٩٤٨ وفي عام ١٩٧٨

له احد من القائمين بالحركة ، لدرجة انه اضطر الى ان يرسل رسالة الى « دانيال كانديت » احد زعماء الحركة الطلابية ليسأله إذا كان وقته يسمح بزيارته ليوضح له ـ اى لسارتر ـ الابعاد الحقيقية لهذه الحركة الطلابية .

وحتى طبقة العمال التى صرف وقته وجهده للدفاع عنها قد انصرفت عنه بدورها الى حد انه تعرض فى عام ١٩٧٠ لهتاف معاد ومهين من عمال مصنع سيارات (رينو) فى (بيلانكور) حين ذهب اليهم محاولا كما يقول تكوين الصلة بينهم وبين القوى الطلابية .

وفى عام ١٩٧٤ اكتملت مظاهر العزلة المضروبة حوله حين اصيب بالعمى واضطر الى التوقف كلية عن الكتابة يقـــــول :

« ... لقد فقدت بذلك المبرر الوحيد لوجودى » وفى مقابلة صحفية حديثة اجريت معه وصف حياته الحالية بالتفصيل :

« ... انى امشى قليلا ، وتقرأ لى الصحف ، واستمع الى المذياع واحاول متابعة مايجرى على شاشة التليفزيون ، والأمر كلها نشاطات لقتل الوقت ، فقد كان الهدف الوحيد لحياتى ان اكتب ... »

ولقد كان منظرا مالوفا ومحرجا فى الوقت ذاته ان يرى الناس كل يوم أحد رجلا عجوزا هو من اكبر مفكرى العصر فى فرنسا ، رجلا كان ملء السمع والبصر ، وكان الناس يتكالبون على نجوه رؤياه ـ يسير متكئا على ذراعى صديقة عمره سيمون دى بوفوار ليتناول طعام غدائه فى مطعم (لاكوبول) ـ فى (مونبارناس) دون ان يفطن إليه احد او يابه لمرآه احد .

فى المستقبل

وسيظل السؤال قائما .. ماالذى يبقى للمستقبل من تراث سارتر ؟!

ان القضايا التى كانت تحور تفكير سارتر والنظريات التى جهد فى استخلاصها ، لم يكتب لها ان تعمر طويلا بعد السبعينات ، بعضها تخلى عنها صاحبها فى حياته ، وشاهد موتها بعينيه ، وبعضها تجاوزه الزمن وقرمتها الاحداث .. والكثير منها اثبتت الايام خطلها وفسادها .

ولان الوجودية التى رفع لواءها تقوم على اساس فكرى واه ، وفـراغ روحى عقيم ، فلم تكن اكثر من مجرد بدعة عصر مؤقتة ، إنصرفت عنها الجماهير ولفظتها بنفس السرعة التى اقبلت بها عليها ، فما عاد يدين بها اليوم الا نفر قليل يتقلص يوما بعد يوم بعد كان يجهر باعتناقها من يفهمها ومن لا يفهمها ، وقد عبرت عن ذلك ربما فى قسوة (ماری وارنوك) حين قالت فى مستهل عام ١٩٧٠ « ... بان الوجودية لم يعد لها وجود ، وانها قد استقرت نهائيا فى سلة القاذورات » وتوضح بشعور التعالى الذى يحسه البريطانيون تجاه الفرنسيين عادة « ... ان الفرنسيين مغرمون عادة بالأفكار المهووسة ، والمفاهيم المجردة ، وقد وجدوا ضالتهم الآن فى (ليفى ستراوس) فاتخذوه بديلا لسارتر ... »

وسارتر نفسه يحاول فى شيخوخته ان يحكم على هذا الدور المستقبلى حين رد على السؤال الذى طرح عليه ما إذا كان قد حقق الخلاصة التى راودته حين بدا الكتابة يقول :

« اعتقد اننى من الناحية الميتافيزيقية قد فشلت ، اعنى اننى لم استطع ان اخلق اطارا فكريا او ادبيا متكاملا يمكن ان يصمد فى وجه الزمن كما فعل شكسبير او هيغل .... واعنى اننى فشلت بالمقارنة لما كنت اريد ان احققه بالفعل » ثم استطرد :

« ولكن الحقيقة هنا تمدونى العالم كانت عريقة ، فانا بالطبع لست شكسبير ولست هيغل ولكننى قدمت اعمالا صغتها بقدر ما استطعت ، بعضها كان فاشلا ، وبعضها كان دون ما اريد ، وبعضها حقق نجاحا ، وهذا يكفينى ... واعتقد اننى ... العمل الذى قدرت عليه وهذا فى حد ذاته نجاح ... وسيقرر المستقبل خطئى فى كثير من ارائى ، ولكن ... ان يصمد بعض ما توصلت اليه من نتائج لاختبار الزمن »

ربما لا تتحقق امنية سارتر فى ان تصمد افكاره لمنجل الزمن القاتل ، ولكن التاريخ سيذكره لا كمفكر لعصره ، ربما ، ولكن حتما كانسان ـ قد يختلف الناس معه ولكنه كان متوقد العاطفة مهتما ، ومناضلا من اجل ما يؤمن به يعيش وفق ما يؤمن ، لا ينافق ، رافضا ان يكون مجرد متفرج صامت على احداث العصر ، وقد وصف لذلك بانه كان ضمير هذا الجيل ، وربما اعطاه ذلك اكثر مما يستحق ، فقد كان حدسه يخيب كثيرا فى تقويمه لاحداث العصر التى كان يتصدى لها ، كما خاب فى اطار الفلسفة التى شاء ان يعتنقها ، وشكله بلا شك كان مصدر اثارة فكرية موقظة للقوى السلبية فى المجتمع ، ولقد جعلته هذه الاثارة اكثر الناس تعرضا للحب والكراهية فى عصره ، كما كان روسو وفولتير وزولا فى عصرهم ، ولقد شاء ان يتحمل مسئولية ارائه خصاما وعزلة وخيبة امل ، ولم يستسلم لليأس حتى وهو يرى موج الزمن الطاغى يقطى على كثير من ارائه التى كان يدعو لها قال قبل عام ١٩٧٨ :

« اعرف اننى ساموت وانا ملىء بالامل ، اعنى الامل فى حدوث ذلك التغيير الذى سيحقق مجتمعا افضل واكثر عدلا ـ عندما يكون الانسان على علاقة طيبة مع اخيه الانسان » .

د . محمد ابراهيم الشوش

التقدم بين جدلية العقل والأشـ

د. حـافظ الجمالي



كان لنا في أوائل الخمسينات (من هذا القرن طبعاً) أستاذ في السوربون يدرس مادة الفلسفة العامة والمنطق . وهو أستاذ مشهور اسمه بوارييه . وكان من بين الاساتذة المشاهير الذين استمعت الى دروسهم ، وليسوا بقلائل ، الاستاذ الوحيد المتفرد بشيء خاص به : أو بعدة أشياء على الأصح . ومن خصائصه هذه انى كنت استمع الى دروسه . فأشعر كأن هنالك في كل جملة من جمله ، سهمة من الضوء يسقط على وأن جملة مستمعة لاتزيد على أن تكون جملة تسهم مضيئة تلقى على . يضاف الى ذلك أنه الوحيد الذي كنت لاستمع دروسه ، فاذا به ، أحياناً ، يكرر محاضرة سبق لنا أن سمعناها منه في الاسبوع السابق . وكان يمهد لذلك بقوله (أعيد محاضرة الاسبوع الماضي ، استجابة للطلبات الكثيرة التي انهالت على ، حول ضرورة إعادتها ، أو رجاء إعادتها على الأصح .

وفي كثير من المرات ، كنت أستمع منه الى ملاحظة تتكرر ، لاسيما عند المقابلة بين نظريتين متناقضتين في أمر من الأمور فالمعرفة مثلاً هي إما بنت العقل ، وإما بنت التجربة والحقيقة أنها بنت الاثنين معاً ولكن يأتي من يؤكد بالدرجة الاولى على أهمية العقل ويصبح ذلك نظرية (العقليين) . ويأتي بعده ، رداً عليه ، من يؤكد على أهمية التجربة ، فيصبح ذلك نظرية (التجريبيين) . ولكن يظهر بعد التمحيص أن الذى قلل من أهمية التجربة ، قد بالغ ، كما أن الذى قلل من أهمية العقل قد أفرط ، فنعود من ذلك الى نظرية (الحس السليم) التي ترى أن لكل من العقل والتجربة أثره في إنشاء المعرفة . وما النظرية كلها إلا إفراط بدرجة معينة ، في تغليب عامل على آخر ، يفهم منه في النتيجة أن عاملاً واحداً هو كل شيء ، وأن العامل الآخر لا شيء ، مما يؤدي الى ألف صورة من صور سوء التفاهم والجدل الحاد والعقيم معاً .

وكل ما أريد هنا هو القول إن الكثيرين

ـيـــاء

يرون أن التقدم الحضاري منشأ عن الانسان ، وعقله ، وردة الناجح على التحديات المعتدلة القوة (مثل توينبي) ، كما أن كليريس آخرين يرون أن هذا التقدم نتيجة الاشياء الخارجية أو المؤسسات ، او الانظمة ، او القوانين او التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية . وكل من الفريقين يستند إلى نظرية قال بها أحد اللامعين المشهورين . إلا أنه لا يلبث أن يبسطها تبسيطا لا شك أن صاحبها لم يرده كل الارادة . ولكن سيق إليه ، بحكم رد الفعل . فاذا بنا تجاه جدل يتكرر المرة بعد المرة ، والجيل بعد الجيل ، ويحتد عقال و أحيانا يصل الى حد التكفير . فاذا أنت لم تقل بأن التقدم وليد طبيعي للتشكيلة اجتماعية اقتصادية معينة ، فكأنما كفرت بالله ، والحياة بأكله وهدفنا في هذا البحث أن نخوض في هذا الجدل العقيم مع الخائضين ، لا لاننا نرى أية فائدة فيه ، ولكن لانه أمر لابد منه . فبعض النظريات سرعان ما تنقلب إلى دين له الهته ، وطقوسه ، وصلواته ، وعباداته وتسبيحاته ويكون نوعا من الكفر أن لا تقبل به . ولئن هان عليك أن تشعر بعقم الجدل مع المؤمنين به ، فلن يهون عليك ابدا أن ترى هذا الدين يسود ، وتعلو كلمته ، لانك تعرف بالتجربة أن ما فيه من انحراف ، سيؤدي بك الى جهنم ، أو سيجعلك وغيرك من الناس كائنا مسحوقا ، لا قيمة له إلا أنه من التراب وإلى التراب يعود .

قراءة النظرية

واقرأ منذ مدة مقالا في عدد أسبوعي راق لمجلة بيروتية مقالا للدكتور خليل النعيمي بعنوان مثير « الحل ليس في الديمقراطية » وأجد في النهاية اسم الكاتب واختصاصاته وهي حقا جديرة بالاحترام و الحفاوة . فالرجل عضو في الجمعية الجراحية الفرنسية ، وماجيستير في الفلسفة المقارنة . وهكذا جمعت له الامجاد من أطرافها ، فلا العلم ينقصه ، ولا الفلسفة غريبة عنه وبالتالي فان لآرائه التي تذاع على الناس قيمة يجب الا تكون قليلة . وحتى لا يشعر احد بأن ما اقوله في هذا المقال يشيء عن كراهية خاصة للافكار ، او تحسس من نوع ما تجاه الاسلوب ، فان علي أن أعلن أن المقال ، كمقال ، أعجبني وراقني ما فيه من ثقافة ، وفكر ، وقدرة على انتقاء التعابير ، وابتكار مصطلحات وجدتها موفقة ، منها مثلا قوله ذرر المجتمع بمعنى أنه جعله ذرات متناثرة ، أو قوله : لتكن الدولة العربية وطنية ، أو تقدمية ، أو اشتراكية ... إنها ليست بعد إلا مستبدة . وليس التعبير هو الذي يروقني في الجملة الاخيرة ، بل هو الاشارة الى حقيقة ظاهرة ، ولو انصف الرجل اكثر مما فعل لقال : لتكن الدولة ديمقراطية ، أو ديكتاتورية ، تقدمية او رجعية ، اشتراكية او اقطاعية ، إنها ، في كل الاحوال ، لن تكون إلا مستبدة ، في الوضع العربي القائم اليوم .

ويتضح من مطالعة المقال أننا أمام ثلاث أفكار أساسية :

١ ـ أولاها أن العربي مستبد حتى بنفسه ... هذا الاستبداد ... وانه يشعر بالسيطرة ... وانه لم ... الاستبداد بالبعد ... الفرد ... الى الاستبداد ... التي كان يتميز ... الطبقة البورجوازية ... الى الطبقي ... فالصراع ... الطبقات ، فالانتقال ... من المفهوم الطبقي السياسي ... من الصراع السياسي ـ الاجتماعي العميق والمتقوقع في مشروع أدبي ناقل ـ مبني على العاطفة القومية ووقائع التاريخ الثابتة والاخلاق ـ إلى المفهوم الممارس ـ الحركي ـ المتنامي المستند أساسا إلى فاعلية القوى المنتجة ، والنابع من مصلحتها المباشرة .

٢ ـ إن الاستبداد المؤمم والمعمم ... لنفسه بالطبقة المثقفة ، وبالمتعاملين من رجال الدين ، والزامهم جميعا بالتحالف مع النظام والدفاع عنه مما أدى إلى النتيجة نفسها : أي سكونية الأمة ، وركودها ، وانقطاعها عن حركة التقدم .

وبالتالي فان الحل لن يكون بالديموقراطية التي نشأت في أوروبا في ظروف تاريخية خاصة من التطور الاقتصادي ـ الاجتماعي كالثورة الصناعية ، والنهضة العلمية ، والتطور السياسي ، لأن هذه الظروف لن تتكرر في مجتمعنا ، ومن جهة أخرى فان الديمقراطية ... القائمة منشئا لتحقيق العدل ، قد تلاشت الآن ، وحلت محلها دولة البوليس المصطنعة المبنية على القمع المعقلن والمقنن . ولهذا فان الاستبداد الذي يشكو منه العربي ومن استمراريته ، وتجميده لحركة التقدم ، لن يحل بالجري وراء سراب الديمقراطية البورجوازية ، بل بالعمل لانشاء ديمقراطية اجتماعية مباشرة (كاملة) تؤسس فعلا علاقات اجتماعية جديدة غير مبنية على مبدأ السيطرة ، وتحرر حقا طاقات الفرد ، لاسيما وأن كلا الطموحين : الطموح الى تحقيق الديمقراطية البرجوازية والطموح الى تحقيق الديمقراطية الكاملة ، بعيدان على بعد واحد منا ، وليس أحدهما بأسهل منالا من الآخر ، ومادامت القضية قضية ... أو أماني ... أو أحلام مثالية ... أو طوباوية ، فلن يرهقنا أن نطمح إلى أعلى الأعالي ، مادام هذا الطموح لا يكلفنا جهدا أكبر من الجهد الضروري للطموح إلى ما هو أدنى من هذه القصور الاسبانية .

أفكار لا شخصية

هذه هي أفكار الكاتب أنقلها بأمانة ، في ما استطعته من الامانة . ولئن كنت ناقشها ، فليس ذلك لأنها أفكار شخصية أو من بنات أفكار الكاتب ، كما يقولون ، إلا أنها أفكار لا شخصية تنتشر من عقلية معروفة لا يصعب على أحد أن يعرف هويتها ، ومن جهة أخرى ، فانا لا أدعي كذلك أني أرد عليها بتفكير شخصي محض ليس لي منه إلا القليل : أفضل التأليف والجمع على الابتكار ، بل أرد عليها بتفكير سائغ لدى من لا يقبل هذه النظرية ، أو يراها شديدة الافراط في التأكيد على جانب واحد من جوانب الحقيقة ، لا على كل الجوانب ، مما سيعيدنا من جديد الى أفكار (بواريه) الذي يلاحظ أن كل النظريات المتعارضة تسرف في التأكيد على عامل واحد من عوامل الحقيقة ، وتهمل ما عداه ، وان الناقدين سيلاحظون هذا الاسراف من جانب واخر ويعودون من ذلك كله إلى الرأي السليم الذي يعطي لكل عامل حقه ويجب أن ينسوا طبعا أن المؤمنين بأية نظرية يبسون أو يذهلون منها عن جانب (رد الفعل) فيها ، ويبسطونها بأكثر مما أراد أصحابها ، بحيث يتناول الرد والنقاش لا أصحاب النظريات الأوائل أو المبتكرين بالدرجة الأولى ، بل يتناول الأعقين أو المؤمنين بهذه النظريات ، والأقين منها على عنصر أقل دوما مما احتوته في الأصل .

● ● ●

١ ـ وحقا فاني أسأل لم كان العربي مستبدا ؟ ولم استمر هذا الاستبداد كل

● شروط لتحقيق الديمقراطية - هل توافرت في المجتمع العربي ثم لم تتحقق ؟
● التقدم والقضاء على الاستبداد يحتاج إلى ما شئت من الشروط الاقتصادية والاجتماعية

هذه القرون ؟ ولم يتغير شكل الدولة ونظامها ، ودستورها ، ودرجة ما تدعيه من تقدمية ، أو ما تنطوي عليه من رجعية وتبقى مع ذلك مستبدة ؟ إن هذا كله يذكرني بأفكار عبد الله العروي الذي يرى أن الداعين إلى التقدم ظنوا بالتتابع أن الدولة لا تتقدم إلا بعد الاستقلال لا قبله ، وبعد أن تصبح ديمقراطية ، لا قبل ذلك ، ثم أخيرا ، بالتصنيع والانتاج بغض النظر عن أي عامل آخر إلا أن تجاربهم كلها أخفقت .

ولكني أقطع حبل تداعي الأفكار وأتساءل : أيكون العربي مستبدا بالطبع ، لا يتخلى عن استبداده شيء ، مهما تطورت الصور الخارجية للدولة التي يعيش فيها ؟ لا شك أن عهد الاستبداد طال طويلا ، على الرغم من أن التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية ، للدول العربية قد شهدت في الظاهر ، تغيرات عميقة . فهل العربي يحب الاستبداد بالطبع ؟ وهل هذا الطبع مطلق أزلي لا يتغير أبدا ؟ وعندئذ نتساءل عن اعتبارات الديمقراطية إلى الف شرط وشرط لانشائها ، ولولادتها المباركة أو غير المباركة ، ولم يحتج الاستبداد في وجوده إلى أي شرط ؟

أما عندي فإن الاستبداد (كمطلق أزلي) لم يوجد ولن يوجد وإنه علينا يوجد ، فللأسباب وشروط لا تقل جدية عن أسباب وشروط ولادة الديمقراطية . فلم نفكر بصورة علمية عندما نبحث في نشوء الديمقراطية ، ونستغني عن العلم ونلجأ إلى الميتافيزيقيين عندما نريد البحث في الاستبداد ؟ أو لم تكن الدولة العربية خلال الخمسين سنة الأولى من وجودها ديمقراطية بأوسع معاني الكلمة ؟ أو لم يتدرج نشوء الاستبداد خطوة فخطوة حتى وصل إلى ما نعرفه عنه منذ عدة قرون ؟ وهل كان يحتاج الاستبداد إلى معونة المثقفين من المثقفين وغير المثقفين والعسكريين والمصالحين من رجال الدين لو أنه طبع أزلي ؟ وهل إذا كان كل منا مستبدا بالطبع ، يستنكر أن يقوم الآخرون على شاكلته ؟

٣ ـ هل توافرت شروط تحقيق الديمقراطية في المجتمع العربي ، في أي عهد ، ثم لم تتحقق الديمقراطية أو بعض صورها (الكافية لنا في أيامنا هذه) ؟ قد تحققت في عدة دويلات يونانية قبل ديمقراطيات ، وبعده ، وفي روما ، على يد مجلس الشيوخ ، وفي مطلع الدولة الإسلامية ، وفي دولة الخوارج في شمالي أفريقيا ، وفي عمان عهد الأمراء الاباضيين ، وفي عهد الرستميين الأوائل ، فهل كانت شروط نشوء هذه الديمقراطيات القوية أو الواهية متشابهة ؟

وفي عهد النهضة كانت الدول ـ المدن (مثل فلورنسا ـ والبندقية ـ وجنوه ـ وغيرها) دولا ديمقراطية بمعنى ما ، ليس هو الاستبداد على كل حال ، وبعد العهد الصناعي ، صارت دول كثيرة ديمقراطية من نوع أو آخر . فهل تشابهت كل هذه الشروط هناك ، ولم تتحقق شروط إلا في بلادنا ؟

[illegible] بلادنا [illegible] فلا يعني ذلك [illegible] [illegible] وأن [illegible] [illegible] [illegible] بطالب في مجتمعه .

٤ ـ إن الديمقراطية الكاملة [illegible] أفيد بكثير من النظام الديمقراطي الناقص . أفيعقل أن نحقق الأكمل قبل الأقل كمالا . وهل هذه سنة التطور ؟

الإنسان والمصير

٤ ـ وعندما نصبح عنوانا لمقالنا هو : العقل ليس بالديمقراطية ، ألا يمكن أن

في عدد قادم
العقل يبكت الحوار العربي ؟
بقلم :
أحمد عبد السلام البقالي


[illegible]

يعد ذلك حجة ضد المطالبين بها ، برغم كل الناس ما عدا المستفيدين من الحكم الاستبدادي ؟ وهل أفقدتنا الديمقراطية ، ولم نجد معها حلا لمشاكلنا ، فأصبحنا نرمي بالعدول عنها ؟ !

إن التقدم والقضاء على الاستبداد يحتاج إلى ما شئت من الشروط الاقتصادية والاجتماعية ، ولكنه ـ فيما أرى ـ يحتاج إلى الإنسان الذي يختار مصيره ، فيهيئ الشروط المعقدة لهذا المصير ، قبل أن تهيئه هي له ، ومن المعنى ، ولا ريب أن يطالب الدكتور النعيمي باختيار الديمقراطية الكاملة ، بديلا عن الديمقراطية البورجوازية ، ومن لم يطالب بهذا الاختيار فإن ذلك يعني حتما أنه يؤمن بأن لهذا الاختيار أثرا في توجيه الأشياء والحوادث هذه الوجهة ، بل الأثر الأول ، ومرة أخرى نلاحظ أن جدلية التطور بين الانسان وما حوله ، قد لا تستغني (عما حوله) ولكنها بالتأكيد لن تستغني عنه هو بالدرجة الأولى إن الانسان هو صانع الحضارة بالدرجة الأولى ، ولكنه لا يصنعها إلا بمواجهته للتحديات ، وإن الحضارة أدميا لا تنمو لأننا لا نملك حرية المواجهة ، أو لا تترك لنا هذه الحرية الرئيسي يعني الديمقراطية إلى صورتها لهذه الحرية في المواجهة .

وأشير أخيرا إلى أننا لا نناقش كاتبا معينا في أفكار ذاتية له ، بل في أفكار كثيرين تشيع في الجيل حولها جهدا كبيرا ولو كانت الدنيا تسمع للأماني ، إذن لتمنينا ألا يكون هناك جدل ، وأن ينفق الجهد



الموازي له في مواجهة التحديات، لا في التقاتل حولها. وفي إيضاح ما كان يلازم تاريخ الانحطاط العربي من غياب للإنسان أو غيبوبته، وما جعل كل محاولات الإصلاح المتجهة من المحيط إلى المركز، أي من الأشياء إلى الإنسان، كتغيير الملابس وتغيير الحروف، واتخاذ عادات غربية والعطلة يوم الأحد بدلا من يوم الجمعة وإيجاد نظام برلماني مشوه، يقوم دوما على انتخابات غير حقيقية، وإنشاء صحافة لا تكتب إلا ما؟ الأقلام، وإقامة شبكة إذاعية تلفزيونية لا يبث فيها إلا ما ليس له علاقة مباشرة بالواقع الحار، وحتى إنشاء جامعات يدخل فيها الذكر والأنثى على حد سواء، فلا يرقى مستواها عن وسط متواضع بينهما، ولا تكون من التقدم إلا على صورة مشتتة، والقيمين عليها. ثم نقول: كل ما جعل محاولات الإصلاح المتجهة من المحيط إلى المركز تحقق أكبر الإخفاق.

ويقينا ما التقدم إلا جدلية بين الإنسان وما حوله من أشياء. لكن إذا كان في حدي هذه الجدلية أولوية طرف على طرف، فلا شك أنه طرف الإنسان أولا. ولئن لم تكن الديمقراطية هي السبيل إلى حل مشكلات التخلف... فلا بد أن الطريق يجب أن يمر بهذه الديمقراطية، ولاسيما بحرية التعبير وشعور الإنسان المخلص بالأمن والطمأنينة، ولا مجال للقفز فوق كل الحواجز وحرق المراحل، والمضي قدما من أقصى النقص إلى أكبر الكمال.

د. حافظ الجمالي

العربي

العدد القادم

عقبات في طريق تطوير الأزهر
بقلم: د. محمد البهي

محمد في مكة
بقلم: د. عبد الجليل شلبي

نظرة إلى تاريخ الإسلام في مواجهة التحديات
بقلم: أنور الجندي

العرب وتحدي المرحلة
بقلم: أنطون مقدسي

هل يمكننا اللحاق بالغرب؟
بقلم: أحمد عبد السلام البقالي

عباس محمود العقاد

أينشتين على المائدة

من انواع المؤلفات عند الغربيين تصنيف شائع يطلقون عليه في معظم الاحيان اسم « حديث المائدة » ويجمعون فيه الوان الاحاديث التي يفوه بها العظماء والمشهورون في المجالس والاندية ، وفي البيوت والاسواق ، وفي مناسبات الحديث العامة او الخاصة التي لا يرتبطون فيها بتكاليف المنصب او الرئاسة العلمية ويرسلونها على السجية كما يتحدث المرء على مائدة الطعام .

ولا يلزم أن تجري هذه الاحاديث على المائدة ، او يكون عنوانها على المائدة ، فانها قد تجري عرضا اثناء السير في الطريق ، وقد يسمونها احاديث البيت ، او احاديث المنزل ، او مناجاة الراحة ، وما شابه ذلك من العناوين التي يفهم منها جميعا معنى واحد : وهو ان الاحاديث من قبيل السمر الذي يدور على المائدة ، ويسوغ للسامع وهو جالس الى طعامه وشرابه ، من قبيل التسلية والترويح ، وفي غير حاجة الى البحث وطول التأمل ، ولو كان في مواضيع العلوم او كان فيه الماء سريع بجلائل الامور .

من هذا النوع من المصنفات كتاب ظهر حديثا في مجلدين ، عن الفيلسوف العالم ، البرت اينشتين ، صاحب مذهب النسبية ، وهو المذهب الذي قال بعضهم عنه انه فلسفة يفهمها اثنى عشر انسانا في الكون كله ، ان لم يكن فيه سكان على غير الكرة الارضية !

وليس هذا الكتاب بطبيعة الحال ، في موضوع تلك الفلسفة ، ولكنه يؤثر عن صاحبها احاديث المائدة وما شبه احاديث المائدة ، ويجمعها من اقوال اصدقائه وزملائه الذين سمعوها من فمه ، او نقلوها من رسائله واخباره وعدتهم عشرة علماء يخاطبون الناس في هذا الكتاب كما يخاطبونهم في ساعات الفراغ ، ويصورون استاذهم في صورته المعدة للنشر والتداول ، بين قراء النسبية ومن لم يعرف منها ، ولا يعنيه ان يعرف عنها ، غير العنوان .

ان تراجم اينشتين متفقة على بساطته في حياته ، وعلى نفوره من المظاهر والتقاليد ، وصدق رغبته في التجرد من كل مظهر وكل تقليد لا حاجة اليه في صميم عمله .

ولكن اينشتين مثل من الامثلة



أينشتين

الكاتب يروي عن اينشتين أحاديث المائدة وما يشبه أحاديث المائدة

كل إنسان يستطيع أن يكون بسيطا إذا خرج مع طفله الصغير للرياضة الخلوية

صاحب النسبية كان ينقد مذهب إسرائيل في أصول الأخلاق والخوف والرهبة

النادرة عن غرابة البساطة في بعض الاحيان . فليس معنى البساطة التي يوصف بها اينشتين انها صفة شائعة متكررة ، تلقاها في كل ساعة ، وفي كل مكان .. وليس معناها انها صفة سهلة مطروقة لمن يريدها ، ومستطاعة تحت الطلب لكل من يحاولها . بل هي تلك البساطة التي يقول عنها علماء البلاغة انها السهل الممتنع ، او يقول عنها علماء الطبيعة انها بساطة النور الابيض الذي تلتقي فيه جميع الالوان . فهي بساطة اصعب من التركيب ، وبساطة غير قابلة للتقليد !

فكل انسان يستطيع ان يكون بسيطا في مثل بساطة اينشتين اذا خرج مع طفله الصغير للرياضة الخلوية ، بين القدم والمرضعات .

وكل انسان يستطيع ان يكون بسيطا مثله اذا اراد ان يذهب الى القصور الملكية مشيا على الاقدام ، ولم يخطر له ان الملوك يرسلون سياراتهم الفخمة للقاء ضيوفهم الممتازين .. ولكن ليس في وسع كل انسان ان تبلغ به البساطة مبلغ الزهد في اربعين الف دولار يقبضها كل اسبوع ، ولا يكلفه الامر الا الظهور امام اللوحة البيضاء من حين الى حين . وليس في وسع كل بسيط ان يعلم مواضع الصفحات بحوالة مالية تساوي الاف الجنيهات ، ثم ينساها حيث وضعها منذ عدة سنين .

وهذا هو موضع الغرابة في هذا الانسان البسيط النادر ، لانه بسيط عادي يشبه الوف وعشرات الوف ، لانه في الوقت نفسه بسيط غير عادي بعد امثاله في زمانه فلا يزيدون عن الاثني عشر الذين يفهمونه ، فيما قيل !

مثل هذا البسيط النادر تسمع منه كلماته البسيطة النادرة ، لانها لا تسمع من كل قائل ولا تسمع في كل يوم ، وقلما ما يساعدنا على فهم الطبيعة الانسانية [illegible] على الدوام [illegible] يساعدنا على فهمها كما نراها في [illegible] و[illegible] ...

[illegible] اينشتين [illegible] عن الناس انما نسمع منه شيئا من خوارق العادات ، او نسمع عنه شيئا يفصل العبقرية من الانسانية ، ويخيل الينا ان العبقري مخلوق يمكن بحال من الاحوال ان يفلت من قريضة الانسانية عليه .

كان اينشتين من بني اسرائيل ، ونشأ كما نشأ ابواه واجداده من قبله في بيئة اسرائيلية عريقة في التقاليد اليهودية ، ولكن الذين عشروه وعرفوه عن قرب كانوا يستغربون ان يكون هذا الرجل يهوديا عريقا من البيئة اليهودية ، لاختلاف عاداته ومقاصد حياته ، ولتلك البساطة التي كانت تلازمه في معيشته اليومية وفي شئون معاشه على التعميم ومن علاقاته بمن يعمل معهم او يعملون معه ، ونذكر ان كاتبا اوربيا سأل منذ نحو ثلاثين سنة : اين هو اليهودي في باطن هذا العالم الفيلسوف ؟.. قال الكاتب الاوروبي ذلك ردا على حركة الاضطهاد والتي اصابت الطائفة اليهودية على ايدي النازيين واصابت هذا العالم الفيلسوف في جملتها ، كان الناس اعتقدوا يومئذ ان اينشتين اليهودي لا وجود له ، وان الذي بقي موجودا امامهم هو اينشتين صاحب مذهب النسبية والنسبية الانسان والانسان .

وصحيح هذا الى حد صحيح ان صاحب النسبية كان ينقد مذهب اسرائيل في اصول الاخلاق وينكر الدعوة القديمة التي جعلت الاخلاق والفضائل قائمة على الخوف والرهبة من غضب السماء ، ويرى انها كانت احق بان تقام على الواجب من حب الله ومخلوقاته .

وصحيح ان صاحب النسبية كان ينعى التقاليد الموروثة ويستهدف للغضب بين قومه من جراء نسيانها واهمالها .

صحيح ان الذي كان يبحث عن اليهودي في باطن العالم الفيلسوف يتعب في البحث ويطيل الانتظار ولكنه ليس بصحيح انه كان يتعب على غير جدوى ، وانه كان يتعب في البحث عنه ولا يجده في النهاية !

كلا ان القارىء يجد اليهودي اينشتين في آخر الطريق ، يلقاه احيانا قبل منتصف الطريق ، ويلقاه دائما في كل مكان ، وفي كل شيء ، تتمثل فيه اليهودية بقضها وقضيضها ، ولا تقنع فيه بتمثيل جزء منها .

اينشتين اليهودي هو الذي يقول « ان التضامن الانساني يجد التعبير عنه في اليهودية ، وان هذا هو السر في ظهور الدعوة الاشتراكية على ايدي اناس من اليهود » .

يقول ذلك حين يذكر العصبية ولا يقوله حين يذكر التاريخ القريب

أينشتين على المائدة

والتاريخ البعيد ، فان التضامن الانساني لا يتحقق على ايدي الدعاة الا من سلة واحدة تحتكر الرضوان الالهي والعبادة الالهية ، ولها دون سواها خلقت الامم ، واليها دون غيرها يرجع زمام العالم من يد الله .

واينشتين اليهودي ـ وليس اينشتين العالم الفيلسوف ـ هو الذي يقول ان فلسطين ليست ملجأ لليهود الهاربين من اوربا الشرقية ، وعاشت افرادا متفرقين زمنا طويلا ، وآن ان تعود امة في وطنها القديم .

ان الفيلسوف العالم لا يقول هذا الا اذا نسي انه عالم فيلسوف ، ولم يذكر الا انه يهودي بل صهيوني متطرف ، لان العالم الفيلسوف يذكر على الاقل ان فلسطين لا تتسع لامة تعدادها نحو عشرين مليونا ، ولا يقال انها وطن الامة اليهودية بالتناوب بين المقيمين والزائرين ، بل لا يقال انها وطن امة وهي تطرد الامة الفلسطينية التي لا وطن لها من قديم الزمن في مكان غير فلسطين !

وليس اينشتين العالم هو الذي يقول ان العالم الغربي آن له ان يعرف ديونه لليهود ، وان يذكر انه تلقى منهم ديانته ، وتلقى منهم على الاكثر ميراث الفلسفة اليونانية المفقودة .

كلا . ان اليهود لا يعطون العالم دينا ينكرونه ، وان الغرب قد تلقى الفلسفة اليونانية من العرب ، ومن العرب ايضا تلقاها اليهود .

ويختفي اينشتين العالم الفيلسوف، حتى حين يكون فيلسوفا يختار بين الفلاسفة فانه لا يختار حينئذ غير الفيلسوف « سبنوزا » وهو الوحيد الذي ظهر من اليهود بين فلاسفة القرون الوسطى !

قبل ان يصل اينشتين الى الولايات المتحدة كان الشبان الامريكيون يتحدثون عنه وعن آرائه ، وكان رجال الدين يحذرونهم منه ويتهمونه بالالحاد وانكار الدين في كل ملة ، واراد حاخام نيويورك هربرت جلوشتين ان يرفع الشبهة عن ابن ملته فابرق اليه يسأله : هل تؤمن بالله ؟ فجاءه الجواب البرقي على الاثر :

« نعم . اؤمن باله سبينوزا الذي يتجلى في النظام المتناسق بين اجزاء الكون . . . » .

فلماذا انفرد سبينوزا وحده بهذا الاختصاص ؟ لماذا لم يكن هذا الاختصاص من حق جوردانو برونو [illegible] سبينوزا في الايمان بوحدة الوجود ؟ لماذا لم يكن [illegible] العربي [illegible] برونو وسبينوزا جميعا صاحب الفضل قبل برونو بعدة قرون ؟

[illegible] سبينوزا اليهودي على جوردانو برونو [illegible] ان العربي [illegible]

الانفجار النووي الرهيب

باروخ او باروك ؟

الجواب على ذلك سهل قريب اذا عرفنا اننا استمعنا الى « اينشتين » اليهودي ولم نستمع الى اينشتين العالم الفيلسوف .

على ان العالم الفيلسوف لا يستحق اللوم لان العلم والفلسفة لم ينسياه ملته وابناءها ولم يقطعاه عن هذه الصلة الانسانية التي لا فكاك منها ، ولكننا نلاحظ على العبقري النادر انه كان « يهوديا عاديا » ولم يكن يهوديا غير عادي في نعرته القومية . واحرى به ان يذكر قومه ولا ينسى الحق والتاريخ وان يذكر ان القومية السياسية قومية « عادية » مبتذلة ، وليست هي قومية العالم الفيلسوف .

وقد اصاب اينشتين حين قال صريحا ان العلم لا يوجب الحيدة على العلماء في معترك النزاع بين الامم والدول ، واصاب حين قال ان واجب العلم لا يسقط عن العالم واجب القومية واصاب حين كتب في رسالته الى المعتقلين بذكرى لنكولن يدعوهم الى تأليف عصبة من العلماء والمفكرين تحمي حرية التعليم وحرية الرأي وتؤدي واجبها في ازمات الوطن والازمات العالمية .

الا انه في صوابه وخطاه يلقي على الناشئين وعلى المتشبهين بالعلماء درسا لا غنى عنه في عصرنا هذا : عصر العلم والدعوة الى الوحدة العالمية .

فان ادعياء العلم يحسبون ان العالم الكبير اذا اصبح عالميا انسانيا وجبت عليه الحيلة بين قومه وغير قومه من امم العالم وابناء الانسانية ، وامتنع عليه ان يتحيز لوطنه بين سائر الاوطان ، وان تكون له صداقة وعداوة في سبيل الوطنية والعقيدة .

● ●

ان اينشتين يلقي الدرس الذي

إن العلم لا يوجب الحيدة على العلماء في معترك النزاع بين الأمم والدول

يصحح هذا الخطأ ، لانه طراز من اصحاب العبقرية والشهرة العالمية قليل النظير في زمانه ، اذا فهمنا من غلوه في العصبية شيئا فلنفهم ان الطبيعة الانسانية لا تلغي الوطنية في سبيل الوحدة العالمية ، فاذا ابينا ان نغلو في العصبية كما غلا هذا العالم الفيلسوف فـلا نتجرد من طبيعة الانسان في صوابها وخطاها وفي شططها واعتدالها ، ولنكن وطنيين انسانيين قواما بين الافراط والتفريط ، وبين الغلو والاعتدال .

ويسمع من مائدة اينشتين رايه او حكمة الاخلاقي ، على صنيع يده في اختراع القذيفة الذرية . ولا شك انه كان من اوائل القائلين بامكان اختراع هذا السلاح وامكان استخدامه في الحرب العالمية ، فماذا يقول بعد ان صار الممكن واقعا ، وبعد ان وقع المحظور بفعل يديه ؟

ادعياء العلم يحسبون أن العالم الكبير إذا أصبح عالمًا إنسانيًا وجبت عليه الحيدة بين قومه وغير قومه

انه لم يصرح بغرضه من المشاركة في اختراع الاسلحة الذرية ولكننا نفهم من حملته المتواصلة على هذه الاسلحة انه كان يحسب انها تستخدم في انقاذ النازية وحطمها ، وانه سمع ان النازيين جادون في تحقيق هذا الاختراع ولابد ان يستخدموه في حرب اعدائهم [illegible] الى التسليم [illegible] قذيفة ذرية في [illegible] النازيين [illegible] بها العالم [illegible]

قذيفة ذرية تسلط على النازيين ويرجى ان يوضع لها نظام يحمي العالم من شرها بعد توقف القتال .

والظاهر انه لم يتوقع ان تستخدم في حرب اليابان دون الالمان ، وانه احس بتبعتها فاراد التكفير عن اختراعه بالسعي الحثيث الى تنظيم الاشراف عليه ، ولكن لا يرى انها سلاح مقالة المشهور الذي يقول في عنوانه « ان المشكلة مشكلة القلوب الانسانية » ويلخص فيه حل هذه المشكلة في كلمتين : « التعاون لا التنافس » ويفرض هذه السياسة « اولا » على اقوى الطرفين فمن كان من الاعداء اقوى واقدر فهو المسئول عن كبح هذا السلاح ، وفارق العالم الفيلسوف دنياه ودعوته الاقوياء الى كبح انفسهم بأيديهم حلم في انتظار التأويل ..

عباس محمود العقاد

« قرائة كتابا اسمه العدو السابع »

وفي هذا الكتاب يصف المؤلف اعداء البشرية في كل مكان .. زيادة السكان الجوع .. نقص الموارد والمصادر الطبيعية .. تدهور الروف البيئة .. سوء استخدام الطاقة النووية .. التطور العلمي الذي لا يستطيع الانسان الرقابة عليه .. هؤلاء الاعداء .. ستة .. فمن هو العدو السابع اذن ؟

الجواب : نحن ... اي الانسان نفسه ..

الانسان الذي لا يعرف مصلحته .. ومصلحة اخيه .. الانسان يحارب جاره .. والدولة التي تحارب جيرانها مما يؤدي الى الاضطراب العالمي وبدلا من توجيه الجهد الكلي لزيادة الانتاج والتغلب على الاعداء الستة فقد اضفنا عدوا سابعا هو اخطر الاعداء ..

ونحن .. عندما نتكلم عن مشاكلنا يجب ان نضيف اليهم عدوا سابعا هو المسئول عن هذا كله .. هذا العدو هو انا وانت .. اقصد نحن .

تأملات في الحيـــاة

قبل التغيرات الهائلة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في رحلة الحياة .. لحظات تحلو فيها وتشرق احلاما وردية زاهية .. مرة اقترب بها من اليأس .. التمسك بصبر الصابرين .. هذا الصبر والامل والحلم واليأس وكانها جميعا .. طبق سلطة .. تتناوله على الطبيعة كل يوم ..

وليست هذه شكوى ولكن في اعتقادي ان الانسان الواعي يعايش الحياة بحلوها ومرارتها محاولا الا ينسى ايجابياته قبل سلبياته .. فالحياة لطف من يراها من خلال منظار اسود فقط او ابيض فقط فهي في حقيقتها وطبيعتها غزيرة الالوان بحيث لا تحصى ولا تقف متحدة ، ولهذا جدير بنا ان نروض انفسنا على معايشة اليوم بل الساعة واللحظة معا بكل ما تحمل من دوافع الاماني والامل ..

أحـمد بهجـت

حكـــومة الرســـول كانت تجسيدا لدعوة الحرية

كان خاتم النبيين أعظم الدعاة الى الحرية ..

وجاء جوهر الاسلام ـ بوصفه آخر الديانات ـ تعبيرا عن الحرية والسر فى هذا أن الرسول جاء يدعو الناس الى التوحيد ، إنما الاسلام فقد حمل إلى الناس أمانة الوعى بجملة قصيرة تبدأ بالنفى وتنتهى بالاثبات .. جملة قامت عليها جميع الرسالات الالهية (لا إله إلا الله) .

ما الذى تعنيه الكلمة .. ؟

تعنى الكلمة الوعى بالخالق ، والخالق هو الحرية المطلقة .. وتعنى الخضوع لهذه المشيئة المطلقة والانقياد لها ، ويؤدى هذا الخضوع إلى تحرر الانسان بحق من عبادة غير الله وإسلام وجهه لله

ولهذا السبب نستطيع أن نفهم غضب المجتمع المكى على الرسالة كان المجتمع قبليا تحكمه قبائل تعيش على التجارة أو الحج ، وكانت هناك آلهة ظاهرة وآلهة خفية أما الآلهة الظاهرة فكانت هى الاصنام الخشبية أو الحجرية فى الكعبة ، أما الآلهة الخفية فكانت مصالح الكبار ومراهم وإعلان الرسول عن دعوته لله ، وإعلان (لا إله إلا الله) أدرك القائمون بالحكم فى مكة أن هذه الرسالة الجديدة تهدد وجودهم من أساسه ، ومن ثم بدأت الحرب ضد الاسلام تستخدم جميع الوسائل ، ابتداء من الدعاية والتهجم والاضطهاد ، وانتهاء بمؤامرات القتل

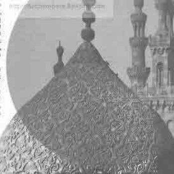
كانت دعوة الرسول إذن دعوة الى الحرية

كان الناس أسرى عادات الأشياء والقوى كانوا أسرى التقاليد الفاسدة ، وكانوا أسرى الهوى الحاكم ، وكانوا أسرى المصالح المؤقتة والحالية .. وجاء الرسول يحدثهم عن الحقيقة ، وكانت الحقيقة فى حد ذاتها تحريرا للانسان من كل أسرية

قضية القرآن المكى

وقد مكث الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى الاسلام ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة ، منها ١٣ سنة تقريبا فى مكة ، وعشر سنوات فى المدينة ، و القضية





الاسلامية التي جاهد للدفاع عنها في مكة هي قضية الالوهية والعبودية ، وراح الوحي الالهي على امتداد ١٣ سنة يجلو حقيقة هذه القضية . حتى صارت قضية الالوهية والعبودية هي قضية القرآن المكي بصفة خاصة .

وفي مكة تم تعريف الالوهية الحقة ، وبيان خصائصها من الربوبية والقوامة والحاكمية . كما تم تعريف العبودية وحدودها التي لا تتعداها ، وبذلك تم اخضاع الناس لله ، او اسلامهم له سبحانه . وبهذا الخضوع لله وحده كسر الانسان المسلم سجن العبودية لغير الله وحصل على حريته والواقع أن حياة البشر في الارض لا تستقيم إلا إذا استقامت هذه الحقيقة في اعتقادهم وتصورهم ، واستقامت بعدها في حياتهم وواقعهم .

إن تاريخ الالم الانساني في الارض يرتبط ارتباطا وثيقا بحقيقة الالوهية والعبودية . وفي اللحظة التي يترك الناس فيها عبادة الله إلى عبادة الاصنام ، تختنق روح الجمال في الانسان ، ويعتلي القبح عرشه داخله ، ويهزم الانسان ـ وهو المخلوق الجميل ـ من الداخل ويتمكن العقل البشري ، ويزيد ظلم الظالمين وذل المظلومين . كما يزيد فقر الفقراء وقسوة الاغنياء ، ويتحول الوجود الانساني كله إلى تجربة معاناة من تجارب الجحيم .

وقد اثبت التاريخ أن الضمان الوحيد للمساواة بين البشر يكمن في عبوديتهم جميعا لله ، وكون الله هو خالقهم والمشرع لهم . فاذا ضاع هذا الضمان ، وادعى أحد من الناس او زعم احد الانظمة لنفسه حق الالوهية ، فقد هلكت حرية الناس تماما .

هذه المشكلة التي تتمثل في ضياع الانسان كانت متوفرة في مكة ، وقد جاهد النبي عليه وبضعة أشهر في الدعوة بشكل سري . ثم جاهد ما يقرب من عشر سنوات في الدعوة العلنية . وفي نهاية العهد المكي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع حوله صفوة من الرجال الاحرار ، هم المؤمنون بدعوته .

وبهذه الصفوة تم تأسيس الدولة الاسلامية في المدينة بعد الهجرة . وليست هجرة الرسول التي يؤرخ بها المسلمون عامهم الهجري سوى اشارة موجهة إلى أهمية وجود الدولة الاسلامية . وخروج الاسلام من الحصار المضروب حوله إلى طبيعته الأولى وهي الانتشار في الارض والدعوة الى الله .

وقد تميزت الفترة المكية عن الفترة المدنية ، لأن وضع المسلمين في مكة كان وضعا محرجا ، فهم افراد قلائل مستضعفون مضطهدون لم تتكون منهم امة وليست لهم شئون دولة . وكان همّ الرسول وشاغله الاعظم هو بث الدعوة الى التوحيد وتحويل وجوه الناس عن الاوثان إلى الله ، واتقاء كيد أعداء الاسلام . ولذلك لم يكن هناك مجال ولا داع الى التشريع وسن القوانين المدنية والتجارية وغيرها .

أول حكومة إسلامية

كانت السلطة التشريعية في مكة لله عز وجل . اما السلطة التنفيذية والقضائية فكانتا معطلتين مؤقتا لعدم وجود الدولة . وحين تم تأسيس الدولة الاسلامية في المدينة ، بدأ عهد جديد ، وظهرت أول حكومة اسلامية .

كانت حكومة مثالية ، كما كانت حكومة غير عادية .

لماذا كانت غير عادية ؟ . .

كان الله عز وجل هو المشرع ، اي أن السلطة التشريعية كانت مرتبطة بالوحي ، وهو أمر غير عادي ، وقد انقطع وحي السماء بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أيضا كانت الحكومة غير عادية لأن السلطة التنفيذية والقضائية كانتا مركزتين في يد الرسول وأصحابه ، ووجود رسول على رأس الحكومة أمر غير عادي .

اما كون هذه الحكومة مثالية فلا يحتاج إلى بيان .

وقد قامت الدولة الاسلامية الاولى او الحكومة الاسلامية الاولى على أساس من أخوة الطريق (إنما المؤمنون اخوة) كما قامت على الشورى رغم وجود الوحي ووجود رسول لاينطق عن الهوى . . .

وكان اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يؤلفون ما يشبه مجلس وزراء (. . . حسن صحب) وكان الرسول يستشيرهم ، واحيانا كانت الاغلبية تخطىء والاقلية تصيب ، واحيانا كان الرسول يأخذ برأي الاغلبية فتصحح له آيات القرآن هذا الرأي كما وقع في حادث الاسرى الذين افتداهم أهلهم من الرسول وكان عمر قد اقترح ضرب أعناقهم واقترح أبو بكر افتداءهم ورأيته الاغلبية ، ثم نزل القرآن يبين أن رأي عمر كان هو الرأي الصحيح .

وقد جعل القرآن الشورى قاعدة عامة ، كما حملت احدى سور القرآن اسم (الشورى) ، وقال تعالى فيها :

(وشاورهم في الامر)

(وامرهم شورى بينهم)

وكان المجلس في أوقات السلم هو مجلس الشورى ، كما كانت أي بقعة من الارض في الحرب الميدانية هو مجلس الشورى ، والارض عند المسلمين كلها مسجد .

الحرية والاخوة والشورى

اي أن الدولة الاسلامية قامت على الحرية . . . والاخوة ـ والشورى في اصطلاحنا الحديث اليوم هي الديمقراطية .

ماهي مصادر التشريع في عهد الرسول ، ومن تولى السلطة التشريعية في ذلك العهد؟

كان التشريع في عهد الرسول مصدران ، الوحي الالهي ، واجتهاد الرسول نفسه ، فاذا طرأ ما يقتضي تشريعا من خصومة أو واقعة او سؤال او استفتاء ، اوحى الله الى رسوله بآية او آيات فيها حكم ما أريد معرفته حكمه . عندئذ يبلغها الرسول للمسلمين فيصير هذا قانونا واجب الاتباع .

فاذا طرأ ما يقتضي تشريعا ، ولم يوح الله الى رسوله بشيء ، اجتهد الرسول في معرفة الحكم واجاب على السؤال ، فيصير جوابه قانونا واجب الاتباع . .

وفي حكومة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كانت السلطة التشريعية في هذا العهد لرسول الله وحده ، وهي سلطة مستمدة من الله لانه سبحانه هو المشرع ، وما كان لأحد من المسلمين غير الرسول أن يستقل بتشريع حكم لنفسه او لغيره ، لأن وجود الرسول بينهم لم يسوغ لاحدهم أن يفعل ذلك .

الإســـلام وقضـــايا العصـــر

السلطات الثلاث

يمكن القول: إذن التشريع في عهد الرسول كان إلهيا كله لأن مصدره لا يخرج عن ثلاثة

(١) وحي الله في القرآن

(٢) اجتهاد الرسول النابع من الالهام الالهي

(٣) اجتهاد الرسول ببحثه ونظره، وهذا محفوف برعاية الله له

أما السلطة التنفيذية في المدينة فكانت الرسول وصحابته، وقد رأينا الرسول يستشير ما يشبه الوزراء من صحابته، كما رأيناه في أهم غزوة يختار مكانا لا يصلح من الناحية العسكرية للقتال، فلما راجعه واحد من صحابته وسأله

ـ أهذا منزل أنزلكه الله فلا يجوز أن نتأخر عنه أو نتقدم، أم أنها الحرب والمكر والخديعة؟

وحين أجاب الرسول أنها الحرب، صحح الصحابي الموقف واختار مكانا يتيح لجيش المسلمين أن يشرب ويسد منابع الماء على جيش العدو

وكان الرسول ـ رغم أنه يوحى إليه ـ يستشير صحابته، ويتزل على آراء الفقراء منهم، ولم يكن صحابة الرسول أو وزراؤه شخصيات عالية، انما كانوا هم صفوة الصفوة وأفضل الطاقات المؤمنة يومئذ.

أما السلطة القضائية فكانت الرسول وصحابته.

السلطة القضائية والاجتهاد

ولقد انكشف جوهر الحرية في السلطة القضائية، فكان الأصل الحاكم فيها هو الاجتهاد والحرية العقلية.

وقد ورد اجتهاد الصحابة في عهد الرسول، وعرفنا أن فيهم من قضى باجتهاده في بعض الخصومات أو استنبط باجتهاده حكما في بعض الوقائع. بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب قاضيا وقال:

ـ إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك [illegible] فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول [illegible]

وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن وسأله [illegible] فإن لم تجد [illegible] في كتاب الله ولا في سنة رسوله ما تقضي به؟

قال معاذ: اجتهد رأيي

قال رسول الله: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله

أيضا أرسل الرسول حذيفة اليماني للقضاء بين جارين اختصما في جدار بينهما، وادعى كل منهما أنه له

وحكم حذيفة وأقر الرسول حكمه

وقد بلغ تشجيع الرسول للاجتهاد حده الأعلى حين قال لعمرو بن العاص يوما:

ـ احكم في هذه القضية

قال عمرو: اجتهد وأنت حاضر!

قال رسول الله: نعم إن أصبت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر

نريد أن نتوقف عند هذا الأفق الأعلى الذي وصل إليه نظام الحكم في عهد الرسول، ومثله هذا التعلق بالحرية العقلية

إن الاجتهاد في هذا العصر ـ وهو حرية عقلية بحتة ـ كان له أجران إن أصاب وأجر إن أخطأ

لم يكن هناك عقاب على الخطأ، بل ثواب عليه

■ يكشف جوهر الحرية في السلطة القضائية فكان الأصل الحاكم فيها هو الاجتهاد والحرية العقلية

■ إذا جلس الخصمان بين يديك فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول

■ كان الرسول يجتهد مهتديا بالقانون الإلهي وروح التشريع وتقديم المصلحة ومشورة الصحابة

إذا كان هذا شكل الحكومة الإسلامية في عهد الرسول، فماذا كانت الخطة التشريعية في هذا العهد، وما هي المبادىء العامة التي بني عليها التشريع الإسلامي؟

الخطة الإسلامية للتشريع

نقصد بالخطة التشريعية الطريق التي يتبعها رجال التشريع في الرجوع إلى مصادر التشريع (د. عبد الوهاب خلاف)

ولما كان هذا العهد هو عهد التكوين ووضع الأسس التشريعية، فقد كانت الخطة التشريعية فيه هي الخطة الأساسية للتشريع الإسلامي

أما الطريق التي اتبعه الرسول فكانت هي:

(١) انتظار الوحي

أو (٢) الاجتهاد وإعمال العقل

وكان الرسول يجتهد مهتديا بالقانون الالهي وروح التشريع وتقديم المصلحة ومشورة الصحابة

أما المبادىء العامة التي بني عليها التشريع الإسلامي فكانت أربعة.

المبدأ الأول: التدرج في التشريع، فقد مكث القرآن ينزل على قلبه لمدة ٢٣ سنة، وكانت حكمة التدرج الزمني انه تيسير معرفة



القانون مادة مادة . وييسر فهم احكامه بالوقوف على القصد الذي اقتضى التشريع ولم يكن التدرج زمنيا فقط . وانما كان نوعيا ايضا . فلم يكلف المسلمون في اول عهدهم بالاسلام بما يشق عليهم فعله او ما يشق عليهم تركه . بل اخذهم الله والرسول بالرفق والاناة والحلم

في اول الامر لم تفرض الصلاة خمس مرات في اليوم ، بل طلبت منهم صلاة مطلقة بالغداة والعشي .

ايضا لم تفرض على المسلمين الزكاة والصيام الا بعد الهجرة بسنة . اي بعد ١٤ عاما تقريبا من بداية الاسلام . وكان التكليف قبل ذلك فيها بما يستطيعونه من صدقة وصوم

ايضا لم يحرم الخمر والميسر وكثير من عقود الزواج والربا الا بالمدينة . وتم تحريم الخمر على ثلاث مراحل

في البداية قيل عن الخمر (يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) .

ثم نزل قوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى) .

ثم صدر التحريم القاطع بقوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه)

وكانت حكمة التدرج في التشريع هي اصلاح النفوس الجامحة واخذها بالرفق لتقبل التكليف من غير ضجر ولا عنت . وهو من الحكمة في الدعوة

المبدأ الثاني : التقليل من التقنين

فجاء التشريع على قدر الحاجة ونهى القرآن والرسول عن الاكثار من الاسئلة التي تقتضي التشريع .

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم)

والحكمة من تقليل التشريع هو ترك المجال للأجيال القادمة لتؤدي دورها في التشريع فيقتصر كل عصر على تشريع ما تقتضيه مصالحه . ومن المبادىء المقررة في الشريعة الاسلامية ان الاصل في الاشياء الاباحة فلا حرج إذن من تقليل النصوص . بل ان الحكمة تستوجب تقليله .

المبدأ الثالث : التيسير والتخفيف . وهو اعلى ظاهرة في التشريع الاسلامي كما [illegible] خصوص [illegible] الصلاة في الحالة [illegible] والتخفيف .

قال تعالى (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)

وقال عز شأنه (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)

وقد ورد في صحيح السنة ان الرسول كان اذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن حلالا . وفي حالات المشقة شرعت الرخصة وابيحت المحظورات عند الضرورات . وابيح ترك الفرض والواجب اذا كان في اداء احدهما حرج (تاريخ التشريع الاسلامي) واعتبر الاكراه والمرض والسفر والخطأ والنسيان والجهل من الاعذار التي تقتضي التخفيف .

المبدأ الرابع : مسايرة التشريع لمصالح الناس . وبرهان ذلك ان الشارع علل كثيرا من احكامه بمصالح الناس ، ودل بالشواهد على ان المقصود من تشريع الاحكام هو تحقيق مصالح الخلق . وقرر ان الاحكام تدور مع عللها وجودا وعدما . ولهذا شرع الله بعض الاحكام ثم ابطلها ونسخها حين اقتضت مصلحة الخلق تعديلها . فقد فرض الاتجاه في الصلاة الى بيت المقدس . ثم نسخها وفرض الاتجاه في الصلاة الى الكعبة . وفرض عدة المتوفى عنها زوجها حولا . ثم نسخها وفرضها اربعة اشهر وعشرة ايام .

وهذا النسخ والتبديل والتعديل في وقت التشريع برهان على ان التشريع الاسلامي ساير مصالح الناس . ومن مصالح الناس ان تراعى عاداتهم وما جرى به العرف ما دام لا يجلب ضررا ولا يعارض اصلا دينيا .

وحين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان عدد آيات الاحكام المتعلقة بالعبادات والجهاد نحو ١٤٠ آية . وعدد الآيات المتعلقة بالمعاملات والاحوال الشخصية والجنايات والقضاء والشهادة نحو ٢٠٠ آية . وعدد احاديث الاحكام في انواعها المختلفة نحو ٤٥٠ حديث . كما ذكر ابن القيم .

وفيما عدا ذلك . ترك العقل حرا وتمام الحرية في الاجتهاد . . ويموت الرسول . . اسدل الستار على هذا النموذج من الحكم الالهي . . وبدأ عصر الراشدين .

احمد بهجت

صلاح عبد الصبور

مشارف الخمسين

في زمننا الشعري الأول

كان لات الشعر وعزاء في زمننا الأول عما محمود حسن اسماعيل وعلي محمود طه، إذ لم تكن الأصوات العربية تصل الينا. فلست أذكر أني قرأت «الياس أبو شبكة» أو «عمر أبو ريشة» أو «محمد مهدي الجواهري» إلا حين أوغلت في دروب الشعر. فكانت قراءتي لهذه الأصوات قراءة المستطلع الناقد، لا قراءة المحب الشغوف. ولكن ثلاثة من شعراء العصر العرب استطاعوا بالصدفة المحض أن يدخلوا إلى عالمنا الصغير في المدرسة الثانوية، وأن يزاحموا محمود حسن اسماعيل وعلي طه في وجداننا، وإن كانت حبة القلب لهذين الشاعرين. وكان لكل من هؤلاء الشعراء الثلاثة طريقة. فقد غنى عبد الوهاب لأولهما، وهو ايليا أبو ماضي قصيدته الطلاسم. فالتمسنا القصيدة كاملة في مكتبة بلدية الزقازيق، وهناك نسخناها في كراساتنا، وأحببنا الشاعر حبا قريبا من الفتنة. وإن كان صوته ظل غريبا عما الفناه من الشعر العربي، إذ أن ايليا أبو ماضي شاعر مرهف العقل كما هو مرهف الحس. وكان ثاني هؤلاء الشعراء وثالثهم عما أبو القاسم الشابي التونسي والتيجاني يوسف بشير السوداني. ولقد ساقنا إليهما أديب من أدباء ذلك الزمان هو «محمد فهمي» الذي جمع لهما ولثالثهما الهمشري المصري كتابا من المختارات. وكان ما يربط بينهم جميعا هو انهم لقوا الموت في شرخ الشباب.

ولم يكن محمد فهمي ـ متعه الله بالعافية إن كان حيا وبالخلد إذا كان قد اخترمه الموت ـ لم يكن غريبا عني، فهو بلدياتي ـ ننتمي معا لنفس المدينة الصغيرة ـ وكان زميلا لأحد أخوالي في الدراسة الثانوية، وحين حصل على شهادته الثانوية في عام ١٩٣٧ فيما أذكر عين موظفا بمصلحة الري. ولقد قرأ فهمي وقت موم الشباب توفيق الحكيم «الدافر» الرفيع ... «عودة الروح» ... فرآه يتحدث عن [illegible] والفن [illegible] في مؤسسة الرحمن [illegible] وقد صمم [illegible] على الرحال إلى باريس، ليكون راهبا في هيكل الفن والفكر، ولكن باريس كانت أقسى قلبا منا لك، وظل [illegible] فتسكع في رحابها شهورا عاد بعدها وقد فقد عمله ومدخراته. ومن ذلك اليوم حتى هجر محمد فهمي مصر منذ ما يزيد عن عشرة أعوام وهو يعيش في أرجاء القاهرة عيشة الفنان الذي لا يهتم وربما تجوع أو تشبع، ولا يأبه هل أظله سقف أم أظلته السماء.

ولقد كان فهمي قليل الإنتاج، فقد كتب في هذه السنوات التي تزيد عن ربع قرن بعض الأشعار وبعض المقالات، وجمع هذا الكتاب عن البلابل الثلاثة التي اخترمها الموت. وربما كانت أبدع قصيدة كتبها فهمي هي حياته التي ندرها للتبطل والتسكع في مقاهي المدينة والسمر مع الأصحاب. وكان فهمي لمكانته من أسرتي يعدني أحد أتباعه، وكنت أعد له حمل الولاء راضيا رغابة لهذا المكان. ولكني كثيرا ما أذكر له أن أبي فزع فزعا شديدا حين كاشفته بأنني أريد أن أكون كاتبا وأديبا، وقال لي في لهجة بالغة الاستنكار:



كامل الشناوي

ـ هل تريد أن تكون صعلوكا مثل فهمي؟

وعندئذ كنا نتضاحك، ونسري عن أنفسنا بأن أهل الدنيا لا يفهمون أهل الفن ... من أمثالنا.

ولقد مرت السنوات منذ عرفت فهمي حتى تخرجت في الجامعة، وعملت في الصحافة، وأصبح لي مكان ضئيل في دولة الأدب، وقلت لفهمي ذات مرة إن صحفيا كبيرا وشاعرا هو كامل الشناوي يؤثرني بمكان في نفسه، وانني استطيع أن أخاطبه ليجد لفهمي مكانا في جريدة «الجمهورية». وقال لي فهمي بصوت حمامة: كامل ... أعرفه منذ عشرين عاما .. ماذا يفعل الآن؟

ـ هو رئيس تحرير جريدة الجمهورية

ـ همه إذا أردت ..

وكلمت كامل الشناوي، ورحب كامل بالفكرة، وإن كان قد أفاض في الثناء عليه. وذهب فهمي إلى كامل الشناوي، ثم لقيته بعد ذلك، فلم يحدثني عن نتيجة مسعاي. وسألت كامل الشناوي، الذي كنا جميعا نناديه بكامل بك إكراما للبكوية التي نالها حين كانت في مصر رتب وألقاب، وحرصا على أن نتفادى من تحت باحب الإسماء إليه عملا بالوصية المعروفة. وقال كامل:

- ثلاثة من شعراء العصر العربي استطاعوا بالصدفة أن يدخلوا عالمنا الصغير
- محمود حسن إسماعيل كأمنية أولى.. وعلي محمود طه كأمنية رابعة أو خامسة
- كان زكريا الحجاوي يحتفي بصغار الأدباء يفسح لهم في مجلسه ويفيض عليهم من مجاملته


أبو القاسم الشابي


التيجاني بشير


عمر أبو ريشة


الياس أبو شبكة

- لقد دخل علي فهمي تمديد الكبرياء فاترا كانه كان معي بالأمس فقط، وأخذ يقول لي: إزيك ياكامل .. عاوز منى إيه ياكامل ....

واضاف كامل الشناوي:

- لقد خاطبني كانني أنا محمود فهمي .. وهو كامل الشناوي ..

زمن مضى بأهله وناسه، فكأنه وكأنهم أحلام كما يقول الشاعر القديم.

• •

هذا هو بعض حديث فهمي وشعرائه المختارين. ولكني لو كنت سئلت وأنا أنزل القاهرة طالبا المعلم في الجامعة في عام ١٩٤٧ عن أول ما أريد أن أراه في القاهرة، لقلت دون تردد: محمود حسن اسماعيل كأمنية أولى .. ثم علي محمود طه كأمنية رابعة أو خامسة.

ولقد أسعف الزمان، ورأيت محمودا في أوائل ١٩٤٨.

كان يزاملنا في الجامعة، ويتقدمنا ببضع سنين طالب متعدد المواهب .. يغني ويمثل وينشد الشعر ويلقي الفكاهات هو جمال أبو رية .. كاتب أدب الأطفال.

سألني مرة: لماذا لا تأتي لتجلس معنا على قهوة محمد عبد الله في الجيزة؟.

وسألته: ماذا هناك؟

وقال: مجموعة من الأدباء تشغل [illegible] مرتقاتهم

وذهبت معه إلى القهوة، ثم أعطاني [illegible] إلى أرباب الصحافة الشعبية، وكان أشهرها الظاهر منها زكريا الحجاوي وأنور المعداوي.

كان زكريا الحجاوي أقرب إلى القصر والسمنة، يتحدث إليك في صوت منغوم عذب، ويحتفي بصغار الأدباء فيفسح لهم في مجلسه ويفيض عليهم من مجاملته وتقديره. ولم يكن لزكريا عمل نعرفه أنذاك، وكلنا أدركنا أن له مكانا في إحدى المصالح الحكومية لا يكاد يراه. وعرفنا أيضا أنه شيء بين الفيلسوف والفنان، وأن له مذهبا أدبيا يروج له، كما أنه محب للموسيقى، وبخاصة موسيقى سيد درويش.

كان خيال زكريا رحمه الله يطيق بواقعه، وكثيرا ما كان يحدثنا بحكايات عن لقائه ببعض الأدباء العالميين وحديثه إليهم، ولا نكاد نسأل أنفسنا متى تم هذا اللقاء حتى نكتم هذا الخاطر السخيف، ونقنع بالسياحة مع خيال زكريا في الآفاق الممتدة للزمان والمكان.

وكان أنور المعداوي طويلا جسيما أبيض الوجه لامع الشعر، أول ما يأخذ سمعك فيه هذه الثقة في نبرات الصوت والإلقاء، وكان عندئذ أحد كتاب مجلة الرسالة المرموقين.

لقد أسمعت كلاهما شعري، واستقبلاه استقبالا مجاملا، إلى أن سألت أنور ذات يوم قائلا: هل لي أن أرى محمود حسن اسماعيل، فلقد ذكرت أنه صديق لك ....

وضحك أنور ضحكته المجلجلة، وأشار إلى ركن في المقهى قائلا:

- هذا هو محمـــود .. قم بنا أعرفك بــه.

وجلسنا إلى محمود في حياء .. من جانبي على الأقل .. وقدمني إليه أنور قائلا:

- فلان طالب في كلية الآداب ... وشاعر ...

وأخذت أتأمل في وجه محمود .... وجه صعيدي حاد الملامح وسيمها .. وعينان غريبتان إحداهما أوسع من الأخرى وأكثر حدة وتحديقا، وصوت قوي ولكن فيه نبرة من الضيق.

وأسمعت محمود بعض شعري في تلك الزمان، ولا أعلم هل أرضيته أم أسخطته، ولعله كان قد سمع كثيرا من أمثالي فما عناه عندئذ أن يزيدوا واحدا، وكنت عندئذ لم أتم السابعة عشرة من



كان أقرب الشعراء إليه هما المتنبي وأبو تمام، وكلاهما من كبار الشعراء وكبار المداحين



محمود حسن اسماعيل — علي محمود طه



زكريا الحجاوي

عمري فقط . وها أنذا أطوي بعدها سنوات لأجد محمود حسن اسماعيل صديقا عزيزا ، وأجمع على مدى عشرين عاما أو تزيد ، من ثمرات لقاءاتنا الفاتن من الشعر والمودة والصفاء ...

* *

لم يكن ما يصدر من دواوين الشعر ليوجد في مدينتنا الصغيرة بين أعوام الأربعين والخمسين ، فكنا نلجأ الى المكتبة العامة المسماة بمكتبة البلدية ، وفيها قرأت جبران خليل جبران والتهمت قراءة المنفلوطي الذي رأيت عبراته ونظراته في بيتنا ، كما قرأت روايات روكامبول والفرسان الثلاثة وغيرها من أدب المغامرات مترجما الى العربية بقلم طانيوس عبده وسواه .

وفي مكتبة البلدية وجدت أول ما وجدت لمحمود حسن اسماعيل ديوانه « الملك » ومن نافلة القول أن أذكر أن هذا الديوان كان تعس الحظ إذ أنه لم يطبع إلا طبعته الأولى ، إذ تغير الحكم في مصر في عام ١٩٥٢ ، بل أن محمود نفسه كان يفرغ لذكر هذا الديوان كأنه نزوة خطيئة قديمة . ولم يكن الديوان يمثل لي شيئا عندئذ إلا جماله الموسيقي والفني ، فلم أكن منذ وعيت محبا لملك مصر السابق ، ولكن قراءة شعر هذا الديوان كانت تلقي أمام عيني غلالة رقيقة تحجب هذه التفاصيل العابرة ، ولا يتألق من خلالها إلا الشعر وحده .

والواقع أن شعر محمود حسن اسماعيل في الملك فاروق نمط من أروع الشعر ، فهو ليس شعر مناسبة استجداه ، فلم ينل محمود من الملك شيئا يذكر كما حدثني فيما بعد ، ولكن هذا الشعر شعر محبة ، فقد خيل لمحمود ذات يوم أنه جدير بأن يقف من فاروق موقف المتنبي من سيف الدولة ، وخيل له وعيه السياسي المحدود أن الحياة لابد أن يكون فيها ملك وشاعر ، وأن ما هو غير ذلك هباء وهواء ، ولعل مما ساعد محمود على هذا التصور أمران ، أولهما أنه نشأ في ظل التراث العربي ، وكان أقرب الشعراء إليه هما المتنبي وأبو تمام ، وكلاهما من كبار الشعراء وكبار المداحين ، وثانيهما أن محمود حسن اسماعيل كان يلوذ في مطلع شبابه بزعيم الأحرار الدستوريين في عصر محمد محمود باشا وهو سليل أسرة من أعرق الأسر المصرية ، وهو أيضا الخصم الأول لمصطفى النحاس زعيم الوفد وزعيم الحركة الشعبية المصرية ولقد حدثني محمود حسن اسماعيل ذات يوم كنا في بلدته بصعيد مصر ، وهي قريبة من بلدة محمد محمود باشا ، أن هذا الباشا كان يحبه ويؤثره ، رغم الفارق الكبير بينهما من حيث الأصول الاجتماعية بل كان يقدمه على بعض الذوات من أعوانه .

ولقد قاده حبه لمحمد محمود باشا الى مدح فاروق ، ولم يكن مدحا مما جرت به العادة عند أوساط الشعراء ، ولكنه مدح على القدر من الفن مثري بالصور البيانية الرائعة ، جليل بالإيقاعات وحواشي الموسيقى . لقد صدر هذا الديوان في عام ١٩٤٦ . وحين قرأناه (أنا وصحبي في المدرسة من شداة الشعر) أوشكنا أن نحفظه ، ثم قادنا

محمد محمود باشا

مصطفى النحاس

هذا الديوان الى ديوانيه السابقين «أغاني الكوخ» .. وهكذا أغني».

واكتفت بقراءة هذين الديوانين «دائرة العشق» ، ورجعنا الى الصفحة الاولى لنجد ان اولهما قد صدر في عام ١٩٣٥ ، وصاحبه طالب في دار العلوم ، وثانيهما قد صدر في عام ١٩٣٨ ، وفي الديوان الأول لا ملك إلا الشعر ذاته ، ولا ملهم الا الريف المصري بنخيله وزهره وسنابله وغربانه . اما في الديوان الثاني فقد بدأت النغمة «الملكية» تستأثر ببعضه ، في لهجة ناضجة متمكنة .

فاروق حبك في القلوب عقيدة
أخذت سراها في القلوب مع الدم
قسمت مع الإيمان قدس مكانه
في الروح ، وهو لغيرها لم يقسم
والشرق يقرأ في جبينك آية
فجر الربيع بنورها لم يوسم ... الخ

ولكن «فاروق» لا يستأثر في هذا الديوان إلا بثلاثين صفحة من صفحاته التي تجاوز المائتين ، اما بقيتها فهي حديث شاعر يخلع على الطبيعة اثواب خياله ، ويتغنى بمواجده واحزانه ، وهو الى ذلك يمتلك قدرة لا تطاول على تكوين الصورة الشعرية ولم عناصرها على غير ما ألف جيله من الشعراء حتى ليكاد يصدق فيه ما قيل عن أبي تمام من انه قد تجاوز عمود الشعر التقليدي الى عمود شعري جديد .

إن عناصر خيال محمود حسن اسماعيل تختلف كثيرا عن عناصر خيال الرومانسيين من معاصريه ، فهم يذكرون لك الورد والطير والشجر والأسى ، أما محمود فقاموسه غريب عنهم ، إن قاموسه هو التهاويل والحقول والرفات والهشيم والهياكل والرهبان والبوم والدجى والصخور والضجيج .... عالم عليه برقة كأنها الحنق ، وموسيقى كأنها الصخب .

استمع اليه يصف نفسه حين خالفته حبيبته :

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] كالموت في ربيع الحياة
كرماد القبور كالمعبد المهجور
كالرجس في جنوب العصاة
كأنين الغريب في وحشة الليل
كلطم النوادب الثاكلات
كنشيج الأيتام ملوا من الدمع
وملوا برعشة الأمهات
كحنين المشتوق خط عليه الموت
سطار عمره المحات
هكذا صرت بعد ما غبت عني
في الأسى والنحوس ضاعت حياتي

● ●

تغيرت الحياة في ناظري محمود حسن اسماعيل بعد عام ١٩٥٢ ، وبخاصة وقد نقلته الحكومة الجديدة من عمله بالإذاعة الى التدريس وهو عبء اكبر من ان تطيقه روحه القلقة ، هنا لاذ محمود في شعره الذي ابدعه بعد ذلك بعالمه الداخلي ، يحاول ان يستقطر فيه بعضا من حكمة الحياة والموت . وكان ذلك هو التحدي الأول لموهبته التي نشأت في ظل التراث العربي المعني بظاهر الحياة ، وما فيها من ألم الحب أو لذة المدح والهجو . أما التحدي الثاني لتلك الموهبة فهو نشوء حركة الشعر الحديث بما ارسته من آفاق جديدة للشعر واسلوب جديد للموسيقى الشعرية .

ولقد قال لي محمود اكثر من مرة انه اول من شق للشعر الحديث طريقه واسمعني بعض شعره التفعيلي الذي كتبه في أواسط الثلاثينات ، ولعله كتب هذه الخاطرة في إحدى المجلات بعد ذلك . ولقد وافقته على انه من رواد الشعر الحديث إذا عنينا بالحداثة حداثة التجربة واصالتها ، ولكن واقع الامر ان دواوين محمود حسن اسماعيل التالية لديوانه الرابع (اين المفر) كان فيها سعي شاعر عظيم إلى امتلاك المعاني التي لاتتصل بالتجربة والانفعال بقدر ما تتصل بالتأمل والفكر .

● ●

... ت لأنور المعداوي ، وكانت له مقالات متتابعة في «الرسالة» عن «علي محمود طه» الذي نسب إليه مذهبا في الشعر هو مذهب «الاداء النفسي» .

– أريد أن أجلس إلى علي طه .

وقال لي أنور :

– إنه لا يأتي الى هذا المقهى ، ولكنه يجلس في محل «جروبي» بميدان سليمان باشا .

وذهبت الى جروبي عدة مرات ، واختلست النظر حتى رأيته ... هيئته ليست هيئة شاعر ، ولكنها هيئة عين من الأعيان . وخفت رهبة المكان ، فخرجت .

ولم يسعف الزمان فمات علي محمود طه في عام ١٩٤٩ ، وبعدها بقليل مات الاعجاب به نفسي . واكاد اقول ان علي طه لم يعد يقرؤه احد من شداة الشعر في هذا الزمان رغم انه كان يوما نجما لامع البريق .

... فلنحاول معا كشف هذا السر في حديث قـــادم .

صلاح عبد الصبور



كلمة السر في وجه العاصفة

العالم كله يعيش هذه السنين ، بل هذه الاشهر ، مناخ تغيير كبير ... ومن الضروري والمصيري أن ندرك حقيقة ذلك لنستعد لمواجهته ، ونحوله الى عنصر قوة لنا ، بدل ان يجرفنا باندفاع حركته المذهلة ونحن نتفرج مشدوهين ونوزع بيانات «الادانة» لهذا الحدث ، والاستنكار . لذلك :

● الوضع العالمي كله تحول من الوفاق الى الحرب الباردة بين الكتل الدولية ، وهذا لا يعني مجرد تغيير في المواقف السياسية . إنه يعني تحولات في المواقف العقائدية والاجتماعية والنفسية وتبدلا أساسيا في تفكير قيادات الدول الكبرى وطريقة رؤيتها لحقائق العالم .

● في عالمنا العربي حدثت تغييرات وتبدلات لا داعي للدخول في تفاصيلها لأنها أصبحت واضحة ومفهومة لدى المواطن العربي وخلاصتها ان انقلابا في المعادلات العربية قد حصل قوميا وفكريا ونفسيا . وهذا التحول لم يؤد الى نتيجة ثابتة بقدر ما فتح المجال للتطورات لاحقة مجهولة ، في ظل التشتت الحالي الذي أحدثه . ومن علائم هذا التشتت والقلق تلك الاحداث المفاجئة العنيفة التي تظهر على السطح في البلاد العربية ، مع ما يرافق ذلك من التضاد القبلي المستقطب بين الاوساط العربية الشابة على امتداد العالم العربي ، في ظل خيبة عميقة من الغرب وحضارته وسلوكه السياسي ، وفي ظل العجز العربي ذاته تجاه اسرائيل ثم تجاه الغزو الروسي لافغانستان ، مع الاخفاق في استيعاب حضارة العصر بشكل فعال ، وافتقاد حس الحرية والعدالة ، في معظم التجارب القائمة وأكثر الاوضاع الراهنة .

● وفي العالم الاسلامي الكبير المحيط بنا لا يقل الامر خطورة عما هو عليه في الوطن العربي ، ففي ايران ذهب نظام عمره أكثر من خمسين سنة بكل ما كان يمثله من اتجاهات وأفكار وعلاقات ، وجاء نظام مختلف عنه تماما بكل مؤثراته ومتغيراته الداخلية والاقليمية والدولية . وفي افغانستان جاء تواجد قوة كبرى توسعية وذات صبغة ايديولوجية معينة ، بكل مخاطره وما يترتب عليه من نتائج في هذه المنطقة الحساسة من العالم أما في تركيا فتتعرض تجربة أخرى عمرها خمسون سنة أيضا لاهتزاز عنيف . إن التجربة الكمالية التغريبية تتشطر اليوم في تركيا بين الاستقطاب اليساري والاحياء الاسلامي . ولا ندري كيف ستستقر الامور في النهاية ولكن المؤشرات تدل على أن تخمرات عميقة تتفاعل تحت السطح .

● في الشرق الجديد المستيقظ لا تقل علائم التغيير عمقا ودلالة . ففي الصين جاءت قيادة جديدة مختلفة عن القيادة القديمة في تفكيرها وتعاملها مع الوضع الداخلي والدولي .

وفي الهند ذهب اتجاه سياسي وجاء مكانه اتجاه آخر مضاد له بنظرة جديدة الى الداخل والخارج على حد سواء .. هذا حتى لا نذكر التحولات والتقلبات التي نسمع عنها كل يوم في القارة الاوربية المشهورة باستقرارها ، وفي أسواق الذهب والعملات الصعبة ، وفي بلدان افريقيا وامريكا اللاتينية ..الخ .

● ومن حسن حظ العرب إن التيار العنيف من العاصفة يدور في الشريط المحيط بهم ولم يضرب في العمق العربي بعد .. أقول من حسن حظهم .. لأن التاريخ – ربما للمرة الأخيرة – قد أعطاهم الفرصة لرؤية هذه الاحداث العاصفة عن قرب ، والاتعاظ بها ، وأخذ العبرة من معانيها ، ليتفادوا حدوثها عندهم بالشكل العنيف الذي حدثت به عند جيرانهم وليدركوا بوضوح وصراحة : أن التغيير التاريخي أمر لابد منه ، ولا يمكن التهرب منه ، والتحايل عليه ، وتأجيله بالمهدئات والمسكنات .

● لا يمكن تغييب جزء من المجتمع وترك الجزء الآخر على وضعه القديم .

● ولا يمكن السير على النهج التقدمي في الصناعة والتنمية والاقتصاد والسير على النهج المحافظ جدا في التقاليد الاجتماعية ووضع المرأة في المجتمع فذلك تناقض وازدواجية ، بل انه علة الانشطار والصراع والتمزق .

● التنمية في الصناعة .. تحتم التنمية في التفكير والمعرفة .

● التنمية في التربية .. يجب أن تواكبها تنمية في الحياة الاجتماعيـــة .

● التنمية في الحياة الاجتماعية .. تتطلب التنمية في الحياة السياسية وقس على ذلك ..

● إن النمو المتكامل هو ضمانة المستقبل .

● ولا يمكن أن يعيش مخلوق ، فردا كان أم جماعة ، إذا تنامت عضلاته – مثلا – وبقي عقله أو قلبه محدود النمو .. هذا ضد قانون البقاء .. ذلك القانون الذي تعلمه تصغارنا في المدارس عندما نقص عليهم نبأ انقراض الديناصور .. فهل يجوز أن ننسى هذا القانون الحتمي عندما نفكر في بقائنا كأمة ومجتمعات وأوطـــان ؟

«التقدم والتغيير – بشكل متوازن – في كافة مجالات الحياة» هذه كلمة السر في عالم اليوم ... بل خشبة الانقاذ لمن أراد أن يحيـــا ...

دكتور محمد جابر الأنصاري



هواية الصقور في قطر

تحقيق: نادية زلق ـ عدسة: كمال راشد

عندما سأل أبو جعفر المنصور أبي دلامة عن أحب أنواع الطيور إلى قلبه قال : أحب الصقر الطويل النفس ، الأسود الجنس ، إذا صاد أشبع ، وإذا أمات أوجع ، يصيد الكبير ويعفو عن الصغير .

وهذه العبارة تلخص ميزات الصقر الجيد حتى وقتنا الحاضر ..

وهي ميزات يضعها دائما في الحسبان هواة الصقور في قطر ، فهم يقتنون أنواعا عديدة من الصقور منها الباز ، وأحسن البزاة ما خف ريشه مع حدة في عينيه واتساع واحمرار ، ورأسه صغير وعنقه طويل ، وله ساقان ضامرتان ، وفخذان مملوءتان باللحم ..

ويقال عن الباز انه أسرع من السهم ، لأن طيرانه سريع وهو محب للنظافة ، ويقبل على المدرب النظيف ويجلس مطمئنا بين يديه ، وينفر من الشخص كريه الرائحة ويصل حد النفور إلى درجة التأثير في شهية الصقر ورغبته في الصيد !

أمهر الصيادين

ومن الأنواع الأخرى التي يجيد اقتناءها هواة الصقور ، نوع لا يتحمل الجوع الشديد ولا الشبع الشديد ، يسمى الشاهين ، يغضب بسرعة إذا ما حاول مدربه أن يؤذيه ، وهو مدلل لا يتحمل التعب والمشقة ، ولكنه من أكثر الطيور مراوغة في تعقب فريسته من حيث الإقبال والإدبار ، إلا أن ذلك لا يتم إلا في مسافة قصيرة !

والشاهين يستغرق وقتا طويلا في تدريبه لرفاهيته وحدة مزاجه ، كما انه ينسى سريعا ما يتعلم .. وهو يحب العيش بالقرب من الشواطىء ويأكل من طيورها !

وعلى خلاف الشاهين ، نجد الصقر الحر يهوى الحياة في الصحراء وفي الأجواء الحارة ، حيث يجد طعامه من الفئران والأرانب والطيور بعد جولات شاقة من البحث !

وينظر القطريون إلى هذا النوع من الصقور نظرة إعجاب ، فهم يعتبرونه من أمهر الصيادين لأنه قادر على الطيران لمسافات طويلة بدون تعب ، وطعامه

هواية الصيد في قطر

الصقر الجيد هو الصقر طويل النفس الأسود العين إذا صاد شبع .. وإذا مات أوجع .. ويعشق الصيد!

قال الصقارون لأحد أصحاب الصقور





عكس طباع الشاهين ، فهو يتحمل الجوع والعطش ، ولا يرفض أي نوع من الطعام يقدم إليه ..

وهناك أنواع أخرى من الصقور مثل الوكري الحر ، وهو يشبه إلى حد كبير الحر في كل صفاته وهناك أيضا الجرموشة ، والباشق ، وتبع الشواهين ، ووكري الشواهين وهي كلها من نفس فصيلة الصقور السابقة .

موسم الصيد

وأكثر متعة للقطريين في رحلة الصيد هي عندما يخرجون بصقورهم لصيد الحبارى ، وهو طائر له طعم الدجاج والبط ، يطير لمسافات طويلة ، وموطنه الأصلي في أفريقيا حيث يعيش في الحقول الفسيحة والبراري ، ويكره العيش في الغابات .

والحبارى عادة تحب العيش منفردة أو في جماعات صغيرة ، وإن كانت تجد نفسها مضطرة لقبول حياة الجماعة في وقت الهجرة ، خاصة عند الطيران من أوربا وآسيا الوسطى باتجاه الجنوب ، حيث تذهب في الشتاء صوب باكستان والهند ، والجزيرة العربية والخليج وصحراء مصر .. وهنا يبدأ موسم الصيد ويتجه الهواة من القطريين إلى باكستان ، وسوريا ، وأحيانا بالقرب من المملكة العربية السعودية ..

وعندما سألت هواة الصيد عن معلوماتهم الأخرى عن الحبارى ، قالوا لي إن منها الصغير والكبير والمتوسط ، ولكنها تشترك كلها في القوة وكبر الرأس وغلاظة الرقبة ، ولها أقدام بثلاثة أصابع وجناحان مستديران ، وريشها كثيف وقوي وبرغم ثقل جسمها إلا أن سرعة طيرانها فائقة .

مقاومة الصقر

وقد عرف العرب الحبارى منذ القدم ، ويروى عن ابن داود والترمذي عن يزيد بن عمر مولى رسول الله ، عن أبيه ، عن جده ، أنه قال : - أكلت مع رسول الله حبارى ! ... وللحبارى طريقة فريدة في الدفاع عن نفسها ضد الصقور ، فقد سلحها الله بكيس في مقدمة جسمها تحتفظ فيه بسائل لزج رقيق ، وتظل تحاور في الصقر عندما يريد اقتناصها ، وتصعد وتهبط ، وتتجه لليمين واليسار ، وعندما تجد الفرصة ملائمة ، تلقى بالسائل في وجهه ، فإذا أصابه التصق ريشه ببعض ، وأصبح مشلول الحركة ، فتصارع هي إلى الهرب سريعا .. أما إذا أخطأ السائل وجه الصقر فإن الصراع يستمر وتظل المحاورة من كل الجوانب ، ويطير فوقها وتحتها حتى ينقض عليها



في الحال، ويأتي بها الى مدربه الذي يسارع الى ذبحها اذا كانت سليمة اما اذا كان الصقر قد بدأ في التهامها فتترك له.

وفي كل مرة يصطاد فيها الصقر فريسة، لابد من مكافأته باقتطاعه كثيرا من اللحم حتى يدرك قيمة المكافأة التي تنتظره على اصطياده لكل فريسة.

والفريسة هنا ليست فقط الحباري، فالصقور تصيد البط والدجاج والارانب وبعض الطيور الاخرى.

أدوات الصيد

ورحلة هواة الصقور في قطر تبدأ عندما يحصل القانص على الصقر سواء بالصيد او بالشراء، فعندئذ يبدأ في تعليمه وتهذيبه.

ومن ادوات التعليم البرقع وهو يغطي وجه الصقر كله عدا فتحة يخرج منها انفه، يضعها مدربه على وجهه عندما يضطرب او يخاف من وجود الناس، والبرقع عادة من الجلد.

ومن الادوات ايضا الدسمة وهي قطعة من الخيش مغلفة من الخارج بقماش سميك او من الجلد او المخمل وتكون قوية وسميكة لتحمي يد المدرب من مخالب الصقر الفتاكة، وهي عادة تكون بحجم يد المدرب حتى الزند، ولها فتحة من الامام يستطيع من خلالها ان يخرج يده.

أما السبوق فهو الخيط الذي يربط من احد طرفيه رجل الصقر والطرف الآخر يربط في اداة تسمى المرسل، وهي عبارة عن خيط مكون من ثلاثة اجزاء يفصل بينها مشبك من الحديد مصنوعة صاموله تدور في كل اتجاه، وهي تسمح للصقر ان يتحرك بسهولة، والجزء الثالث من المرسل يربط في الوكر وهو عبارة عن وتد من الحديد رأسه اسطوانية، محشوة بالقطن ومكسوة بجلد طري، ويقف عليه الصقر للراحة بعد الاكل، ويثبت هذا الوكر في الارض جيدا حتى لا يتأرجح يمينا او يسارا.

وغير ذلك هناك المخلاة، وهي كيس يضع فيه المدرب الحمام الحي الذي يستخدمه كطعم لارجاع الصقر اذا ما طار بعيدا، كما يضع فيه بعض قطع اللحم، وسكينا لذبح الفريسة بمجرد اصطيادها!

تدريب الصقور

ولا يستطيع المدرب تدريب اكثر من صقر واحد خلال موسم الصيد، غير ان هناك قلة تستطيع تدريب اثنين من الصقور في وقت واحد، وهذا دلالة على

ان التدريب يستغرق وقتا ومجهودا ..

يبدأ المدرب بتغطية عيني الصقر حتى يتعود على صوت صاحبه ويألفه وهو يطعمه ، حتى يأنس صوته ، ثم يضعه على الوكر ليهضم في هدوء .

وقبل ان يرفع المدرب البرقع عن عيني الصقر لابد من التأكد من انه قد ألف صوت صاحبه واطمأن لوجود الناس ، وبعدها يبدأ المران الفعلي وذلك بربط قدم الصقر بحبل وابتعاد المدرب عنه لمسافة قريبة ومناداته ، وعندما يتأكد مساعد المدرب من ان الصقر قد التفت ناحية الصوت ، يرفع عنه البرقع بسرعة فيتجه الصقر ناحية صاحبه الذي يعطيه بعض الطعام مكافأة له ..

عرض الصقور

ثم يكرر المران بمسافة أكبر ، ويظل ينادي على الصقر ، ليبدأ المران الفعلي عند وصوله في هذه المرة إلى يد صاحبه الذي يراوغه وفي يده قطعة لحم مغطاة ببعض الريش على شكل أحد الطيور ومربوطة بحبل في يد الصياد ويحاول الصقر الإمساك بالطائر بينما المدرب يجذب الحبل بتركه ، حتى يتمكن الصقر في النهاية من الإنقضاض على الفريسة ، وفي هذه الحالة لابد لمدربه من أن يضع أمامه كل اللحم حتى يشبع تماما ، ثم يأخذه إلى المنحلة ليستريح !

ويستمر التدريب مرتين يوميا ، وبملاحظة التحسن في الإنقضاض ، يطلق الصقر بدون الحبل ليطارد فريسته حتى يمسك بها ، وهنا يكون الصقر قد انتهى تدريبه ، وتحول إلى طائر يطيع أوامر مدربه بصورة عمياء !

ولابد لكل مدرب من أن يهتم بصقره ويرعاه نفسيا وصحيا ويعامله بطريقة تدل على العطف والحب ، فيربت على ريشه في حنان ، وقد يحدثه ، وينظف ريشه باستمرار لحمايته من الأمراض ، ويعتني بطعامه ويختاره له حسب مزاج الصقر نفسه ، وحتى أثناء الهضم يقف المدرب لملاحظة طريقة هضم الصقر وهل هي سليمة أم أنها تحتاج هي الأخرى لمران خاص !



صقر يطارد فريسته

الإنطلاقة بعد رحلة الصيد

والواقع أن هواية الصقور تجري في دماء اهالي قطر واهالي الخليج بصفة عامة فهي جزء من التراث العربي، وكتب التراث نفسها تذكر أن أول من صاد بالصقور ودربها كان الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة، فبينما هو واقف ذات يوم وبجانبه صياد نصب شبكته لاصطياد العصافير، وبعد أن اصطادت الشبكة عصفوراً، انقض عليه أحد الصقور واخذ يأكله، وما لبثت أن علقت الحبال بجناحي الصقر، فأخذه الحارث الى بيته وصار يطعمه ويسقيه، ويحاول تعليمه القنص، وبينما هو سائر مرة بالطريق رأى الصقر حمامة فطار وراءها حتى امسك بها والتهمها، فأمر الحارث بتعليمه وتهذيبه.. ومنذ هذه الحادثة عرف العرب رياضة القنص بالصقور، فكان أشهر من صاد في فجر الإسلام حمزة بن عبد المطلب، أما في العصر العباسي فكان أبو العباس، والرشيد، والمعتصم الذي كان يخصص مبلغا كبيرا من ميزانية الدولة لنفقات الصيد.

وتعد رحلة الصيد بالصقور هواية محببة يمارسها القطريون بمهارة، وعادة يخرج الهواة في مجاميع كبيرة لاتقل عن عشرين شخصا، ويصل عددهم أحيانا الى ستين شخصا او اكثر ويتجهون بقافلة من السيارات إلى اماكن الصيد المعروفة لديهم حيث تنتشر السهول والوديان التي توجد بها الطيور والارانب والبط وخلافه، وهنا تنطلق السيارات بالصيادين، يحملون فوق أيديهم الصقور المغطاة العيون، التي تنتظر لحظة الإنطلاق، لتدخل في سباق مع الفريسة ينتهي غالبا بانتصار الصقر والمضي مرة أخرى في رحلة البحث عن فريسة..

نادية رزق



بعد العودة من رحلة الصيد



في وادي حضرموت

استطلاع خاص لـ ... بقلم الصحفي البريطاني: روبرت ستيفنز

أدت ظروف تاريخية وايديولوجية شبيهة بتلك التي حاقت بالمانيا وكوريا إلى تقسيم اليمن الى دولتين: الجمهورية العربية في الشمال، وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في الجنوب، وباتت العلاقات بينهما تتارجح بين حروبات الحدود والمناداة بالوحدة.

وتمثل الجمهورية العربية اليمنية قلب الاراضي اليمنية المحافظ، حيث يقدر عدد السكان بستة ملايين، وهو اكبر تعداد سكاني في شبه الجزيرة العربية. اما الجنوب فان عدد سكانه لا يتجاوز المليون ونصف، يعيش الربع منهم في مدينة عدن، الميناء الرئيسي والعاصمة، ويتفرق باقي السكان للعيش في الجبال والصحارى التي تشكل معظم مساحة اليمن الجنوبي، التي لا تعود بها إلا زراعة شحيحة في بعض الوديان. واكبر هذه الوديان هو وادي حضرموت الذي يشق طريقه من النصف الغربي للبلاد، من أطراف الربع الخالي مخترقاً الجبال لمئات الأميال في انحداره الى المحيط الهندي، وهو قلب مملكة حضرموت القديمة التي قامت على تجارة العطور والبهارات.

وللبلوغ هذا الوادي ومدنه الاسطورية المبنية من الطين، قررنا السفر بالطائرة من عدن الى المكلا، بوابة حضرموت، والميناء الرئيسي والعاصمة للمحافظة الخامسة في اليمن الجنوبي، ومنها جوا او برا، الى سيئون المركز الرئيسي لوادي حضرموت.

وبدت لنا منازل المكلا من الجو بيضاء ورمادية عالية، ومكدسة فوق شريط ضيق بين البحر وزاوية الجبل



من الجو تبدو منازل المكلا بيضاء ورمادية متراصة ومكدسة فوق شريط ضيق بين البحر ورابية الجبل

انتهى عصر القوافل يوم كان أكثر من ٥٠ ألف جمل تنطلق من المكلا إلى داخل البلاد

عدسة: جون ستيلر

الجرداء ، وقام قصر السلطان السابق على حافة الماء حيث يزدحم الميناء القديم بأسطول من مراكب الصيد المجوّدة الصنع ، وكان العمل جاريا في بناء ميناء يستقبل بواخر تصل حمولتها الى ١٤ الف طن ، وهو خارج المدينة ، تجاوره ثلاثة مصانع جديدة لتعليب الاسماك .

وكانت المكلا قبل الاستقلال عاصمة السلطان القعيطي الذي حكم الجزء الاكبر من حضرموت حكما مطلقا ، وكان يقضي معظم وقته في الهند ، التي هرب اليها عندما انتصرت الجبهة القومية لتحرير اليمن . وقد بقي قصره على الطراز الهندي ، وهو الآن متحف خصص الطابق الاعلى منه لعرض ما يصور حياة آخر سلطان كان يطلق له احد عشر مدفعا تحية له .

نهاية عصر القوافل

ويجري الشارع الرئيسي لسوق المكلا محاذيا البحر ، وتتفرع منه ازقة ضيقة بين منازل عالية منسقة الجمال ، ذات ابواب خشبية منقوشة ، وسرج مستديرة للاضاءة ، واقواس مدببة على نوافذها .

ويظهر الاثر الهندي في المكلا في قصر السلطان الصيفي ايضا ، وهو على بعد ٣٥ كيلومترا على الساحل ، وقد احيل الى استراحة حكومية ، تناولنا فيها طعام الغداء ، وتحدثنا الى معلم من المكلا في الاربعين من عمره ، هو اصغر عشرة ابناء لصياد سمك فقير ، استطاع ان يجد فرصة للتعليم الاولي في ايام السلطان . . أما الآن ، فليس هناك اي امي في اسرتنا ، لا بين الرجال ولا النساء ، انني اخصص وقتا كل يوم لتعليم والدتي القراءة والكتابة ، وقد انضمت نساء الاسرة الاخريات لفصول محو الامية ، واختاي بالمدرسة . .

لا يستقبل مطار « سيون » سوى طائرات ذات محركين ، ولذا كان علينا ان



قافلة الجمال

تقطع مسافة ٥٠٠ ميل بالسيارات على طريق غير معبد، وتمتد لثماني ساعات.

ولقد انتهى عصر القوافل يوم كان أكثر من ٤٠ ألف جمل تنطلق من المكلا الى داخل البلاد. ويقال ان الجمال نفسها هي التي حملت خرائبها، حتى نقلت أول سيارات استوردها المغتربون الحضرميون في أندونيسيا الى حضرموت قبل خمسة وأربعين عاماً. وكانت السيارات قد فككت الى أجزاء، حملتها الجمال في رحلة استغرقت ثلاثة عشر يوماً.

وبعد حين يوغل الطريق الى الداخل عبر تلال رملية حمراء، تتناثر فوقها أشجار صغيرة خضراء، وتلوى في انحناءات حادة وضيقة، صاعداً الجرف المؤدي الى الجول، أو الهضبة العالية. وكان المنظر خلاباً. وكنا نسير كمن يهبط سلماً صخرياً عالياً. حتى خرجنا أخيراً الى وادي حضرموت الذي أسرنا بمشهده الرائع المهيب.

وتتلون هذا الوادي العريض الخصيب في بعض أجزائه تمتد الأميال حتى ملتقى البحر، وتطوقه من كل جوانبه جدران من الصخور الرملية التي يبلغ ارتفاعها ثلاثمائة متر. ويضم الوادي ثلاث مدن هي سيئون و شبام و تريم، بقلاعها وقصورها الرملية، ونخيلها وجنائنها وحقول قمحها.

القلاع الصغيرة

وكانت إقامتنا بفندق السلام، وهو استراحة حكومية في أطراف مدينة سيئون. وعندما نظرنا الى الجنوب الغربي نحو الوادي أثناء سيرنا في أمسية النساء، احسسنا من جديد بحلم السحر، وتعذرنا احساسنا من فقط أنه لوحة من القرون الوسطى، ونشعر بأن الزمن قد توقف. وأن هناك وفاقاً وتناغماً بين الطبيعة والناس وأعمالهم، وأن الرابطة بين المدينة والريف أمر طبيعي، رغم الحروب المتكررة في حضرموت. وكانت الحقول المزروعة تمتد حتى تلامس أسوار المدينة، دون أن تعترضها ضواحٍ، وتبدو النسوة العاملات في المزارع بملابسهن الطويلة السوداء، وقبعاتهن المخروطية العريضة الأطراف، وكأنهن ساحرات عصر قديم.

كان هناك جمال الطبيعة وروعة الضوء في تبدله وتفرده، ورشاقة المباني التي تبدت كأروع ما تكون الجمال شكلاً، وامتزاج اللون الترابي

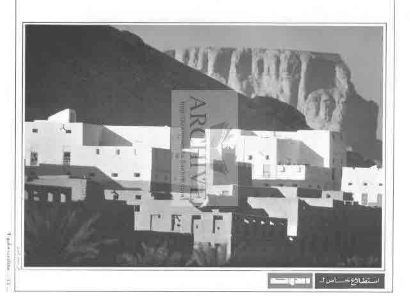




وجه من حضرموت

كمن يهبط سلماً صخرياً عالياً.. خرجنا أخيراً الى وادي حضرموت المهيب.

بجدرانه الصخرية الرملية التي يصل ارتفاعها الى ثلاثمائة متر



البيوت شمخة، والقلاع قرابضة واضحة تحت ضوء شمس الصباح بالشهد غاية في الروعة

النقوش والكتابات والجواهر والحجارة الكريمة والأطلال تخبر عن مدنية عالية في تطورها



العمارة في حضرموت



للقلاع الصغيرة القائمة خارج المدن والقرى مع توزع جنبات الوادي . وتعددت نظم القلاع بتعدد ما خلفته من الدفعات المتقلبة أو بوابات النخيل . كالبة الخضرة . ومختلف ذلك كله جنة أو ذري نخيله ، بمرتفعات وبوابته التي تشكل هيكلا براقا آمرا حيثما تقع السهرة على الحقول والأرض ليغطيها الماء .

وسيون مدينة تجارية ، ذات بيوت واسعة قائمة وسط النخيل والحقول السوية . ويحتل قلبها قصر السلطان الكثيري السابق والقلعة ، التي صارت نقطة للشرطة والجيش ، وهو مبنى ضخم رفيع ، ذو طوابق عدة ، جدرانه من الطوب الأخضر ، مدعومة بالأبيض والأخضر والشمعي . وتروي أسطورة محلية أنه كانت هناك قلعة في نفس الموقع ، وأن قرابة السعملة يمثله أنا المبنى الحالي فقد وضع أساسه قبل مائة سنة .

وكان آخر سلاطين الكثيريين قبل في الخامسة عشرة من عمره عند الاستقلال ، نحته عن الحكم جبهة التحرير ، فلاذ بالجلترا ، والتحق بإحدى جامعاتها .



المباني القديمة

وأجمل مدن حضرموت هي شبام على مسافة عشرين دقيقة بالسيارة من سيون . ويخترق الطريق إليها حقولا زاهية الخضرة في جوف الوادي الكبير . وتقف البيوت الضخمة والقلاع شامخة واضحة تحت ضوء شمس الصباح



ورقص القلة



الساحل



هنا كانت تجارة العطور والبهارات في الماضي

الباكر ، وخلفها زرقة الجبال المظللة .

وتبدو المدينة وكأن قلاعها العالية طالعة مباشرة من القاع الرملي لمجرى نهر قديم جاف . ويمكن تشبيهها بانها ناطحات عربية ، مدينة ذات ابنية بيضاء يعشى البصر ، وذات طوابق ستة او سبعة مجتمعة في تجاورها كانها سحاب على طول الازقة العاثرة الضيقة المتربة ، وحول الميادين المغلقة . ولا يزيد عدد منازلها عن الخمسمائة في الوقت الحاضر ، ولذا لا يمكن بناء اي منزل جديد الا على انقاض آخر . وبها عدد من الجوامع ذات منارات سامقة مبنية من اللبن ايضا ، ومطلية بالتومبر الابيض والاخضر ، ويقال ان عمر بعض المنازل يقارب الثلاثمائة سنة .

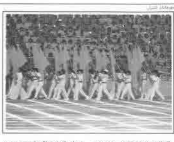
وقد بنيت اسوار المنازل من الطين اللبن وغطيت بطين ممزوج بالجير وعادة ما يتم البناء طابقا بعد طابق بالمال الذي يرسله في دفعات المغتربون في الخارج . وابوابها كبيرة من خشب النخيل المزين بعوارض من الخشب وزينة معدنية ، واقفال عربية قديمة ومسامير ملونة ، وشبابيك نوافذها منقوشة . وبها مشربيات تمكن النساء من رؤية ما يدور في الشوارع دون ان يراهن احد .

وحدثنا رب اسرة فيما يرثيها انه ورث المنزل عن والده الذي بناه قبل خمس وستين سنة ، واستغرق بناؤه ثلاث سنوات وكلف حوالي ٢٥٠٠ جنيه استرليني . اما اليوم فان تكلفته لن تقل عن ٢٠ الف جنيه استرليني .

ما احتجنا نصلحه او نجدده او حتى نعيد طلاءه ، كما قال ، ويمكنه ان يسكن فيه ٢٠٠ سنة اخرى .

تراث مدينة

اما المدينة الثالثة المهمة في حضرموت فهي تريم ، على مسافة ساعة بالسيارة من سيئون ، وهي ، كسيئون ، تقع لاعلى وادى النخيل المتكاثر ، واكثر البساتين الورعين ، وتضم ابانها اكثر المساجد الثلاث تنوعا وروعة في معمارها ، ومنها جامع فريد في نوعه ، له مئذنة شامخة ، ضخمة ، مائلة ، مصبوغة بالطين اللبن المظهر بالابيض والاخضر الفاتح والوردي ، وعمرها ثلاثمائة سنة ، لكن المئذنة جديدة ، إذ بنيت قبل ستين عاما فقط . وصعدنا ١٨٥ عتبة داخل المنارة حتى بلغنا قمتها الضيقة لننظر المدينة من هناك . وكانت البيوت التي رأيناها



خليطا من انواع المعمار المختلفة ، فسألنا احد البنائين الكبار في تريم ليفسر لنا كيف تبنى تلك البيوت الكبيرة ذات الطوابق العديدة ، من الطين وبتلك المتانة ، وكيف لا تسقط وليس لها اساس متين من الخرسانة او الاسمنت او الخشب ... فحدثنا السيد العبيد مبارك بريك انه تعلم الصنعة من ابيه ، وقال :

« لنا نحفر الاساس حتى نصل ارضية صلبة من الصخور ، ثم نبني الاساس ونشده بالحجر حتى يصل مستوى نتأكد ان الماء سواء من المطر او الري لن يؤثر فيه ، ثم نضع الطوب الاخضر فوقه » .

« وإذا كان البناء حاذقا ودقيقا في مقاساته فلن يحدث شيء يضر بالبناء ، فالطوب الاخضر مقوى بالقش قبل حرقه تحت الشمس ، ونغمس كل طوبة في الطين قبل ان نضعها على الاخرى » .

« وبعد اكمال بناء البيت ، نقوم بتبييضه من الداخل ، ثم من الخارج بالجير الذي نحرقه في الفرن ثم يتم سحقه ثماني مرات حتى يصبح ناعما ، ويختلط بالماء ، ويصبح لونه زاهي البياض ، ثم نضع وجها آخر ونجلوه حتى يلمع » .

وفي سيئون ايضا قابلنا واحدا من الاساتذة البارزين هو جعفر السقاف ، المسئول عن المتحف والمركز الثقافي بالمدينة ، وقد جمع لنفسه مكتبة تضم اكثر من الف كتاب ومخطوط ، ورث بعضها عن والده الذي خط الكثير منها بيده ، كما خط المصحف الشريف وبعض الدواوين لشعراء من سيئون .

ومازال امام علماء الحفريات والآثار الكثير مما يجدر البحث والتنقيب عنه في تاريخ حضرموت وجنوب الجزيرة العربية . وحتى يتم ذلك فان الحقائق القليلة الراسخة والمقبولة لدى العلماء تعتمد على التراث المروي عن الماضي ، والذي اصبح السقاف حجة فيه .

طريق البهار

لقد اتى ذكر حضرموت في سفر التكوين ، كما ذكرت تحت اسماء مختلفة في اعمال جغرافيي الاغريق والرومان ، وفي اعمال الرحالة ، وهي واحدة من سلسلة من الممالك التي قامت في جنوب الجزيرة العربية ثم انهارت حوالي الالف قبل الميلاد والمائة الثالثة بعد الميلاد ، وضمت اوسان وقتبان وسبا وحمير ، ويزعم ان سبا هي المملكة التي قامت ملكتها بزيارة سليمان في القدس .

وقد تركت ممالك جنوب الجزيرة العربية آثارها في النقوش والكتابات والجواهر والحجارة الكريمة والاطلال الدارسة التي تنبىء عن مدنية عالية في تطورها ، قامت على ثروة جمعت من تجارة التوابل والعطور والزراعة المروية .

وكان طريق البهار يبدأ من ظفار في عمان ، وبعد اعادة شحنه في قنا على ساحل اليمن الجنوبي في منتصف الطريق بين المكلا وعدن ، يحمل البهار الى داخل البلاد الى شبوا التي كانت عاصمة حضرموت في زمن غابر ، ومنها

الى مصر وسوريا واوربا .

وقد بدأت حضارة جنوب الجزيرة العربية في التداعي والانهيار عندما ألغت التجارة نحوا تجارة القوافل ، وتخلت الحروب المستمرة نظام الري ، حتى كانت الفاجعة الكبرى يوم انهار سد مأرب العظيم في القرن السادس .

ما بعد الطوفان

ثم كان ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي .

ويروي الحضارمة أقسم تاريخهم بصور مختلفة ، ففي رواية لهم أن جنسا من العمالقة من أبناء عاد جاءوا إلى حضر موت بعد الطوفان تحت قيادة شديد وابنه شداد ، وبنوا مدينة من الذهب والفضة طوبها ، مدينة تجري بها انهار العسل .. ولكن الله أبادهم عقابا على خطاياهم .. ثم جاء بعدهم أبناء قحطان .

ويعتز التقليد الحضرمي بنبي الله هود كرمز لأصلهم ، وهو أول نبي عربي بعد ابراهيم واسماعيل ، وقبره في أقصى الشمال الشرقي لوادي حضر موت ، كان ومازال مركزا يزار .

ويروي السقاف أن مدينتي شبام وتاريم جزء من دولة حمير ، وانهما تاريخا أطلتين لما يربو على الألف سنة . أما سيئون ، فإنها أقل من ألف سنة لأنها لم ترد في قائمة مدن الجزيرة العربية التي أعدها الجغرافي العربي الشهير الحمداني ، المولود في صنعاء قبل ألف سنة ، ولكنه ذكر شبام .

وشهدت نهاية القرن الخامس عشر وصول سلاطين الكثيريين ، الذين استخدموا جيشا مأجورا من القبائل وانتزع السلطة لنفسه أخيرا ، وكان القعيطيون الدعم عاما ، ومركزهم المكلا ، واستقر الحال بعد التدخل على الساحل وعلى جزء من وادي حضرموت حتى شبام نفسها .

وظل الكثيريون يسيطرون من عاصمتهم سيئون على بقية أجزاء وادي حضر موت بما فيه تاريم .

ومع ذلك فإن كثيرا من القرى كانت تشكل دويلات مدن صغيرة ، لا تعترف بأي سلطة عليها ، ولم تعرف سوى الاحترابات فيما بينها وكانت محمية ومحصنة كقلاع .. وقد أدى ذلك إلى ابتعاد الأجانب عن حضرموت ، وشجع على الهجرة للعمل والحماة في الخارج .

وقد تخصص المهاجرون والمغتربون في التجارة والعقارات ، واثروا ثراء كبيرا . كانت الهجرة بنسبة ٢٠٪ من الرجال الى الهند وسنغافورة وماليزيا واندونيسيا وشرق افريقيا ومصر وثغور البحر الأحمر وفي وقت متأخر هاجر كثيرون إلى السعودية ودول الخليج العربي البترولية .

وقد ساعد المال الذي ظلوا يحولونه بانتظام في إعالة أسرهم التي تركوها وراءهم ، والتي يعودون إليها في آخر المطاف .. كما تم بها تمويل بناء البيوت الفخمة في مدن وادي حضرموت .

روبرت سيتفنز

بيوت شبام

التعليم


العم
سيد
طيب
القلب
بريشة
الفنان
عبد السلام


الرجل والنملة
د. يوسف إدريس

بعيون فاغرة رحنا نراقب الباب وهو بالعصبية الشديدة يفتح والكتلة البشرية تدفع من خلاله لا نتبينها إلا حين فقط تستقر في ركن الزنزانة الفارغ حتى السباب المعتاد الذي كان لابد بصاحب الفتح والإغلاق والتكويم، من فرط الدهشة، لم نتبينه إذ قد حل الصمت لا نجرؤ على قطعه مخافة أن يجد جديد وأن يكون وراء البداية ماوراءها.

يتعلق الظلام في الخلاء بعد التمام الخامسة تماما موعد. النزلاء صامتون لعقده إذ المفروض أن يحل الصمت ليتمكن حراس الليل من التغيير مع حراس النهار ويتمكن شاويش النهار من تسليم شاويش الليل، صمت يهيىء للصراخ أن يتعالى إذا حدث خطأ وأفلت نزيل من الإحصاء وارتبك العدد. الباشاويش هو المخطىء ولكن الشتائم تنهمر فوق رأس النزلاء، ونمة جرى وصوت الكوالين الحديد يزال وأبواب أخرى تدهد حتى انكاد تهد الحلقة الحجري، وأخيرا، يجرى الزئير النهائي لمفصلات باب العنبر الكبير، وتخفت الأصوات مع الأقدام مبتعدة، ويحل الصمت، ويستمر. للتأكد أنهم جميعا ذهبوا، وأن النهار المتعب انتهى، ثم، وكأنما فجأة، تنفجر من الصدور الزعقات والقهقهات والشتائم مكونة مولد المغربية المعتاد.

السكوت في العنبر طوال النهار أحد الأوامر الصارمة، الألسنة تنمس في الأفواه لقلة ما تتحرك، الحناجر مخشوشنة من فرط السكوت، فقط حين تذهب قوة النهار ويترك العنبر في حراسة ثلاثة حراس ليل عواجيز في الغالب وقريبي الإحالة الى المعاش، فقط حين يطمئن الجميع إلى ذهاب الجميع يفرج كل نزيل عن لسانه ويبعث الحياة في شفتيه وفمه وصدره ويزعق ويشتم بكل ما يملك من قدرة وقوة يصرخ ويشتم وينتقم من السكوت وأوامر الشلل ويزاول الغريزة التي طال حبسها غريزة أن يشتم، فمن فرط ما يتلقى النزيل من شتائم طول النهار وهو عنها ساكت يبالادر متسابح فتكون له فعلا غريزة الشتم تنهال بها كل زنزانة على زنزانة، ويتبارى في مزاولتها الجميع.

في أحيان قليلة جدا يحدث، أن، فجأة، يدور المفتاح في قفل الباب الكبير ويفتح العنبر، وهنا، وفي لمحة خاطفة واحدة يتسمر كل شيء في مكانه ويحل أعمق وأغرب صمت ... صمت الترقب الرهيب لما عساه يكون السبب في فتح الباب.

وتتعدد الأسباب وتكثر، وذات مرة تجد السبب باب زنزانتك وهو لروعك يفتح، وكتلة بشرية داخل ليعود الباب فيغلق قبل أن تسأل أنت القادم أو يفتح هو من تلقاء نفسه فمه للكلام تنهمر مئات الأسئلة من قريب ومن بعيد ومن أقصى الدور الثالث نفسه تتساءل عن حكاية هذا الذي يحل، فلا تدخل بعد التمام إلا حكاية مهولة، لابد في الحال أن تعرف، وهكذا إن لم تطفر وتحث، حتى قبل أن تعرف تنشعا من الإجابة، تنهمر عليك أنت الشتائم هذه المرة وتوبخ عشك أهلك وتاتيك أحيانا ضهجة من أمواتك، تتعصر شتائم غريبة تعجز لها نفس حصى ... وتحقيق ... وتسب ... أهلي وحشدهم وتكديسهم هكذا في علب محبوكة من الزنازين والحجرات.

- ما بك ياعم ... خير ..

سمعت أنا وحمزة زميلي في الزنزانة الذي تصادف أن اسمه يشبه اسم قائد السجن الحربي حيث تتم كل ألوان التعذيب، تشابه كان يجعله ويلتقى يجعلني هدفا لتعليقات ونكات وتعذيب لا حد لها.

- مالك ياعم مالك؟!

قالها حمزة هذه المرة يأمل أن يجيب القادم، ومكوما في الركن لا يتحرك كان لا يزال، الأسئلة تترى تخترق باب الزنزانة المصنوع من قضبان متوازية من حديد، لا إجابة، والنتيجة سيول من الشتائم للمغشي وتلعن حمزة!! ما أغرب قدرة الإنسان على تعذيب نفسه وتعذيب الآخرين إذا وقع عليه عذاب لا يتنفس منه. معذبون يعذبون معذبين. ما أبأسه من محبس داخل محبس وعذاب في قلب عذاب.

لا رد ولا تحرك ولا يبدو عليه أنه سيرد، أيكون ما نسمعه منه ليس تنفسا عميقا إنما هو تشنج وبكاء، بكاء الصامتين لا حول ولا قوة، وجدنا أنفسنا نقترب من الرجل تحيط به مشفقين. أيدينا تتحسس عليه وتستخرج كنزنا الثمين، الشمعة الوحيدة التي نملكها وندخرها للحفلات الحاجة القصوى، أشعلناها بضوئها الذي بدا باهرا، مددت يدي ورفعتها من الكتف إلى الرأس أعدله وأرى الوجه.

كدنا نموت أنا وحمزة رعبا، فكلانا طبيب ونعرف ماذا تعنيه تلك الصفرة المتكاثرة المتشاحبة التي لونت الوجه، الحدقات الواسعة المفتوحة وفي تمعن النظر في الفراغ وفي اللاشيء، فالرجل شبه مات، انهلنا عليه بالأسئلة نستقصي إن كان قد ضرب وأين ضرب وأي مكان من جسده يؤلمه أكثر. قسنا النبض وعددنا مرات التنفس، الصدمة فعلا واضحة ولكن لا أثر لأي إصابة في الجسد، لا جرح، لا خدش، لا بطن منفوخ، لا شيء. تنفيذا للمعاهدة المعقودة مع الحارس الليلي سأوعداد على كوب القهوة أصر على عشر سجائر ونحن لا نملك إلا علبة والقناد على مضض كثير، أخيرا أصبح في يد الرجل كوب قهوة معتز المذاق في تلك اللحظة، وسيجارة (وينجز) مأخطها، وعلى ضوء الشمعة دماء قليلة بدأت تسري في الوجه الخراب، وهمهمة تعتعة، تنهدات الكل يختلط بالكل والكلمات بالأصوات والإشارات.

ورفض أن يفصح.

نلح عليه بكل ما نملك من طاقة الحلح، والرفض المادي على هيئة صمت هو وحده الجواب، تشاورنا أنا وحمزة: أنتركه؟ نخفف الوطء عنه؟ نترك كل شيء للصباح؟ ولكن حب الاستطلاع فينا لا يمكننا تحرر أنفسنا مقاومته، والإلحاح. إلحاحنا وإلحاح بقية الحجرات والزنازين كلما زاد كلما احتمى الرجل بصمته، وتداخلت رغبتة في الإفضاء كما يتداخل حيوان القواقع إلى عمق القوقع كلما شعر بلمسة الأصبع.

تركناه، حتى كاد يغلبنا النوم وعلى الألسنة المطلقة في الخارج قد سكتت.

الرجل والنملة

ـ هل سأموت ؟

رفع الرأس فجأة بالسؤال ، وكأنها اجابة متأخرة جدا عن قولنا له : نحن أطباء . لا تخف . فمفص خفى تستريح ، ولا تخف . فنحن نريد مصلحتك ، نحن أطبـــاء .

ـ هل سأموت ؟

ودون أن نتفق ، لم نجب . رحنا فقط ننظر إليه ولا نجيب .

لم نكن نريد ازعاجه حتى لا يتمسك بموقفه .

فجأة وجدت حمزة ينفجر فيه غاضبا مؤنبا إياه على هذا الموقف المقفول الذى لا معنى له بالمرة . معتقل سياسى ، ألست كذلك ؟ كان واضحا من ثيابه المدنية أنه ليس مسجونا . إذن لماذا هذا التشبث بالصمت . اختلف هو على نفسه ، وماذا يمكن أن يحدث له أسوأ من هذا الذى حدث والذى جاءوا به إلى هنا بسببه وعلى تلك الحال القريبة من صدمة الموت ؟!

فعلا .. يمكن أن يكون جرى لك إيه ؟ لتحقق تنفس وتنهد وقال بسلطة ونظراته تعود لتغطس فى الفراغ :

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض .

وكدنا نبتسم فى رثاء ، فماذا يمكن أن يكون ؟

وعاد يقول :

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض حدث لى مالم يحدث لبشر .

ومرة أخرى استخففنا بكلامه وكدنا نقهقه . سبعة عشر شهرا ونحن فى هذه الزنزانة معا . كان سجن مصر محطة يتوقف القادمون فيها من السجن الحربى فى طريقهم لطره وأبو زعبل والواحات والقادمون من تلك الليمانات فى طريقهم للمستشفى أو للافراج أو لعذاب آخر فى السجن الحربى . وارد وصادر وحركة دائبة جعلتنا نصادف كل ما يمكن أن يخطر على البال من تهمة ومتهمين ومعتقلين وأسباب اعتقال ، وتعذيب ومعذبين .. النفخ والضرب وكى نصف البطن الأسفل وكل شىء . ولم تبق وسيلة لم نعرفها أو بات لها ذكر . وكل متهم

يحمل هذا القادم .. يعتقد أنه الوحيد الذى حدث له هذا أو مارسوا معه ذاك ماذا يمكن أن يكون قد وقع له ؟

ـ أوحش شىء على ظهر الأرض .

ـ ماذا معتوه ؟

ـ نمت مع نملة .

ـ وانفجرنا ضاحكين .

طبعا هو لا يبدو مختل العقل وإن كان واضحا أنه فى طريقه لاختلال عقله ويوجه جد صارم يحمل كل ما فى هذا العالم من ندم يقولها . نام مع نملة ، وانفجرنـا ضاحكيـن .

وإلى الصباح التالى ظللنا نضحك ونتذكر ملامحه وهو ينطقها فتصفق معداتنا بالمغص من فرط ما نتذكر ونضحك . وعلى رأى كابلة وبسمة قلنا له فى الصباح التالى ـ وكان تقريبا لا يزال على نفس جلسته ورقصته . واتكالنا على نفسه ـ وكيف كان ذلك يا أستاذ ؟

ولم يكن تبدو عليه سيماء المعتقلين السياسيين . معظمهم كانوا متقفين ، حليقى اللحية والشارب ، خريجى أو طلبة جامعات . هذا كان له شارب ، أصفر وغزير ومتهدل على شفته العليا يكاد يلامس السفلى . وجهه خشن لا بد من كثرة مزاولته عمله خارج المكاتب والمنازل حيث الريح والتراب ولفح الشمس . فى الحقيقة لم نفاجأ حين قال لنا إنه عمدة . حين نستخرجه من الحالة التى كان عليها ، والسلابة التى آلت إليها ملامحه وقوامه وتفزيزه ، وتوقظه وتعيدة سيرته الأولى ويتبدى لك على حقيقته تجد أنه حقا مصدقا لأنه كان واحدا من أولئك العمد من طراز الحرس باوله ، شنبهم ، كريم ، مدمج الضيف خروفا ، ويسافر إلى آخر الدنيا تلبية لنداء مستغيث . عمدة ومعتقل سياسى ، جديدة جدا هذه المرة ، والمكنة أن يكون عمدة متهما بالعمل السياسى .

فى الليلة التالية ساءت حالته وارتفعت درجة حرارته وأصبح نبضه ١٤٠ وبدا وارم الوجه مختنق السحنة وكأنما سينفجر بعد قليل . لم يكن هناك بد من أن يفضفض ذلك العمدة المعتقل عن نفسه وإلا حدث له فعلا ذلك الذى وصفه بأنه أوحش ما فى الدنيا ، ومات .

وتكلم .

متقطع الأنفاس .

أخرج من صديريه البلدى الداخلى علبة سجاير (كرافن ا) عشرين سيجارة كاملة ، وعزم علينا ولم نصدق أنفسنا ونحن ننفث دخان الكرافن وكل ما نملك وما أصبح لنا من طول بال مصمم على كلماته التى تخرج بعد عناء ، ونهاية بين الكلمات .

تكلم .

بدأها من منتصفها ، أو من حيث بدأ يهتم هو بها . لا نعرف . قال هذا الوغد . يوسف بحرى . فتشنى بالأمس فعلا فتشنى ، سأموت ، ولكن أن

أموت قبل أن أعرس أسطلي في زوري وأقضم حنجرته .

جالسين وفي أمان الله وبعد يوم شاق من تكسير الحارات وحمله في المقاطف والسير به بضعة كيلو ، من السابعة والحجر فوق أكتافنا والرمل في عيوننا وأفواهنا وأقدامنا العارية يفترس فيها الشوك والزلط والمسامير ، وجلسنا آخر النهار ، قبل طابور العودة نستريح وكانوا ثلاثة ضباط أحدهم هذا الحسيني يونس بحري ، ثلاثتي ، منذ أن رأس ورتبته وأنا أشفق عليه وأعلم أنني أن ينادينى ، ماداني ، تلكات ولكني قلت اقصر الشر والبي نداءه . ذهبت . وقفت ، تركني واقفاً وشغله في حديث فاتر مع زميليه . قلت : أفندم . رمقني بنظرة ثم عاد إلى حديثه الفاتر . اللهم طولك يا روح قلت . وعزمت أن أؤجل أي اشتباك فجسمي مهدود ولن أحتمل أي ضرب والبداية واضح أنها ستنتهي بضرب ، اقصر الشر يا ولد ، واصبر .

هناك ، بعد ربع ساعة أو أكثر ، التفت ناحيتي وقال : روح هات نملة من هناك ، وأشار إلى كومة تراب قريبة .

صحا مخي من غفوة الوقوف وخيل إلى أنى لم أسمع جيداً ، سألته : أجيب مالة؟ هب في صائحاً : نملة .. ألا تعرف النمل يا ابن ال .. ؟

سكت .

صب مرة أخرى : تعرف النملة ولا لا ؟ قلت مستسلماً : أعرفها

قال وهو يلتفت إلى زميله : روح هات نملة .

طول الله روحي وذهبت إلى حيث أشار ، وتفرست في كومة التراب مليا حتى وقعت عيني على نملة كبيرة حسبتها في ملابنا حراس الحلة انقضضت عليها بقبضتي ودون أن أقصفها أمسكتها في قبضتي وعدت بها ووقفت أمامه وقلت : أهه النملة يا افندم

ـ ورينى

فتحت يدي ـ رآها .. قال :

ـ ولازم تجيبها بالشكل ده يا ابن ال... ضغطت على نقطة السفلى ومسكت ، متقزرة من السفل إلى أعلا رمقني وقال :

ـ دى إيه ؟

وقلت بجراءة ما بعدها جراءة : نملة يا بيه قال ....

وخيل إلى في حقيقة لم أسمع فقد كان المشهد الذي نطقه غريبا جدا وغير معقول بالمرة . سألته : أفندم ؟

قال : إخلع هدومك ..

... تحامل الكرباج وزميله حامل الشومة . رفعت يدى مسلمة قائلا : حاضر يا بيه ... اخلع هدومي .

ولكني ترددت . نظرت حولي مركز عين . طابورنا المنكود الحظ قابع كصفير من طيور ذباب الإبهة الكالح والزرق والزجر . في دائرة واسعة رهيبة يلتف حوله سور من عساكر يحملون الأسلحة الأوتوماتيكية بكافة ألوانها وأنواعها . قريبا منه تتناثرت فرقة الضرب تحمل الهراوات والكرابيج والنبابيت والأحزمة والقبضات الحديدية . أنا واقف وحدي ويونس بحري قابع على كرسيه أمامي . ولا مفر .

استنهضني ملاحظة ولما كنت كما قد قررت أن أؤجل الاشتباك فقد مددت يدى الأخرى وبدأت أخلع جلبابي ، وخلعت الصديري ، ولا أطيل ، فقد وجدت نفسي بعد برهة خالعا كل ملابسي واقفا عاريا كما ولدتني أمي أمامه .

ـ خلعت هدومك ؟ ..



ـ زى ثالث سايف بابية ..

ـ طيب (..) النملة اللى فى إيدك. قيل إلى انى حقيقة لم اسمع . وكيف اسمع ـ وما طلبه لا يمكن ان يمر إلا من عقل مجنون ، حتى المجنون نفسه يخجل ان يطلبه ..

ـ نعم ..

الكرباج مرفوع فوق راسى والنبوت يتهيأ للانقضاض ويونس بحرى تجمعت نظراته التارية على هيئة الأمر الذى امره : والدنيا ، وسور العساكر ، والطابور والمارلت والجبل والصخر والطريق ، وكل شيء سكت وصمت وكأنه يستحثنى أن المس.

اسمعنى الفلاح الخبيث الذى فى يقلب الموقف الجاد الرهيب وقلت محنة :

ـ بس دى دكر يا بيه .

لم يضحك ، ولا احد من القريبين او المعدين ضحك . بكل صراحة قال : روح هات واحدة نتاية .

وكالذى نومه النوم المغناطيسى استدرت وقصدت كومة التراب ، وعسست بيدى . طبعا كان اول ما خطر لى ان ابحث عن نملة انثى . ولكن كدت اضحك من نفسى لانى انسطت وراء المشهد فعلا واخذته جدا ، وسالت نفسى : كيف اعثر على الانثى ، وما الفرق بين النملة الذكر والنملة الانثى . بل هل توجد نملة انثى ونملة ذكر . المقصود عدت إليه ووقفت امامه وفتحت قبضتى على نفس النملة وقلت : هاهى نملة انثى

قال : يالله ..

ـ ببالله هذا ؟

ـ تانى . اسمع .

وفوجئنا بجعجعة الوابور تفرقع ، واقترب سور العساكر حتى اطبق على طابور المحتقين ، واستقر افراد فرقة الضرب فانتصبت واقفة مشرعة اسلحتها القاتلة الرهيبة . وهوى الكرباج من خلفى وسمعت صفيره وهو يشرخ الهواء ليستقر كالسكين القاطع غائرا فى جلدى ولكن يونس بحرى تلافاه فى آخر لحظة وامسك باليد المهوية وقال بصوت مخيف صوبه إلى كل اذن تسمع : اسمع .. انا لا اريد ضربه



... فانا اعرف انك من النوع الحديدي الذي لن يؤثر فيه اي ضرب او تعذيب ولكني سأضرب تلامذة اعتدائي هؤلاء .. وانتظر .

والحراس يعرفون الى من يشير . فقد كان بيننا خمسة صبيان صغار لا يتجاوز ابهم السادسة عشرة . معنا في الطابور . إذا ضربوا يصرخون بل يصوصون كالكتاكيت المذعورة وتغور صرخاتهم في لحمنا الحي بحيث يصبح اهون لاي ان يقطع بالسواطير ضربا ولا يسمع صرخة الواحد منهم ...

جزعت والحق يقال ، وسقط قلبي في قدمي مخافة ان ينفذ الوعد . ياعم يايونس ما كنا قاعدين في امان الله ، هلا دار في عقلك المتحجر ليقلب سلامتنا هذا الى لحظة الرعب هذه حتى ليبدأ الجو يحفل برائحة الدم واللحم المفروم ...

تقويل الروح لم يعد يجدي . ماذا تريد يا ايها القومندان

ـ بالله .

ولانني شاعر انني سأكون على حق في تساؤلي رفعت صوتي مستغيثا مستنجدا بالله من هذا الهول الذي لا اعرفه : إزاي يبقى يا بيه .. انا في عرضك .. ازاي .

ـ زي النمل .. هكذا قالها .

ـ زي النمل إزاي .. ؟

ـ زي النمل يابن الـ .. ويابن الـ .. ويابن الـ .. ماذا تفعل النمل ؟

ـ ولكنها تفعلها مع النمل والاناث وهذه نملة ..

ـ ولو .. اعتبرها ناس .. اعتبرها اناث .

ـ حاضر ..

فانزا الفلاح الخبيث الى تجدني مرة اخرى قلت :

ـ حاضر يا بيه ..

وفعلت شيء فعلا ازاول ما امرني به ، وانا ، زيادة في الاندماج ، قد رسمت على وجهي ابتسامة سعيدة .. استيقظت معها على صوت نموت يشرخ الهواء ويشرخ الهواء من فهور (التلامذة) الى جواري التفت على الصرخة ، نعم صاعدة من عظام الاقدام لكائن حي . إنسان صغير يتألم . انفجر قلبي وتدفق منه الدم الغائر غصة ولوعة .

ـ لا تمثل يا ابن الكلب ... اندمج .. اتضحك علي .. اندمج .. انت خالع الآن ملابسك وهذه انثى . نملة مش نملة لا يهم .. هذه انثى .. اندمج .. وسأراقب وجهك وملامحك .. واقسم برحمة امي إن لم أرك تفعل ما قلته سأذبح تلاميذك وانت وكلكم معه .. وانت تعرف وكلكم تعرفونني .

وكان واضحا من وجهه المسمر المحفر بالجدري القديم انه لا يهزل . حاولت ان اجد فرجة احتمال او عشر احتمال للتهاون فلم اجد . هذا انسان مجنون وقد تقمصته حماسة المجانين للحقيقة ولن يصدق غيرها ولن استطيع ابدا خداعه وعلي ان افعلها . حاولت .. وبكي في مجنتي السافلة اشتركت وظلت منه سعد [illegible]

تجمعت نفسي ومشاعري [illegible] ان نفيذا كنت الحول [illegible] مني بغلظة . مجنون امر وانا مجنون وانا ان استحقت ، ومجنون لاني [illegible] استجيب ، ان انسح . انا فعلا رجل ضخم ، وهذه نملة . وبكل كياني علي ان اصغر نفسي واستحيل من انسان الى حشرة ، الى نملة ، الى ذكر نمل ، لستقر في اثنى النملة .

وكلما فشلت ، كلما توقفت . كلما علم وعيي بالمشهد وباستحالة التحول واحسست التهديد يحوم كغربان البين حول التلامذة الصغار وحول الطابور الضباط والضابطر ويكسوني العرق وتطقطق عظامي وتتشنج ولا بد ان تصبح كفي في حجم ساق النملة وساق النملة لا يكاد يرى ولا بد ان اقوى نوعي وبارادتي على كفي وكتفي ولحمي وعظامي وراسي وبطني وساقي وعنقي وادق واصغر كي استحيل ذكر نملة ، افرز هرموناته ، واجعلها بالقوة القاهرة تستجيب لهرمونات انثاي القابعة ، مستسلمة ، في يدي . هكذا ، رايتها بالف عين دقيقة لي تكونت ، لقد استجابت ، وكفت عن الحركة ، ووقفت واستجمعت .

لو كانوا قد عذبوني وقطعت الجبل كله ، لو ربطوني لذيل حصان جرى بي القطر كله من الصباح الى المساء ، لو ربطوني في عروسة جلد وجلدوني الف جلدة ، لو فعلوا ما هو اكثر واكثر لما احسست بربع معشار ما مر علي . ولم اعد استطيع الكف وجسدي يمضي يتصاغر ليصبح نملة ويستمر نملة ويعيش ويحب ويزاول الحب نملة . وعند لحظة النهاية فقدت الوعي ..

قالوا لي إنهم حملوني حملا إلى الليمان . وانهم خافوا من صراخي اثناء الليل واستجار الزملاء من عضي وتمزيقي لملابسهم وملابسي . وحملوني إلى مستشفى سجن مصر ، ومن هناك الى هنا .. وهمس لي التومرجي الاسمر العجوز وانا في طريقي اليكم انهم يفكرون في الإفراج الصحي عني . ولو .. ما الفائدة . وقد تمت مع النملة واعترفت ، وكان الذي كان .

ولان لا اشبع من السجن والمنتظرين المحاكمة من كلمة اعتراف . فقد وقفنا على اطراف تحفزنا انا وحمزة ونحن نسأله بماذا اعترف وبماذا اعترف .

قال وهو يشيح بيده : وانا وسط العذاب ، في منتصف الساعة بين كوني نملة وكوني ذكر نملة انكسرت ارادتي ولم احتمل ، وقلت كل ما عندي املا ان يتوقف امر يونس مجري وان يكف العذاب . ورغم الاعتراف لم يوقف المجرم الامر . وحتى لو كان اوقفه فانا نفسي كنت غير قادر لحظتها ان اوقف عذاب التحول . ارادة ان اكون بشرا انتت وصارت لي ارادة نملة لا تقوى ابدا على الكتمان .

• • •

ورغم اعلانه الى المستشفى فقد سمعنا ان حرارته ظلت ٤٠ طوال الليل ورغم جسده المتين المتحكم ، في الصباح التالي مات .

د. يوسف إدريس

ابراهيم ناجي يلقي قصيدة

نعمان عاشور

لقاء مع



ابراهيم ناجى

مدرسة أبولو

تعلقت بركب ناجي من زمن بعيد في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة وبعد تخرجي في كلية الآداب كان ناجي يكتب في معظم مجلات دار الهلال وبالذات في مجلة «الاثنين» التي كانت تصدر أيامذاك وفي مجلة المصور أيضا .. قرأت له قبل أن ألقاه .. ولكني عرفته قبل أن أقرأ له .. كانت معرفتنا أنا يكتب شيئا حارما وبعيدا عن الشعر .. كان يقدم أبوابا قصيرة عن الأمراض النفسية، ثم بدأ يتجه طريقه نحو معالجة القضايا العاطفية حين استقر نهائيا وتخصص تماما في الثقافة عن الجنس، يتابعه القراء بلهفة ويتصدى لمعالجة قضاياهم ومشاكله من واقع ما كان يقرأه هو في الكتب والمجلات .. وكان الجنس في هذه الأيام يعمر جميع الثقافات ويسقط الأدب الرومانسي أو الأدب النفسي .. لكني كما قلت كنت أعرف ناجي قبل أن أقرأ له عشق هذه الأبواب والفصول الصحفية .. والتي تنتهي إلى ذلك من قبلهما بسنوات .. الإبداعات الشعرية التي عرفتني وبفضل توجيه الأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي .. إلى أن أتابع ما كان إبراهيم يسمى بمدرسة أبولو .. ومن أبرز شعرائها أبو شادي وناجي وغيرهما ..

ملحمة الأطلال

وكان أول ما أثار اهتمامي بناجي .. الأبيات المشهورة التي كانت جزءا من ملحمته الرائعة التي كتبها تحت عنوان ملحمة «الأطلال» .. وهي مجموعة قصائد في قصيدة طويلة واحدة لم يجمعها ناجي مجموعها وإنما كانت تنشر تباعا في مجلة «أبولو» العالمية .. وبدأ قصة الشعراء من المجموعة بعد



زكي مبارك



كامل الشناوي



فرويد



الممثلة ليلى [illegible]



● [illegible] الأطلال و[illegible]
على شاعرية ناجي [illegible]

● لما أفصحت له عن إعجابي بشعره، ازداد غبطة وكأنه طفل صغير - ومن هذه اللحظة عرفت شخصية ناجي على حقيقتها: إنه يصادق الآخرين من الدقيقة الأولى

أحيانا أخرى .. وظلت كذلك متناثرة حتى جمعها بلديه بعد سنوات وضمها أحمدي دواوينه .. فمنتدى الأطلال وقصت مطالع حسي والذوقي على شاعرية ناجي فالتقى بين كافة معاصريه بالحاجبين .. والحق أنه كان [illegible] أو هذا ما [illegible] الأيام بالفعل - لذلك فما كدت أسمع ذات ليلة بوجوده في مقهى «القهوة عبد الله» التي كانت بمثابة مجمع ليلي للأدباء في الجيزة حتى [illegible] .. كان يجلس في حديقة مقهى «المثلث» المطل على الجانب الآخر لقهوة عبد الله في ميدان الجيزة .. وكان ذلك في إحدى السنوات الثانية لنهاية الحرب .. ربما عام ١٩٤٦ لم يكن ناجي يجلس وحده .. وإنما كان محاطا بمجموعة من الشعراء والكتاب غير المعروفين .. وكان يقرأ عليهم من ورقة في يده .. إحدى قصائده الأخيرة .. كانت هذه هي عادة ناجي دائما فهو لا يكتب شعرا إلا ويقرأه على المحيطين به .. واستأذنت في الجلوس معهم بجرأة وشجاعة لم آلفها في نفسي من قبل وإنما دفعني إليها إعجابي المتصل بشعر ناجي .. ورحب الرجل بإعجابي الهيب .. فلما أفصحت له عن إعجابي بشعره .. ازداد غبطة وكأنه طفل صغير !! ومن هذه اللحظة عرفت شخصية ناجي على حقيقتها .. إنه من ذلك النوع الذي تستطيع أن تكون صديقا عزيزا له من أول دقيقة وقد كان هذا موقفه معي بعد ذلك من التوام وحتى نهاية عمره ..

جلسات المثلث

في الليلة التالية سارعت إلى جلسة الحديقة في مقهى «المثلث» بالجيزة بعد أن مررت على قهوة عبد الله لإثبات وجودي هناك إذا سأل أحد عني .. ولم أجد ناجي في جلسة المساء .. لكني اكتشفت شيئا كان جديدا علي بالفعل بالنسبة لهذا المقهى .. فهو مقهى يمثل مستوى أرفع بكثير من قهوة عبد الله .. صاحبه يوناني وهو يمثل بمثابة [illegible] ليلي كان يتردد عليه الصفوة من الأدباء والكتاب والفنانين بل ورجالات السياسة أيضا .. وهو المحل المختار لمخرجي السينما وممثليها وممثلاتها والعاملين باستديوهاتها الواقعة جميعا بشارع الهرم حتى امتداد ميدان الجيزة .. والمقهى متخصص في تقديم اللقمات من الحلواني «الأمير كريم» وصنيعها .. وفي تلك الليلة بالذات وأنا أبحث عن ناجي وشلته .. لاحظت منذ اللحظة الأولى أكثر من مائدة .. كان يجلس بعض السياسيين بينهم الوزير حفني محمود الذي أصبح باشا ووزيرا فيما بعد ومعه مجموعة من أصحاب الوجوه المألوفة في كاريكاتير المجلات السياسية من الوزراء والحكام السابقين لم أكن أعرف حرفة أسمائهم .. ثم مائدة أخرى تضم يوسف وهبي .. والمخرج أحمد بدرخان .. والمتعة أننا أتعرف على السينمائيين الذين أقرأ عنهم وأرى صورهم في الصحف والمجلات وإعلانات الأفلام .. لكن المائدة التي كان يجلس عليها ناجي ليلة الأمس .. كانت خالية ..





والاسبيب الحرمود قبل ان اغادر مقهى المثلث اذا جاء الدكتور علي ان يخطرني بحضوره .. واذا جالس في المقهى المقابل .. قهوة عبد الله ؟ وعدت ادراجي وظللت حالما ارتقب وصول من يخطرني بحضوره .. حتى مللت الانتظار فعبرت ثانية الى حديقة مقهى المثلث وهناك وجدت ناجي والى صحبته نفس مجموعة الامس ومعهم احسنت المشلات .. وما ان رآني ناجي حتى دعاني الى الجلوس معه انه منذ اللحظة لم يكن يعرف اسمي ومن اكون الا انني معجب عابر من المعجبين بشعره .. وطلب الي مشروبا فقد كانت هذه هي عادته التي اكتشفتها فيما بعد من خلال معاشرتي له .. انه لا يسمح لأحد بأن يدفع ثمن اي شيء يطلبه وهو في حضرته .. وبعد حديث عاطفي عما يجري من أحداث عامة .. اخرج ناجي من جيبه ورقة .. كانت فيها قصيدة من الشعر .. وراح يقرأها لنا .. القصيدة يودع بها غراما بائسا ويستقبل بها حبيبا جديدا .. من الواضح أن هذا الحبيب كانت السيدة التي تجلس معنا .. ولم تمض القصيدة .. لاوجما كما يبدو كانت مكررة في معناها لكثير من القصائد التي قرأتها له .. ولم يستأنف .. ايضا فيما كتبه ولكنه اكتفى بان اعطى القصيدة للسيدة الجالسة معنا طالبا منها ان تحتفظ له بها كهدية منه ..

غراميات ناجي

كان ناجي كلما التقى امرأة وقع في حبها .. فالحب عنده كما كان يقول المرحوم كامل الشناوي مثل « قرقرة القلب » .. وكامل الشناوي نفسه كان كذلك .. ويبدو أن جميع كتاب القصائد الرومانتيكية من الشعراء جميعا .. ملتهبة تماما .. والشرط الوحيد عندهم أن تكون المرأة جميلة وأن يكون جمالها موحيا بالشعر وأن تستطيع بما تملكه في وجدانه من انطباع واحساس بالجمال قادرة على الصد والجفاء وعلى براعة فائقة في الدلال .. فبذلك وحده تستطيع ان تهز عواطفه .. وبذلك وحده أيضا يستطيع هو ان يستمد [illegible] حموقة في النظر

[illegible] والقمر يسكب في الصحراء الباسمة ويعطي الليل بغلالة ساطعة من الفضة .. ونزلنا الى شارع قفر ليس فيه الا بيت واحد .. فيلا مغلقة صامتة خالية .. وطلب الينا أن ننتظره .. وراح يطوف حول الفيلا والطواف حول مرقد الحبيب لا تكاد تخلو منه احدى قصائده .. وظل يطوف .. ويطوف .. ثم عاد يلهث ..

وتحت فانوس الكهرباء .. استند بقدمه الى الرصيف واخرج ورقة وراح يتمتم وهو يكتب بسرعة ويسجل الابيات التي طوف بها حول الفيلا .. ثم أخذ يترنم بها في صوت مسموع وهو يشهق ملوحا .. « روشتة الشفاء » ..

ـ خلاص .. برئت من هواها ..

كانت الابيات التي كتبها تفيض لوعة وحسرة وألما .. ولم يحاول أحد منا أن يصدمه .. فقد كان هذا هو حب ناجي حب دائم متجدد في خياله واحاسيسه وحدها .. وربما دامت هناك امرأة جميلة تحب فتاة يحيكي قصة هواها .. حتى ولو كان من بعد ويمين لقاء .. فاذا أراد لها نهاية .. سجلها في « روشتة الشفاء » وهذا هو الطابع المميز لأغلب قصائده .. وعدنا مع الفجر لينصرف كل منا الى بيته .. ذلك أن ناجي لم يكن ينام الا مع طلوع الشمس ..

كان ناجي طبيبا بشريا كما هو معروف وكان يشغل وظيفة مدير مستشفى حكومي يقع على أطراف حي شبرا .. مستشفى الطلخاوي .. وكانت له عيادته الخاصة في وسط الحي .. وفيها يلتقي عادة بأصدقائه وصفوة خلانه .. صحبت استاذنا مصطفى عبد اللطيف السحرتي في أكثر من زيارة لندوة عيادة ناجي .. كان يعالج اغلب مرضاه مجانا .. ويعتمد في علاجه على حالاتهم النفسية أكثر من اعتماده على حالاتهم الجسمانية .. ومن أجل هذا كان شديد الشغف بقراءة علم النفس ولديه مكتبة زاخرة بالتحليلات النفسية خاصة ما يتصل منها بالجنس ونظريات فرويد بالذات .. فقد كان ملما بها الماما كبيرا .. كما كان شديد التعلق بالكتابات المتلاحقة التي كانت تصدر ايامها عن اللاعقل واللاشعور واللامعقول .. ولهذا تضيع الجلسة اذا لم يكن لديه قصيدة ليقرأها في الحديث عن العقل الباطن والاسرار الكامنة وراء الظاهر من شواهد الامور حتى ان الكثيرين كانوا يعتبرونه متصوفا اكثر منه باحثا ومحللا نفسيا .. كما كان يحب دائما

● [illegible]

● [illegible]

● [illegible]

أن يكون في مجال تعامله النثري والفكري •• وكان هذا يتفق تماما مع طبيعة نهجه الفكري فضلا عن اتساقه مع منحنى الرومانتيكي العام في الشعر •

ليلة مع زكي مبارك

ومن الليالي المشهودة في صحبة ناجي •• اننا كنا نصدر مجلة أدبية يشرف عليها الشاعر والكاتب القدير الاستاذ مقيد الشوباشي وكنا نساهم جميعا في تحريرها بل وطبعها وتوزيعها رأسنا ، الاديب المصري ، وكان من عادتنا أن نجتمع مساء كل خميس في احدى مقاهي ميدان التوفيقية كصحبة أدبية صديقة •• وحدث ذات مساء أن أهل علينا ناجي ونحن جلوس على مقاعد المقهى الخارجية فوق رصيف الميدان بدعوة كان قد وجهها اليه الاستاذ مقيد الشوباشي بمناسبة نشر أحدث قصائده التي اهداها للمجلة ورفض أن ينشرها في أي مجلة أخرى • وتصادف في تلك الليلة أن كان يجلس بداخل المقهى يقارع بنت الحان أديبنا الكبير زكي مبارك •• وكان يفضل دائما أن ينزوي بنفسه أو في رفقة قليلة بعيدا عن الانظار •• فلما حضر ناجي وطالت جلسته معنا لمحه زكي مبارك فقام يهتز لناحيتنا • ويدعونا مادام في صحبتنا ناجي أن ندخل اليه في أغوار المقهى •• وكانت ليلة لا تنسى بدأها زكي مبارك بالهجوم على شعر العقاد •• ثم تطرق الى ناجي فحاول أن ينال من شعره •

وطال بنا الليل فاغلقت المقهى علينا ونحن جلوس داخلها وبدأ زكي مبارك يتحرش بناجي في الشعر •• فطالبه بمطارحته على أن يقول كل منهما بيتا فيبارع الآخر بالرد عليه من آخر حرف في آخر كلمة فيه •• وبشرط أن يكون من تأليفه على نفس المادة في مطارحات الشعر •• وبدأ زكي مبارك ينشد من شعره •• فرد عليه ناجي ببيت آخر ارتجله مباشرة واستمرت المطارحة •• كان زكي مبارك يستحضر أبياتا من شعره المكتوب •• بينما ناجي يرتجل الابيات عفو الخاطر وفي بداهة لا تعرف التوقف وزكي مبارك نفسه • يصدق ويعجب بأنه ما يقرؤه من أبياته إنما هو من محفوظ أشعاره •• كان نصيبها نثرا رد عليه ناجي الذي كان يقابل كل بيت يقوله زكي مبارك بعشرة أبيات ملاحقة على صورة [illegible] الشكوى والمقسوم •• شيء أشبه بالقصائد القصيرة ••

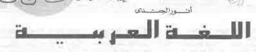
وتلك كانت حقيقة شاعرية ناجي فهو يقول الشعر على سجيته ويرتجله ارتجالا فوريا •• موهبة فذة لا يضارعها الا عجزه عن حفظ أكثر من بيت أو بيتين من أي قصيدة سبق أن كتبها ••

آخر لقاء

على أخريات حياته تولى ناجي ادارة مستشفى الخازندار وكانت تابعة لوزارة الاوقاف •• وعين رئيسا للقسم الطبي بالوزارة •• وأذكر أن آخر مرة رأيته فيها حين لقيته خارجا من الوزارة ومعه أحد الفراشين •• كان يحمل حوالي خمسين نسخة من ديوانه الاخير ويتقاسم حملها مع الفراش •• فلما رآني •• نادى علي من الرصيف المقابل فما أن أقبلت عليه حتى رمى بنسخ الديوان على الارض •• ثم أسرع وفي يده نسخة أهداها الي في فرحة بالغة لا تعادلها فرحة الطفل وهو يبادلك لعبته الاثيرة •• وسألته اذا كان قد جمع فيها كل شعره •• فهز رأسه في حزن ووجوم ••

هذا كل ما استطاع به الاصدقاء من أوراقهم •• يقصد الاوراق التي كان يدون عليها قصائده قبل أن ينساها ويهديها لهم •• ثم ينساها حين يكتب غيرها •• وأسرع ليلحق بالفراش بعد أن منعني من مساعدته على حمل بعض ما كان يحمله من النسخ •• ورجاني أن أقرأ الديوان وأناقشه فيه حين ألقاه •• ولكني لم ألقه بعد ذلك حتى اليوم •• لان هذه كانت آخر مرة رأيت فيها ابراهيم ناجي •• أبرز وألمع شعرائنا الرومانتيكيين المحدثين والقدامى جميعا •••

نعمان عاشور



أنور الجندي

اللغة العربية

إن أخطر التحديات التي تواجه العالم الاسلامي في مطلع القرن الخامس عشر هي (المؤامرة على الفصحى لغة القرآن) هذه المؤامرة التي تمثل خيطا من خيوط الغزو الفكري والتغريب كجزء من الحملة على القرآن والاسلام والعقيدة الاسلامية منهجا ونظام مجتمع.

وما تزال المؤامرة على اللغة العربية الفصحى مستمرة لم تتوقف لها خيوطها المرتبطة بالاستعمار والنفوذ الأجنبي وهي مؤامرة تلبس في بعض حلقاتها ومراحلها ثوب البحث العلمي وتحاول أن تدعي أنها تستهدف التجديد والصورة المعروضة اليوم تحاول أن تخدع الكثيرين وقد كانت المؤامرة على اللغة العربية أساسا تستهدف الدعوة إلى العامية أو كتابة العربية بالحروف اللاتينية.

وقد اتخذت في بعض الاوقات طريق الدعوة الى معارضة مفاهيم النحو أو نطق الكلمات. وجرت في خلال السنوات الممتدة منذ حمل لواءها المبشر الانجليزي (ويلكوكس) في مراحل متعددة وانتقلت من مصر الى المغرب الى الشام ولبنان واستطاعت أن تجد لها دعاة ممن يكتبون بالعربية خلفوا أولئك الأجانب الذين حملوا اللواء أول الامر. وقد توالت المحاولات الماكرة تحت أسماء مختلفة، وهي كلها تستهدف أمرا واحدا هو عزل المسلمين عن بيان القرآن وعن أسلوبه وشق وحدة اللسان والكلمة باعلاء العاميات في مختلف البلاد الاسلامية حتى تنمو تلك العاميات وتصبح لغات منفصلة، وعندئذ يصبح (القرآن الكريم) تراثا يترجم ويقرأ عن طريق القواميس والمعاجم.

الفوارق الكبيرة

وهم يضعون تجربة اللغة اللاتينية بالنسبة للانجليز في أوربا كصورة نموذجية للمحاولة ويجهلون مدى الفارق البعيد بين اللغتين وينسون أن الانجليز لم يتكلموا باللغة اللاتينية أصلا وانما ترجع اليها.

ومن الفوارق ما أصاب اللغة اللاتينية من [illegible] وتخلف المتحقق فيها وهذا لا يحدث [illegible] العربية [illegible] اللغة [illegible] والجديد [illegible] [illegible] اللغة اللاتينية [illegible] الى [illegible] ومن شأنها ما يدفع الاشارة الى اللغة العربية التي حفظها القرآن بظاهرها ويجعل ما كتب بها منذ أربعة عشر قرنا مقروءا الى اليوم، بينما لم يحدث ذلك مطلقا لأية لغة من اللغات الحية التي تتغير كل ثلاثة قرون. فامرؤ القيس السابق للاسلام نقرأه نحن الآن ونفهمه بعد أكثر من ١٥٠٠ سنة بينما شكسبير لا يفهمه الانجليز، وقد مضى عليه ثلاثمائة عام فحسب. وهذه الظاهرة في اللغة العربية تجعلها لا تخضع لعلم اللغات الذي يحاول أن يحكم على كل اللغات بظواهر عامة مشتركة. ومن ناحية أخرى تتميز اللغة العربية أيضا بأنها ليست لغة أمة كما يحدث للغات جميعا ولكنها الى ذلك لغة فكر وثقافة وعقيدة لألف مليون مسلم، العرب منهم مائة مليون ومن هنا تتكشف فوارق كبيرة بين اللغة العربية لغة القرآن وبين اللغات القديمة كاللاتينية واللغات الغربية.

المحاولات التغريبية

وقد كانت اللغة العربية بطبيعة تركيبها وتميزها بالقدرة على الاشتقاق والتوالد عاملا هاما في مكانتها وقد وصفها (إرنست رينان) بأنها خلافا لكل اللغات ظهرت فجأة في غاية الكمال، غنية بكل معنى، بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا أي تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة وانها ظهرت منذ أول أمرها تامة مستحكمة.

ولقد مضى القرآن يشق طريقه ومضت معه اللغة العربية وكان حقا عليها أن تصل الى كل مكان وصل إليه، ولكن الاستعمار استطاع منذ أكثر من قرنين أن يوقف تقدمها ونموها ويحول بينها وبين الحركة خاصة في ماليزيا واندونيسيا وشرق افريقيا وغيرها واعلاء شأن اللغات الأجنبية واللهجات الاقليمية المحلية، ولكنها سوف تستطيع في هذا القرن الوليد بعد أن تحررت الأمم من نفوذ الاستعمار الثقافي أن تعاود توسعها وتصل الى كل مكان فيه مسلم ليس بوصفها لغة فكر وعبادة وثقافة فحسب ولكن على أنها لغة حديث وكتابة وتعامل.

فمن هذا الفهم الصحيح لوضعية اللغة العربية بين اللغات يمكننا أن نواجه كل ما يقال عن (تطوير اللغة) أو اللغة الثالثة أو اعلاء شأن العاميات والادعاء بأنها لغة خاصة ملك لأصحابها ونفهم أن هذه كلها محاولات تغريبية تستهدف:

(١) عزل العرب عن الوحدة الكاملة بينهم.

(٢) عزل المسلمين عن العرب.

(٣) عزل المسلمين والعرب عن مستوى البيان في القرآن الكريم.

ولا ريب أن اللغة العربية جديرة بأن تظل دائما في مستوى بيان القرآن وأن يرتفع الناس إليها. ولا ريب أن الدعوة الى اقامة

متى تواجه التحديات؟

لغة وسطى بين الفصحى والعامية هي احدى محاولات الغزو الفكري وليس لها هدف إلا إنزال اللغة العربية درجة عن كيانها الذي يرتبط ببلاغة القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من ركائز الاسلام وهي عجز المسلمين عن فهم القرآن الكريم واستيعابه وفهم ثقافة دينهم وفقهه وهو أمر خطير وهام ويحتاج الى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها. فاللغة أساسا في فكر الامة والفصحى في فكر العرب والمسلمين مرتبطة بذاتية الاسلام ومزاجه النفسي والاجتماعي.

(ثانيا) قامت في سبيل المؤامرة على اللغة العربية خطة العاميات ثم خطة الكتابة بالحروف اللاتينية ثم مشروع عربيز ومشروع العربية الاساسية والبقية تأتي من خطط ومؤامرات وقد استخدمت المجامع الرسمية لتقديم عدد من المشروعات وخاصة محاولة دراسة اللهجات واعطائها طابع العلم.

يقول الدكتور محمد محمد حسين ليس الخطر في الدعوة الى العامية ولا في الدعوة الى الحروف اللاتينية ولا في ابطال النحو وقواعد الصرف او اسقاطها. وإنما الخطر في هؤلاء العلماء الذين يعرضون كيف يؤذون الصبر بلقفاء الخرافة. ان الخطر الحقيقي هو في الدعوات التي يتولاها جماعة الهدامون ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في ثوب الضوء الى الناس ولا يطمعون في كسب عاجل. ولا يطالبون انتقالا سريعا كاملا.

اصلاح اللغة

ثالثا: هناك بدعة (اصلاح اللغة) وقد نقل البسطاء الى المسألة يراد بها سهولة الاداء. فالمصطلح خادع وماكر ويخبيء النية ايضا.

وقد كشف هذه المؤامرة الدكتور علي العناني حين قال: ان الاصلاح في الالفاظ والتراكيب والاساليب لا يكون الا بتغيير قواعد ابنية اللغة وهي (البنية) وتشويه ضوابط اعرابها والاحوال الطارئة على الالفاظ باختلاف الوضع في الجملة وهو المتحدث بها المخاطب المتكلم في المعنى والمرتبة في الحسن ومشتقة وتكيفه الابتكار والتكملة وهي الحال والتنقيح والمحال ضوابط الفصاحة والبلاغة وهي (المعاني) ويعتبر اصلاح قواعد الصرف انتقالا من الصعب الى السهل انما يعني ان تهدم علم الصرف من اساسه وتنسخه نسخا تاما لتفقد قواعده وتتنوع ضوابطه ويبعد ان يتم الهدم يبني المصلحون على انقاضه صرفا جديدا محصور القواعد قليل التنويع، خفيفا على العقل والفكر، سهلا على الذهن والفهم. وكذلك الامر في اصلاح قواعد النحو واصلاح علوم البلاغة.

وبهذا يكون معنى (الاصلاح) في اللغة نسخ العقلية العربية وما فيها من ثقافة نظرية وعملية. ذلك ان الاصلاح هو التغيير والتغيير يعني الازالة والوضع. يقول الدكتور العناني: ان تغيير قواعد اللغة العربية صرفا ونحوا بالوضع فقط او بالوضع والازالة معناه إحداث لغة جديدة بقواعد جديدة. وهذه اللغة الجديدة إن صح اتصالها بالعربية الحالية المدونة اتصال اللهجة بالأم فانها تبتعد عنها شيئا فشيئا حتى تختفي معالم الصلات بينهما او تكاد وعندئذ تكون اللغة العربية الحالية من اللغات الميتة.

هذا الذي صوره الدكتور علي العناني هو حقيقة الصورة البراقة التي نراها اليوم يحملها مجموعة من أعداء الاسلام واللغة العربية ويدافعون عنها ويطلقونها من أسلوب الى أسلوب. وكلما انكشفت لهم حقائق أعادوا تشكيلها في صورة اخرى وهم الآن على أبواب التعليم. وهي خطوة خطيرة اذا سمح لها وأعين عليها. على النحو الذي كشفت عنه مؤامرة مشروع العربية الاساسية الذي وصفه الدكتور عبد الحليم محمود بأن هدفه واضح في هدم معالم اللغة العربية، وشعبة لذلك المتحدثين بها وابعادهم عن القرآن الكريم ثم ما ينتج عن ذلك من مساس بالاسلام والسنة كما هي مصورة في كتاب الله وسنة رسوله الكريم، ذلك إلى إيجاد الهوة الواسعة بين مشتول الى اللغة (لا قدر الله) وما احتوته من تراث في صورتها السليمة يمتد نحو اربعة عشر قرنا من نحو اربعة عشر اقليما، ومن ذلك يتبين ان المشروع يرمي الى قطع الصلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الفقهي الذي يعتمد فيما يعتمد على دلالة المفهوم والمنطوق واساليب القصر والتقديم والتأخير وما الى ذلك مما لا يتحقق في لغة سماتها العامية بل إنه يقطع صلة المسلم بالتراث العلمي الاسلامي بصفة شاملة.

العلوم القاصرة

(رابعا) اللغة العربية الفصحى لغة القرآن هي لغة الف مليون هم المسلمون وليس مائة مليون هم العرب وحدهم. لذلك فان من الخطأ تطبيق علم اللغات الحديث عليها. ذلك لأنه علم قامت نظرياته ومصطلحاته على اساس دراسة واسعة اللغات الاوربية. هذه اللغات لها تاريخ

استطاع الاستعمار أن يوقف تطور اللغة ونموها منذ أكثر من قرنين

وتحديات وطرق . أما تاريخها فإنها مشتقة من اللغة اللاتينية ولغات أخرى ، وقد كانت في أول الأمر لهجات عامية ثم استقلت بنفسها تحت تأثير عوامل كثيرة ، أما التحديات فإن ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات القومية الأوروبية جعل الموقف جد مختلف بينها وبين العربية ، أما الطريق فهو أن اللغة العربية ارتبطت بكتاب منزل أعطاها وصانها وجعلها ليست لغة العرب وحدهم وإنما لغة الثقافة الاسلامية عامة منذ ارتبطت بالقرآن الكريم وثقافة للمسلمين جميعاً الذين يبلغ عددهم في مطلع القرن الخامس عشر ألف مليون.

ومن هنا فإن ارتباطها بالقرآن هو الذي حماها ومازال يحميها من أن تتحول لهجاتها إلى لغات مستقلة ، أو أن يقرأ تراثها بقاموس وسيظل هذا الترابط بين المسلمين ولغة الضاد والفصحى - لغة القرآن قائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن اللغات الأوروبية حين انفصلت من اللغة اللاتينية إلى اللهجات اللغوية فأصبحت لغات خاصة انقطعت عن تراثها القديم ، وقد أصبح من شأن هذه اللغات أن تتطور وتتطور وهي في كل فترة تنتقل من اللغة المكتوبة إلى لغة الكلام التي تصبح بدورها لغة كتابة ومن ثم فإن أوروبا لا تستطيع أن تقرأ لشكسبير أو دانتي أو غيرهما من أعلام الأدب إلا بواسطة قاموس وليس بين اللغات الانجليزية أو الفرنسية أو الألمانية وبين هذا التراث الكثر من أربعمائة عام بينما يقرأ المسلمون الآن تراثهم القديم كاملاً ، ولو أن انساناً عربياً من الجاهلية بعث اليوم لاستطاع أن يتحدث الينا ونتحدث إليه ونفهم منه ويفهم منا.

كل هذه المعاني تؤكد أن علم اللغات الحديثة علم قاصر وأنه لا يصلح للتطبيق على اللغة العربية ذلك لأن مستخلصاته المستمدة من دراسة اللغات الأوروبية وظروفها ولم يدرس ظروف اللغة العربية ، ولقد اعتقد المسلمون على مدى القرون وهو الحق ، أن لغتهم جزء من حقيقة الإسلام لأنها كانت ترجماناً لوحي الله ولغة كتابه ومعجزة لرسوله ولساناً لدعوته ، ثم عتقها النبي الكريم بحديثه وعظمها الدين بانتشاره وخلدها الله بأن يحفظه . فالقرآن لا يمسي قرآناً إلا بها والصلاة لا تكون صلاة إلا بها ولا الاجتهاد لأهل العلم إلا بها ... اللغة العربية ... أن ... إلى ... الفكري القائم على مفاهيمها ومصطلحاتها وكما هاجم المسلمون المنهج الارسطي وقالوا إنه يستند إلى خصائص اللغة اليونانية التي تخالف اللغة العربية فكذلك الأمر بالنسبة للمنهج الغربي الوافد ذلك لأن الفكر الاسلامي له منهج البحث الخاص به ومنهج المعرفة الذي يمثله والمستمد من اللغة العربية القرآنية ومن التوحيد الخالص .

أغنى اللغات

(خامساً) لا ريب أن محاولة فصل اللغة العربية الفصحى عن لغة الكلام باعلاء اللهجات أو بخلق ما يسمونه لغة وسطى أو لغة صحافة . كل ذلك له خطره وله أبعاده ومخاطره إن النظرة العسيرة قد ترى في ذلك شيئاً مقبولاً ، ولكن النظرة العميقة تكشف عن مخاطر عميقة أبرزها الانفصال عن مستوى البيان القرآني ، ذلك أنه من الضروري أن تظل اللغة العربية متصلة ببيان القرآن ومرتبطة به فإذا بعدت عنه كان من أخطار ذلك أن تنفصل عن روح الاسلام وعقيدته وشريعته .

واللغة العربية لغة غنية خصبة عملاقة يقول الخليل بن أحمد في كتاب العين : إن عدد أبنية كلام العرب ١٢ مليون و ٣٠٥ ألف و ٤١٢ كلمة . ويقول الحسن الزبيدي صاحب (لسان العرب) أن ما يستعمل من ألفاظ اللغة العربية هو ٥٦٢٠ لفظاً فقط ومن الناحية العلمية فهي تفوق أضخم اللغات ثروة وأصواتاً ومقاطع ، إذ أنها ٢٨ حرفاً غير مكررة بينما في اللغة الانجليزية ٢٦ حرفاً ومنها مكرر .

وقد أشار إلى هذا النص سليمان البستاني مترجم الياذة هوميروس حين قال : (إن اللغة العربية هي أطول اللغات الحية عمراً ، والقدمى عهداً والفضل في ذلك راجع إلى القرآن . فالالياذة وبلاغتها وسائر منظومات هوميروس وهيزيود على علو منزلتهما ، لم تقم اللغة اليونانية دعامة ثابتة حتى في بلادهما ولم تقو على مقاومة التيار الطبيعي ، ولكن (القرآن) وطد لغة قريش في بلادهم وأذاعها في جميع البلدان العربية وفي سائر البلاد وحيث كانت مخالطة العرب الضاربين في أقطار الأرض للجهاد والتجارة . وإذا كانت اللغة العربية هي دعامة وحدة الأمة العربية فإنها هي أيضاً الرابطة الكبرى بين الأمم التي يظلها لواء الاسلام والتي ترتبط مع الأمة العربية بروابط تاريخ مجيد امتد خمسة عشر قرناً)

هذه اللغة العربية الفصحى لغة القرآن يجب أن تكون أبعاد عظمتها ومكانتها بين العرب والاسلام والقرآن واضحة بينة لشبابنا حتى لا يستهين بها حين يحدثه المغربون عن اللغات الأخرى وليعرف أبعاد التحدي والمؤامرة التي تواجهها دائماً لضرب الاسلام والقرآن وسيكون لهذا الوعي قوة رائدة في مطالع القرن الخامس عشر الهجري بإذن الله .

أنور الجندي



الرجل الزجاجي... والثعابين والخيار...

تقول أسطورة روتها لي جدتي صغيراً، أن ملكاً في الجاهلية الأولى، كان يتجول في عرض الصحراء، لتفقد أحوال الرعية، فصادف في واد سحيق بين جبلين شاهقين، راعياً يسوق إبلاً، وهو ممسك بذيل بعير أجرب، وغير مبالٍ بثعبان غارز أنيابه في إحدى قدميه، فوقف الملك مندهشاً، والتفت إلى وزيره، وأسر له بقوله، هذا الرجل قوي متين الجسم، لابد أن آخذه معي إلى القصر، وأضمه إلى حاشيتي، بل سأجعله مقدم الجند، وقائد الفرسان... فقال الوزير: يامولاي دعه في بداوته، وامنحه ما تشاء من العطاء، دون أن تفكر في تغيير (بيئته)... فأصر الملك على رأيه، واصطحب الراعي في عودته، وآواه وقربه إليه، وزوجه ابنته الوحيدة، وأسكنه قصراً في ضاحية، وأفسح له في مجلس العرش مكاناً مرموقاً... وبعد شهور من العيش الرغد في البيئة الجديدة، تخلف الراعي يوماً عن مجلس الملك، فأرسل من يستفسر، فجاءه الخبر أن الرجل مريض، فانزعج الملك، وهرول في جمع من المستشارين والوزراء والأطباء، إلى بيت ابنته، وهاله أن يجد صاحبنا الراعي راقداً في فراشه الوثير، وحوله الخدم والحشم والجواري، يطلقون البخور ويهشون الذباب، ويضمدون جبهة الراعي المريض بالماء والخل... وأفضت الأميرة إلى أبيها بسر مرض زوجها فيما خلاصته: أنه كان في الصباح جالساً في شرفة القصر يستطلع أشعة الشمس الأولى، فمر في الطريق فلاح قادم لتوه من الحقل، يحمل فوق رأسه (قفة) ملأى بالخيار (الطازج)... ولما كان للخيار الطازج (زغب) خفيف عذب، فإن صاحبنا حين قلب الخيار، تملكته رغبة قوية نوعاً ما، فآلمته، وخر مريضاً عليلاً..... فما إن استوعب الملك القصة بحذافيرها تماماً، حتى أدرك حكمة وزيره وبعد نظره، واقتنع في قرارة نفسه، ولم يبدها لهم، أنه أخطأ، في نقل هذا الرجل، لمجرد ظاهرة رآها فيه، طفرة واحدة، من حيث تعضه الأفاعي والحيات فلا يبالي إلى حيث تتملكه رغبة الخيار الطازجة !!

هنا يقول العلماء، إن ما بذلوه من جهد خلال القرون من استقصاء لأحوال مادة الكون، أثبت لهم أن أحوال المادة (المستقرة) أربع، الصلابة، والسيولة، والغازية، وحالة البلازما، حيث تكون الذرات عارية من كل إلكتروناتها تماماً، تحت حرارة تقاس بملايين الدرجات المئوية كما في النجوم، وأن هناك حالة خامسة أخرى (غير مستقرة) تنتقل إليها المادة إذا بردت فجأة، إذ تصير (زجاجاً) كذلك الذي تخرجه لنا المصانع، أو ما يتخلف من حمم البراكين، ولاباتها، سواء منها النشط، أو ذلك الذي هرم، فمات وخمد، منذ ملايين الأعوام... فذلك الزجاج صلب، في ظاهره، ولكنه في حقيقته (سائل) جامد، إذ ليس في كيانه بلورات ذات نظام هندسي، مثل الأجسام الصلبة (التركيبية أو العنصرية) المستقرة... وحتى الزجاج فما تقادم به العهد، وطال به العمر، تدفعه النواميس التي أودع الله أسرارها في الجماد والحيوان والنبات، إلى أن يبحث عن نوع من الاستقرار، بإعادة ترتيب (البنية) في بناء (بلورات) مما يترتب عليه أن يصبح معتماً بعد صفاء وهشاً بعد صلادة، وذلك لمواءمة ظروف البيئة من ضغط وحرارة، بعد تغيره المفاجيء طفرة... وكان صاحبنا ذاك الذي غر الملك منظره من ذلك النوع الزجاجي الذي تغيرت به الطفرة، والنقلة السريعة، وهو في حقيقته زجاج..... ويقيني أن مسببات ما نحن فيه اليوم، مرور فترات حسبنا فيه كل (صلد ظاهرياً)، مشيئاً مبنياً من بلورات وكم من الأفراد والمجموعات حسبناها، وهي لا تبالي بالأفاعي متعلقة في أقدامها، بطولات لن تفسدها كل مغريات الدنيا، فإذا بها تستكين، حين يهزها الدنيا، وتصبح فرائس للوعكات والأمراض لمجرد لمس أناملها، بعد أن طويت ولانت لزغب الخيار الطازج، وهنا لا نملك إلا أن نقول لا حول ولا قوة إلا بالله، حتى يأتي لهذه الأمة جيل لا يبالي بأنياب الثعابين ولا شوك الخيار الطازج....

درويش مصطفى الفار

● أجل حكمك على أحد حتى تكون في موقفه.

« رابي هليل »

● عملت طوال حياتي على تحرير الكتابة من الواقع اليومي وابتذالات كل عمل وكل مجتمع، الكتابة تجاوز للواقع والتعامل مع واقع آخر أكثر تعقيداً وثراء، ولا يعرف أحد وجهة هذه اللحظات إلا عندما يقلع إلى نفسه إلى رحلة الغرابة والجنون.

« الشاعر الفرنسي ميشال بولتويكرد »

د. محمد جابر الأنصاري

من القصة السعودية المعاصرة

اليد السفلى..
ودعوة للوئام الاجتماعي

الصبي (أحمد بن حسين) بطل قصة (اليد السفلى) للدكتور محمد عبده يماني، سرعان ما يدخل إلى قلبك بصداقة بطلته وبساطتها.. كما دخل إلى قلوب القراء العرب من قبل، حسين كتاب (الأيام) لطه حسين، أو حسين (طفل من القرية) لسيد قطب.. ذلك أن الدكتور يماني يقدم إلينا (صبيا) وشبل الصلة نبيلة أكثر مما يقدم شخصية مبهرة أو متخيلة.

فهذا الصبي يروي قصته بلسانه وبضمير (الأنا). وصحيح أن الكاتب يسبغ على لسانه أشياء أكثر من خبرته الطفولية في بعض الأحيان.. ويتدخل بشكل غير مباشر لينطق ويعبر بلسانه في أحيان أخرى، إلا أن أصالة الصبي القائم في الريف السعودي، وبراءة تجربته تبقى واضحة شفافة في معظم فصول القصة، وخاصة فصولها الأولى. لتقدم لنا أنا طفوليا لا تملك إلا أن تتعاطف معه، على الأخص في تلك المواقف المؤثرة التي يستقر فيها الصبي الذي يرى أمه لأول مرة في حياته والعمل خادما لدى أسرة غنية في مكة.

وحتى عندما يكبر الصبي، وتكبر تجاربه يبقى ذلك الطابع الطفولي البريء هو الطابع المميز للقصة كلها. فتستمع إليه كيف يقص قصة حياته: وهل كنت أنا.. نفسي.. سوى طفل يحب الناس؟

الدكتور يماني.. روائيا:

ونود أن الكاتب قد ركز اهتمامه على رسم شخصية الصبي، وعلى نقل تجربته الداخلية إلى القراء.. فلم يلتفت كثيرا إلى شخصيات القصة الأخرى مثل (بالايس) و(الشيخ عبد الحميد) و(عزيزة) و(زادة جمعة) وغيرها من الشخصيات الثانوية الطريفة التي كان من الممكن إدراجها فنيا بشكل أفضل لتزيد القصة اتساقا وحيوية وتسليط المزيد من الضوء الكاشف على شخصية الصبي نفسه.

فبقدر ما كان الصبي يتحرك بحيوية وواقعية مقنعة في أغلب الأحيان، كانت تلك الشخصيات الثانوية تتحرك مثل الدمى ذات الوجوه المسطحة التي لا تحمل أبعادا أو تنويعا.. إلا فيما ندر.. وكأنما اصطنعها الكاتب ليحقق غرضا فنيا واحدا هو إبراز سيرة الصبي.. بينما العمل الروائي المتكامل يعتمد التنوع والتشابك وتداخل الشخصيات: من رئيسية وثانوية في نسيج الرواية ليقدم لنا تفاعلها المشترك المتوازن تلك الشريحة المتكاملة من الحياة التي يطمح الكاتب الروائي إلى إبرازها وتجسيدها حية.. كما فعل مثلا نجيب محفوظ في رواية (زقاق المدق) التي اهتم فيها برسم معالم الشخصيات الثانوية بطرافة وإبداع.. غير اهتمامه بأبطال القصة الرئيسيين.

[illegible] الناحية التكنيكية التي يمكن للناقد أن يأخذ عليها الكاتب ميله إلى [illegible] والتدرج الذي يصل إلى حد التكرار [illegible] على ناحية (الاقتصاد الفني) في [illegible]

[illegible] الفن لا ينقل لنا واقع الحياة كما هو [illegible] وبالتكرار التفصيلي الذي تتصف به الحياة اليومية الرتيبة.. وإنما هو يختار أو (يختصر) فنيا تلك اللحظات والمواقف والانفعالات والتحولات الساخنة المكثفة والمعبرة ليستخرج منها ذلك الكائن الحي المتميز.. أعني العمل الفني من قصة وشعر ومسرحية.

ولا ريب فإن الدكتور يماني قد التزم نسبيا (الاقتصاد الفني) أو (الانتقاء الفني المكثف) في رسمه لمواقف الصبي ومعاناته. ولكنه في سرده لبعض الأحداث أو لبعض الحوار كان يكرر.. أو يزيد في الشرح مما يتجاوز الحاجة الفنية.. أو يضع على لسان المتحاورين الكثير من العبارات المتلفة المتداولة كعبارات الشكر والدعاء

- عالن لسان الطفل أشياء أكبر من تجاربه الطفولية في بعض الأحيان
- الشخصيات الثانوية تتحرك بمثل الدمى ذات الوجوه المسطحة
- وثيقة أدبية تصور المجتمع السعودي قبل انتقاله إلى مستوى الرفاهية

المستقلة وما إلى ذلك ، بما لا يخدم التطوير الفني والنفسي للقصة ولا يضيف جديداً إلى سلبها وسرعة حركتها ونبضها .

التوفيق بين الفصحى والعامية

إلا أن الدكتور يماني يمتلك بعد هذا أسلوباً عربياً مشرقاً ومؤثراً استطاع به تجاوز بعض هذه النواقص التكنيكية والتأثير على القارئ بقوة بيانه . وهو على عمومية لغته لم يأنف من استخدام اللهجة العامية في الحوار – ولكن بشكل مقتضب وموجز – مما أضفى تنوعاً على أسلوب الرواية بين فصحى راقية وعامية شائعة ولابد أن اللغتين تتعايشان في العمل الفني عندما تلتزم كل لغة حدودها ، وتقوم بدورها المطلوب دون إفراط أو تفريط . هذا ما يخص القصة من النواحي الفنية .

المضمون الاجتماعي

أما من النواحي الاجتماعية ، فإن القصة يمكن أن تمثل وثيقة أدبية تصور تلك المرحلة المنصرمة من حياة المجتمع السعودي قبل الانتقال إلى مستوى الوفرة والرفاهية ، عندما كان الطفل يضطر إلى ترك قريته وأهله وهو ابن تسع سنين ليشتغل في المدينة وليكافح منفرداً في سبيل البقاء والارتقاء لا يجد ما يعينه غير كدحه وغير قيم التعاطف والرحمة التي يتصف بها المجتمع العربي القديم على

د. محمد عبده يماني

عافية من شظف وفقر . وليس فروق بين الأغنياء والفقراء .

ونحن إذا أخذنا مثل قصة (اليد السفلى) كرمز اجتماعي أمكننا أن نستخرج من القصة نمطاً من التفكير الاجتماعي القائم على الإيمان بقيم العمل الفردي الحر الذي يؤهل صاحبه إلى الانتقال من طبقته إلى طبقة أعلى . أو من وضع (اليد السفلى) إلى مستوى (اليد العليا) – على حد تعبير لغة القصة . وهذا الانتقال يتم بالجد وبالتعاون بين الخادم والمخدوم ، وليس بأسلوب الصراع الطبقي كما تنادي بعض الفلسفات المعاصرة .

التكامل .. لا الصراع :

بعبارة أخرى ، فإن قصة (اليد السفلى) هي دعوة لتأكيد قيم التكامل الاجتماعي والسلام الاجتماعي بين مختلف الطبقات بحيث يتمكن الكادحون من أصحاب المستويات المعيشية الدنيا ، من الصعود إلى أعلى مدارج الهرم الاجتماعي بجدهم وبتداويهم البشري وتعاملهم المتبادل مع أرباب العمل أو طبقة الميسورين والأغنياء ، دون الحاجة إلى التنافس أو الحقد أو الصراع الطبقي كما حدث في بعض المجتمعات الأخرى .

إن الفتى (أحمد بن عيضة) يظل طويلاً تحت عبء كونه (اليد السفلى) ، أي الخادم الذي يتلقى الإحسان من الأيادي الأعلى منه . وهو عندما يشعر بعاطفة الحب القوي تجاه ابنة سيده (عزيزة) يقاوم عاطفته ويكبتها اعتقاداً منه أنه من غير الجائز أن تتطلع (اليد السفلى) إلى مستويات اليد العليا . وحتى عندما تبادله عزيزة الشعور وتضع يدها في يده يظل شاكاً متحرقاً يتساءل : (ربما .. هل هذا ممكن ؟ .. هل يمكن لليد العليا أن تشعر بمحبة ومودة في اليد السفلى دون حرج ؟) .

غير أن امرأة فقيرة عامية تخرجه من وهمه في ذروة توتره وحيرته عندما تقول له :

(ماذا ؟ يد سفلى ؟ .. إنك - يابني - لم تكن يداً سفلى في يوم من الأيام في هذا المنزل .. فاليد السفلى هي التي تتسكع وتسأل الناس إلحافاً .. لقد كنت دائماً شاباً كريماً عفيف النفس وكنت تكسب رزقك بعرق جبينك .. والذي يكسب من عرق جبينه لا يقال عنه إنه يد سفلى) .

ويتزوج الفتى الفقير ابنة سيده ويمتلك بيته القديم بعد أن أصبح طبيباً بجده وكدحه



، وبمساعدة سيده الرحيم العطوف ، في وقت معاً .

هكذا تزول الفروق الطبقية وتتقارب الطبقات ، ويصير الفقير غنياً بجهده وقيمته الذاتية ، وتعاونه مع من هم أعلى منه لا بصراعه ضدهم وقضائه عليهم .




طه حسين


سيد قطب


نجيب محفوظ

ومن من حياة النبي :

ويرد الدكتور محمد عبده يماني هذا التصور الاجتماعي التعاوني الى الأصول الاسلامية وسيرة النبي العربي نفسه :

(هل نسيت أن رسول الله كان يعمل عند خديجة وتزوجها ، ولم يجد في ذلك أي حرج ؟ الك تعلم ، وأنت الانسان المتعلم ، أن لنا في رسول الله ، أسوة حسنة .)

هكذا تنتفي ضرورة الصراع الطبقي في المجتمع العربي المسلم ، وتنفتح آفاق التعاون والتقارب بين جميع العاملين والمنتجين من أغنياء وفقراء ..

تلك هي الضالة

هذه هي (الرسالة) التي نعتقد أن الدكتور محمد عبده يماني أراد أن يوصلها الى قرائه ، عن قصة الشهادة والنصرة (اليد السفلى) .

ونحن نبارك الدكتور يماني ... الجرأة ... في ... مجتمعاتنا العربية ... يطرحها ويتوجه بها هذه القصة السعودية :

بحيث يتم التلاقي بين الطبقات الدنيا والطبقات العليا بأسلوب التكافل والتفاهم لا أسلوب التصارع والتزاحم .

وليس لنا إلا أن نكرر مع بطل القصة في النهاية :

(زيادة .. هل هذا ممكن ؟ أن تستقل اليد الدنيا في اليد السفلى بمحبة ، وبدون حرج ؟) أجل .. تلك هي الضالة وتلك هي التحدي الذي يجابهنا جميعاً .

دكتور محمد جابر الانصاري

٣ × ٤

قال صاحب كليلة ودمنة : ان صاحب الدنيا يطلب ثلاثة ولا يدركها الا بأربعة فاما الثلاثة التي يطلبها .. السعة في المعيشة .. والمنزلة عند الناس والزاد الى الآخرة ..

واما الاربعة التي تدرك بها هذه الثلاثة فهي :

اكتساب المال من احسن وجوهه .. وحسن القيام عليه ثم التثمير له .. ثم انفاقه فيما يصلح المعيشة ويرضي الاهل والاخوان ويعود في الآخرة نفعه .. فان اضاع شيئاً من هذه الاربعة لم يدرك شيئاً من هذه الثلاثة ..

لانه ان لم يكتسب لم يكن له مال يعيش به .. وان كان ذا مال واكتساب ولم يحسن القيام عليه يوشك ان يفنى ويبقى بلا مال .

وان هو انفقه (ولم يثمره) لم تمنعه قلة الانفاق من سرعة النفاد .. وان هو اكتسب واصلح وثمر ولم ينفق الاموال في ابوابها كان بمنزلة الفقير الذي لا مال له .

دراما عائلية.. من أجل بيت سعيد

معقدة في الحياة المعاصرة، ومشحونة بقضايا لعل أخطرها ما بات يصبغ الحياة العائلية من توتر وتنازع لإثبات الهوية وتحقيق الذات من قبل كل من الوالدين، وتأثير ذلك كله على تربية الأطفال بشكل سليم.

ولئن كان الطلاق، أبغض الحلال إلى النفوس المؤمنة، يضع نهاية لعلاقة الزوجين كامرأة ورجل، فإنه يعمق مشكلة كل منهما وهو يقوم بمحاولة تحقيق الذات ذاتيته، والاضطلاع بدوره في حياة المجتمع بشكل مؤثر وفعال، ولا يحسم مسألة الاتصال المتوتر والتنازع المؤلم بين الأب والأم حول حضانة الطفل، والذي ينعكس في جملته ودقائقه وبشكل مفجع، في النمو النفسي والفكري للطفل.

وقد اهتمت الشريعة السمحة، كما القوانين الوضعية، وعلماء النفس والاجتماع بهذه القضية.. وشد معالجتها روائيا وسينمائيا في لحظة انعطاف حاد في تاريخ علاقة المرأة بالرجل، وبالعائلة والمجتمع، وعلاقة الرجل بالعمل والصراع من أجل النجاح الاجتماعي والمادي على حساب مسئولياتهما الإنسانية تجاه الحب والزوج .... طفلهما.

و لا يخفى على القارىء أن صناعة السينما قد غلب عليها في السنوات الأخيرة طابع إنتاج الأفلام بصبغة تعتمد على أدوات الإثارة المعاصرة من جنس ورعب وعنف وجاسوسية ودعاية ودعاية مضللة.. ولذا فإن العودة إلى استخدام الصورة والتعبير وكل إمكانيات هذه الصناعة الجبارة لإبراز تنازع الأب والأم وحضانة طفلهما بعد أن افترقا، كما في فيلم «كريمر ضد كريمر» يشكل مؤشرا هاما في تاريخ السينما المعاصرة.

وكما كان متوقعا، فإن هذا الفيلم قد اكتسب كل جوائز الأوسكار الكبرى لعام ١٩٧٩ التي رشح لها، ولقي استقبالا حارا مدهلا حيثما عرض.. وليس اهتمامنا به في خيالنا المعاصرة، فقط لأنه فاز بجائزة الأوسكار لعام ١٩٧٩ كأفضل فيلم، وفاز الممثل الأول فيه، دستن هوفمان، بجائزة أحسن ممثل، وفازت الممثلة التي لعبت دور الأم، ميريل ستريب، بجائزة أفضل ممثلة مساعدة، وحصل كاتبه ومخرجه، روبرت بنتون، جائزتي أفضل سيناريو وأفضل إخراج، وكان الطفل، جستين هنري، أصغر مرشح لجائزة الأوسكار، بل أيضا لأن الفيلم يجعلنا نعيد النظر في أنفسنا، وفي الكيفية التي يرانا بها المجتمع، والمخاوف الكامنة فينا من الفشل في علاقتنا بالآخر وتحت الفشل البنا، ويلمس فينا أوتارا خفية كثيرة توقظنا على ضرورة الإيفاء بمسئوليات الأبوة والأمومة بما ينقذ الطفولة من أذى ألم لاقدرة لها على تفهمه، وأن نجد سبيلا إلى تفادي التشوهات التي يسم بها سلوكها وقيمها مستقبلا.



عذابات الأب وهو يشهد إبداع ابنه ليضع ساعات بقضيتها مع أمه

الضياع يوقظ في الضمير ضرورة الإيفاء بمسئوليات الأبوة والأمومة على ينقذ أطفالنا من الأذى والألم



حب الأم .. وهي تفتح صدرها لابنها لأول مرة بعد فراق دام ثمانية عشر شهرا

فيلم نادر

هذا الفيلم الذي يعالج قضية لم تكتمل عن نزاع حضانة ابنه .. [illegible] خرجت على [illegible] القضية .. يؤسس نظرته ويقدم رؤيته منذ اللقطة الأولى .. وهي لقطة مقربة لامرأة حزينة [illegible] وجهها الظلام ، لقطة فيها من الخصوصية والألفة ما يجعل المشاهدين يتساءلون [illegible] .. ولكن [illegible] الفيلم كله .. تقريبا قائم على وجوه الممثلين والعواطف الحادة والضوء الشاحب .. ولا المطاردين فيه [illegible] ولا المعارك حقيقية .. فالمشاهدون ربما لا يجدون [illegible] إلا [illegible]

نزاع حول الحضانة

عندما يعرض هذا الفيلم .. سيكتشف [illegible] بالتوجه العاطفي لهذا العام [illegible] والمخرج .. روبرت بنتون .. قد [illegible] مع التمثيل [illegible] جادة في تأثيرها على النفس [illegible] والتغيير حتى [illegible] .. ومع [illegible] الفيلم .. كرامر ضد كرامر .. [illegible] بيرجمان .. [illegible] كل شيء [illegible]

لقد [illegible] رواية [illegible] [illegible] قصة [illegible] عندما تتخلى زوجة [illegible] السعادة في زوجها وابنها [illegible] سنوات .. ثم تعود بعد [illegible] من حضانته .. [illegible] هذه القصة [illegible]

ومع أن الفيلم يعالج [illegible] الحياة الزوجية ومشاكلها [illegible] الأبوين للولد فإنه [illegible] الاجتماعية المعاصرة .. والشخصيات [illegible] مواطنين أمريكيين [illegible] الذين [illegible] القديمة عن العائلة

مشكلة المرأة والرجل

وهو ليس أول فيلم يعالج هذه المشاكل .. [illegible] الأفلام الأمريكية [illegible] المرأة والرجل طوال [illegible] السبعينات .. [illegible] فيلم [illegible] .. وفيلم [illegible] والتي [illegible] الكوميديا [illegible] الرجل الأمريكي الذكي .. المهووس بالجنس

وبعد أن [illegible] الحركة المطالبة بالحقوق الكاملة للمرأة الأمريكية [illegible] .. [illegible] .. امرأة غير متزوجة .. [illegible]

خطوات أكثر في محاولة نشر مثل نسوية جديدة ومتحررة وسط جمهرة المشاهدين ، توجه معتدلة عن الأفلام عن الرجال غير المتزوجين ويتمتعون بالحساسية - ومثل فيلم « مايكل لوودي ألن » ، وفيلم « كل ذلك جاز » لبوب فوسيه نوعاً من الحكايات عن التمزق النفسي لدى أبطال يهيمون بالنساء لإشباع حاجات نفسية منحرفة ، أما فيلم « ١٠ » لبلاك ادوارد ، فهو نوع من المهزلة التي تسخر من التخيلات والأوهام الجنسية الطفولية عند شخصا من الناس من الرجال ، وفي « البداية من جديد » لألان باكولا يتحول بيرت رينولدز من عروس حديثة الشخص الى عشيقة متحررة ، وتحكي قصة « جوليا » لألان ... نفس القصة - ولكن من منطلق أكثر كآبة .

واقعية التصوير

إن فيلم بنتون ، كريمر ضد كريمر ، حقق من هذه المجموعة المثيرة من الأفلام من خلوه من العبارات الجاهزة أو أي نوع من المواقف المتطرفة ، بدلاً من أن يفصل المخرج شخصيات تعكس التيارات المختلفة في مجال معالجة قضايا الجنس ، فإن بنتون قد ترك الأمور تتطور وتتطور في حرية ومن خلال العواطف الجياشة العاصفة في قصته . فالفيلم يتحاشى المناقشات الصريحة لحركة التحرر النسوي ، ولا يقدم أبطالاً أو أشراراً من أي من الجنسين ، وبدلاً فإنه يبتعد بشكل إرادي عن أفلام مثل « الليس » و « امرأة غير متزوجة » التي تسوق مقالات وأفلام يستحوذون على المشاهد ، ورجال قد لا يتميزون لغاية أو لوعياً ، كما أنه يختلف عن كل الأفلام التي تدور حول نساء ورجال غير المتزوجين ، وذلك لرفضه استخدام الحيلة كعامل مساعد في تقدم قصته ، إن دور « جوانا » كريمر هنا الزوجة التي يصور الفيلم أن علاقتهما العاطفية انتهت منذ أول مشهد في قرية اللوم .

المشكلة ...

ويعطي بنتون فيلمه قوة وتعقيداً بأن يتحدى الأفكار المسبقة والآراء القاطعة الجاهزة لدى المشاهدين في كل منعطف من الفيلم . ويبدو عند التحليل منذ المشاهد الأولى ، فعندما تقدم جوانا زوجها بيد بنيها ستخرج من الشقة ، فإن الفيلم يكون في جانبها تماماً ، فهي حساسة وحيطة ومحزونة بشكل واضح في هويتها الخاصة ، أما تيد المدير التنفيذي لشركة الإعلانات ، فهو خال تماماً من الأحاسيس والشعور ، ومحبوس في ذاته ، ولا يهتم إلا بترصيد المال المتحكم الذي حققه ، وهو منغمس في نفسه للدرجة لا يستطيع معها أن يصدق أن جوانا تعيسة فعلاً للحد الذي تضطر معه إلى هجره .

وبينما هو ممتلئ بالضعف في محاولة تفهمها يتكلم تيد عن نفسه فقط ، ويحاول أخيراً أن يرعاه

الأم والابن أثناء مشاهدتها أمام المحكمة

جوانا لرغبته الشفقة على العودة الى البيت مكانها استخدام كلوة المعجزة يكفي لحل المشكلة ، فتشاهد جوانا في صوت كهمس الموت « زحوت لا تجبرني على الدخول » ، هناك وتنتزع نفسها من زوجها في الضراع يحتمل كل من تشاهدها يشاركها رغبتها في الفرار منه بأي شكل .

وفي تلك اللحظة يبدو تيد كريمر وحشاً لا أمل فيه ، ولكن الفيلم لا يترك المشاهدين فرصة لحكم متسرع وحالما تخرج جوانا ، يشرع بنتون المخرج في التعاطف مع تيد ... الذي أصبح مسئولاً عن تربية ابنه بمفرده ، وعندما يجد نفسه مضطراً مرة أخرى للاختيار بين مستقبله الوظيفي ومسؤوليته الأبوية فإنه لا يقع في الخطأ مرتين ، وهو يمنح نفسه في علاقته مع ابنه « بيلي » « جستين هنري » أي نوع من الفرد أولاً ، ثم ككل ثانية ، ونقدم محاولات الأب هذه مشهداً نادراً في العناية والسلطة على السواء ، وهو مشهد لشخصية ثنية نفسه تجاهد في الرابعة لتغيير نفسها واتخاذ هوية جديدة .

الصورة المعبرة

وعادة ما تقدم الأفلام مثل هذه التحويلات في الشخصية لتخدم غرضاً في حبكة القصة فقط ، وتحقق ذلك بقفزات سريعة في الزمن ، ولكن بنتون يقوم بتقصي الشاق ، عبر تقديم التغييرات التي تطرأ على شخصية الأب ، تيد على الشاشة شيئاً فشيئاً ، ويمكن ذلك في سلسلة من المشاهد المذهلة ، تغطيتها الجزء الأوسط من الفيلم ، وتدور كلها بين الطفل وأبيه ، وفي خير شاهد على ما قاله ف. سكوت فيتزجيرالد ، القاص والروائي الأمريكي الكبير « إن الفعل هو الشخصية » فهذان الممثلان ، أحدهما نجم سينمائي مرموق ، والآخر طفل صغير ليست له خبرة سابقة بالتمثيل ، يخلقان أصدق علاقة بين ابن وأبيه ظهرت على الشاشة الأمريكية حتى الآن ويخلو من تلك اللمسات المتكلفة أو المشحونة بالعاطفة التي سادت الأفلام التي تدور حول الآباء والأبناء .

ولكي يسجل بنتون حالات « تيد » النفسية المتفاوتة بشكل دائم ، فإن هوفمان يمثل دوره بتفاؤل غير محدود ، فهو غاضب ومشوش بالمرارة في البداية ، ووجهه مصبوغ بالفزع لكنه يتدرج في انشغاله بالحنان من الرقة والعاطفة الجامحة في دوره ، ويتمثل فيه الجديد في عطف وحنان لا أكثر من ذلك ، حتى يصنع المنظر الذي يطمئن فيه مشاهدي الطفل غير ملوم على فجران

الأب والابن يشتركان في تجهيز طعام الإفطار ... ما أعمقها رابطة

تطور شخصية الطفل

بعد عودة الأم

الأب يضحي بعمله من أجل أن يصنع حياة إنسانية من جديد بعيدا عن الصفات الحميمة الزوجية



قصة جديدة تطرح الحقائق الإنسانية المؤلمة والغامضة بصورة جديدة ومزعجة بعيدا عن الوعظ والمناقشات

ميريل ستريب ... ذات الوجه المعبر الشفاف





داستن هوفمان الذي نال ... جائزة الأوسكار عام ١٩٧٩ لأحسن ممثل



... [illegible] من التجربة الإنسانية ... بطريقة ... وقد حذف في السيناريو كل التفاصيل غير الضرورية والخلفيات التي تحفل بها رواية كورمان ، وركز في الحركة على ... مشاعر الشخصيات فوق كل شيء ، ولم يستخدم الموسيقى لتعليق أي مشهد ، وجعل التصوير ... [illegible]

ولا يبقى ... [illegible] ... أم قصد بهذا الفيلم أن يكون ... عن عدم عدالة النظام ... أو عن ... الأم أو الأب في ... الأطفال ... [illegible] ... حول الزواج.

إن ما ... في الحياة ... [illegible] ... المواضيع ... [illegible]

... [illegible]

... [illegible] ... الرجل والنساء والأطفال في ... [illegible] ... ورغم أن الفيلم لا يقدم أجوبة للأسئلة التي يطرحها فإنه ... [illegible] ... أو ربما عن الحقائق الإنسانية المؤلمة والغامضة في آن واحد.

عن المحق ؟

... [illegible] ... جوانا ... [illegible] ... المحكمة ... [illegible] ... ميريل ستريب ... [illegible] ... جوانا ... [illegible] ... المحكمة ... [illegible] ... المشاهد ... [illegible] ... الفيلم ... [illegible] ... الاخيرة ... [illegible] ... التي يتطوى عليها هذه الدراما.

فنية الفيلم

لقد ... [illegible] ... لأنه ... [illegible] ... معظم ... [illegible]

ميريل ستريب . الأم العائدة بجائزة الأوسكار لأحسن ممثلة مساعدة



الرضاعة الطبيعية هي الأفضل

رضاعة لبن ثدي الأم جزء حيوي وضروري للغاية في عملية تنشئة الاطفال الصغار . وقد استنفتها الطبيعة لتأمين التغذية الصحيحة المتكاملة للطفل الوليد . ومع ذلك نجد ان هذه الطريقة الطبيعية اخذة في الانحسار في اجزاء كثيرة من العالم ، مما حدا بالسلطات الصحية والحكومية والافراد الى تأكيد خطر التخلي عن الرضاعة الطبيعية والاستعاضة عنها بزجاجات الرضاعة التي خلقت كثيرا من المشاكل والمآسي التي كان من الميسور تجنبها .

فالطفل حديث الولادة لايقوى على البقاء حيا دون تغذية كافية وصحيحة ، وحماية محكمة من العدوى والمؤثرات الضارة . وما من فترة في حياتنا اكثر حرجا وعرضة للخطر من الاشهر الاولى من خروج الطفل من بيئة رحم الام حيث الاستقرار والحماية شبه كاملين ليجد نفسه مطالبا بالتأقلم وبسرعة على عالم ملئ بضغوط مادية مختلفة والطفل الرضيع دون سائر انواع الحياة قليل القدرة على الاستقلال لانه لايستطيع القيام بأي شيء ولذا وجبت تغذيته وتربيته بشكل فعال .

احتياجات الطفل

إن افراز اللبن وتغذية الطفل به وظيفتان من وظائف عملية التكاثر في كل انواع الحيوانات ذوات الثدي ، وقد وقرنهما الطبيعة لتجعل الانتقال من الحياة في رحم الام الى الحياة خارجه ممكنة وآمنة بالنسبة للمولود الرضيع . ولكل من هذه الانواع احتياجات تختلف عن احتياجات اي نوع آخر . وقد طور كل نوع سلوكا محددا في افراز اللبن واطعام رضيعه ، يناسب تلك الاحتياجات المحددة لصغاره .

وفي لبن الأم ، فإن توازن نسب الطاقة والبروتين والدهن واللاكتوز والمعادن والفيتامينات والماء تماثل احتياجات غذاء الطفل وطبيعته الفسيولوجية بشكل مثالي . كما ان الطفل في ايامه الاولى يتلقى مادة الكولوستروم ، وهو اول اللبن ، من ثدي امه . وحتى الآن لم يتم تركيب هذه المادة خارج جسم الام ، وتقوم كل ام بافرازه لطفلها ، وهو يشبه في كثير من مكوناته الغذاء الذي كان الجنين يتلقاه وهو في رحم امه من المشيمة . ولذا فإن الرضاعة الطبيعية تحد من الصدمة والتغيير في العالم خارج الرحم في الايام الاولى بعد ولادة الطفل . كما ان هذا الكولوستروم يحتوي على مستويات عالية من الرضيع من انواع معينة ... المكونات الحيوانية الضرورية التي ... الامعاء للتغيير في عملها .

الحماية والوقاية

إن لبن الام يكفي كل احتياجات الغذائية للطفل الوليد ويستمر في مقابلتها بشكل كامل في الاربعة او الستة اشهر الاولى قبل ان يحتاج الطفل الى الطعام ليكمل لبن امه . وفوق ذلك كله فإن لبن الام يحمي الطفل من الامراض وادواء معينة . فقد كان الطفل قبل الولادة يتمتع بحماية رحم الام له ، ولكنه بعد ان يطلق صرخته الاولى يواجه مخاطر العدوى والمرض . ويوفر له الوقاية السلبية التي كان يحصل بها في رحم امه من المشيمة بعض الحماية بعد الميلاد ، ولكنها ليست كافية وحدها ، وهنا ايضا يلعب لبن الام دورا حيويا فهو يحتوي على المكونات النشطة التي توفر عناية ووقاية تدفعان الاذى عن الطفل كما ان هناك اجهزة دقيقة في اللبن لم تتحدد طبيعتها بعد تجعل تطور العدوى اقل احتمالا ، وتحد من شدتها حتى اذا ما حدثت بالفعل .

مثلا - نوبات الاسهال التي تشكل مشكلة خطيرة بالنسبة للاطفال وخاصة في العالم الثالث ، تقل جدا وتصبح اقل حدة عند الاطفال الذين يرضعون لبن ثدي الام . وكذلك الامر بالنسبة للالتهابات الفيروسية والتنفسية . والطفل المرضع لبن امه لا يعاني من مشكلة الوزن الزائد ، خاصة إذا علمنا خطر الوزن الزائد عند الاطفال ، لانه يجعلهم اقل قدرة على مقاومة امراض جهاز التنفس . كما ان احتمال اصابته بالحساسية تجاه بعض الاطعمة مستقبلا اقل عددا مما هي عند طفل لايتغذى بالرضاعة الطبيعية .

للرضاعة الطبيعية قيمة خاصة بالنسبة لصحة الطفل النفسية ، لان الاتصال الحميم بأمه ، واهتمامها الدائم به ورعايتها له ، كل ذلك يحقق عند الطفل شعورا بالدفء والطمأنينة والامان ، له اهميته في نموه الجسدي والعاطفي ، وفي مستقبله .

وهكذا نرى ان الرضاعة الطبيعية تقيم جسرا طبيعيا بين الحياة في الرحم والحياة خارج الرحم . ويمكن ان نعتبرها نوعا من الاعداد التدريجي للطفل ليقوى على الوجود المستقل . ولذا يجب تشجيع رضاع ثدي الام بكل السبل ، لانه حق طبيعي بالميلاد للطفل . وليس شيء غير عادي او معل ومزعج ، وغير لائق ، كما صار ينظر إليه في كثير من المناطق .

الزجاجة ولبن الام

لماذا ، إذن ، استبدلت الرضاعة الطبيعية رغم كل مزاياها التي ذكرنا ، بما هو اقل منها فائدة واكثر منها تكلفة ؟ لماذا تحول الناس الى استعمال منتجات لا يمكن ضمان سلامتها في الاماكن التي يشح فيها الماء النقي ، وتنعدم امكانيات التعقيم السليم للزجاجة والبزازة ،



وحيث لا يضمن وجود كفاية من أغذية الأطفال».

إن الأسباب معقدة، ويصعب تمييزها فهناك أسباب اجتماعية واقتصادية. فالرضاعة ليست غريزة في الناس، ولكنها تتم بالتعلم والممارسة.. ولذا يجب تشجيعها بانتظام من قبل الأسرة والمجتمع، وأن ينظر إليها كجزء طبيعي من الأمومة. ونجاحها لا يعتمد على قدرة الأم على إفراز اللبن فقط. إذ أن ٩٩٪ من الأمهات لهن القدرة على ذلك، خاصة إذا تمت تغذيتهن بشكل كاف. كما أنها لا تعتمد على قدرة الأطفال على امتصاص اللبن وإنما على الطريقة التي تتم بها توعية وتوجيه المرأة على رضاع الثدي وعلى رغبتها في القيام به، كما أن الرضاعة تتحد بالمدى الذي يؤيدها به المجتمع ويقدرها.

ولقد كانت الرضاعة الطبيعية قبل عصرنا هذا شيئا أساسيا في تربية الأطفال في كل المجتمعات ولم تكن هناك بدائل مقبولة ويمكن الاعتماد عليها. وكانت العلاقة بين الرضاعة الطبيعية وبقاء وحياة الجماعة واضحة، أما اليوم فإن أساليب الحياة قد اختلفت. وبنفس القدر الذي صارت فيه الصناعة والتكنولوجيا تشجع الناس على الاعتماد على الأغذية المعلبة بدلا مما تنتجه حدائقهم، فإن الأم قد تم تكييفها لتعتقد أن لبن الأطفال الجاهز الذي لا يعدو أن يكون لبن بقر مجفف ومعد بطريقة معينة لاستعمال الأطفال هو على راحة وغذاء ونظافة، وما عليك إلا أن تضيف قدرا من الماء، ويكون الغذاء جاهزا، ويمكن لأي شخص إطعامه للطفل، فلا حاجة للأم قاعدة في البيت من أجل الطفل إن كان بإمكانها أن تعمل في مصنع أو مكتب، أو تخرج للزيارة أو السوق، أو تغيب عن المنزل لبعض الوقت.

صناعة الأغذية

ربما لم يكن عالم الطب يدرك قيمة لبن الأم أو لم يكن يقدره حق قدره في الوقت الذي بدأ فيه تطوير أغذية الأطفال على يد رجال الصناعات الغذائية. وربما كانت صناعة الأغذية ترى أنها تقدم خدمة اجتماعية كبرى ومطلوبة، طمعا بجانب الفوائد التي تجتنيها. وربما كانت الضائقات الاقتصادية في العالم الثالث هي التي اضطرت كثيرا من النساء إلى الخروج للعمل، ولكن الثابت هو أن استخدام «الرضاعة» للأطفال قد زاد حجما ومدى، وخلق جملة من المشاكل الصحية والمآسي.

ولأن المصانع بعيدة عن المنازل في الغالب ولا تتوفر بها إمكانيات الرعاية

بالأطفال . فإن الأم العاملة غالبا ما تترك طفلها تحت رعاية أطفال أكبر منه أو مع مربية لا خبرة ولا تدريب لهم . وفي الدول النامية - لاتجد القطاعات السكانية الأشد فقرا ماء نقيا ، أو تجهل طريقة تعقيم الأدوات المستخدمة في خلط المقادير الصحيحة من الماء واللبن الجاف بما يفي بكميتي الطفل إذا كان الماء قليلا واللبن مركزا ، أو يعطيه غذاء ناقصا إذا زاد الماء في اللبن الجاف . وعندما يترك أمر إطعام الطفل للصدفة بهذه الطريقة ، فإن النتائج لابد وأن تكون وخيمة ، إذ يمكن أن يمرض أو يعاني من الإسهال المعوي الحاد الذي يسبب الوفاة إذا ما اشتد .

كل هذه الكوارث يمكن تجنبها إذا ما تمت توعية شاملة للنساء الأمهات تقوم بها العاملون في المجال الصحي والطبي ، والمسؤولون ووسائل الإعلام ، لإبراز فوائد الرضاعة الطبيعية ، وأخطار الرضاعة الصناعية بالزجاجة حين لا تكون بطريقة صحيحة . ولأن الفقر والجهل يلعبان دورا كبيرا في تدهور الرضاعة الطبيعية ، ولذا فإن برامج الصحة العامة والنظافة يمكن أن تفيد

... السكان من نقص الاحتياجات الأساسية للأطفال ... الوقاية

لا أخلاقية الدعاية

إننا لا يمكن أن ننكر أن الصناعات الغذائية قد ساعدت عددا معينا ومحدودا من الأمهات اللاتي لم تمكنهن ظروف طبيعية حقيقية من إرضاع أطفالهن ، وذلك حين طورت لبن البقر وجعلت منه غذاء للأطفال . ولكن هذه الصناعات هي المسئولة بطريق مباشر وكامل عن تشجيع وإغراء كثير من الأمهات للابتعاد عن الرضاعة الطبيعية ، وما تقدمه من غذاء كامل للطفل ، والاستعاضة عنها بالزجاجة . وقد انتبهت لذلك كل من السلطات الصحية والحكومية والعلمية . ويعود الفضل في كشف هذه الحقيقة إلى الحملات التي قامت بها النساء في أوربا وأمريكا ضد أساليب التسويق غير الأخلاقية التي تمارسها كثير من شركات الأغذية ، وخاصة شركة نستل السويسرية . وقد طالبت هذه الحملات بوضع أحكام عقلية تمنع شركات صناعة أغذية الأطفال من تشجيع الأمهات على ترك الرضاعة الطبيعية واستخدام أنواع معينة من أغذية الأطفال المصنعة . كما طالبت بإجبار شركات الأغذية بالقيام بتشجيع الأمهات على العودة إلى الرضاعة الطبيعية ، وأن توقف توزيع إعلاناتها وعيناتها الجديدة المجانية من الألبان على الأطباء والأمهات في عنابر الولادة .

إن أساليب التسويق المعاصرة قد خلقت بكل تأكيد إقبالا كبيرا على هذه المنتجات . وهذا واضح في المجتمعات التي تخلو من أية معلومات عن محاسن لبن الأم ، وتطغى فيها المعلومات والدعاية عن فضائل أنواع معينة من الأغذية المصنعة للطفل . وبذا تظل الأم حائرة تماما أن لبنها أفضل من أي طعام مجهز للأطفال . وبالتالي تشعر بالنقص تجاه زميلاتها في الدول المتقدمة لأنها ترضع حيث لا يرضعون . إن إيجاد بدائل للبن الأم قد يبدو مثاليا بالنسبة للمرأة العصرية التي لا وقت لها . ولنمو الطفل ، ولكنه مضلل بشكل خطير ، لأن كثيرا من النساء وخاصة في دول العالم الثالث وحتى بين المتعلمات ، يعتقدن أن تغذية الأطفال بالأفضل والأغلى ما يشتريه المال يوفر لأطفالهن أفضل ما يمكن تقديمه . كما يظهر ثراء ومستوى وضعهن الاجتماعي . ومن مصلحة شركات الأغذية بالطبع أن تبقى هذه الأفكار نشطة حية ، لأن العائد من صناعة أغذية الأطفال كبير ومغر ، فالنساء تبغي الأفضل لأبنائها ، والشركات لا تهتم إلا بالإعلان عن منتجاتها ، وكيف أنها أفضل من أي منتجات أخرى لكفاية ما يحتاجه الأطفال . وليس من مصلحتها أن تذكر بأنها ليست الطريقة الوحيدة لتغذية الطفل تغذية متكاملة عن الرضاعة الطبيعية ، وأن الأغذية البديلة غالبا وحتما وجدت غالية السعر .

إن فوائد الرضاعة الطبيعية كثيرة ، وهي حق طبيعي للطفل ، وتوفر له أفضل غذاء متكامل ، وفيها سعادة له وحماية لجسده ونفسه في صغره وفي مستقبله .





زراعة الثدي

لكن ما يقلق النساء اللاتي يصبن بسرطان الثدي هو أن يتم العلاج باستئصال الثدي المصاب. فبالرغم من أن الطب الحديث قد تمكن من السيطرة على تلك الداء في مراحله الأولى كما أشرنا في أعداد سابقة من هذه المجلة إلا أن الجراحة تبقى ملاذاً أخيراً يلجأ إليه الطبيب خوفاً من سريان المرض السرطاني إلى أعضاء الجسم.

ورغم أن الجراحة مأمونة العواقب في كثير من الحالات إلا أن النساء اللاتي يخضعن لها يتعرضن للتشوية بسبب فقدان أحد الثديين على الأقل ومن هنا فقد كرس أطباء الجراحة والتجميل جهدهم لإنجاح عمليات زراعة الثدي لإزالة مشاعر الخوف عند كثير من السيدات اللاتي يخفين المرض حتى لا يتعرضن للتشويه.

وقد ظل الأطباء يحاولون زراعة الأثداء لفترة طويلة ولكنهم لم ينجحوا في تحقيق النتائج الجمالية إلا مؤخراً حيث نجح الناجحون الطبيون في هذا المجال بدرجة يصعب معها التفريق بين الثدي المزروع والآخر الطبيعي أما العمليات الجراحية نفسها فقد أصبحت بالدرجة التي تسمح

المريضة من مغادرة المستشفى في اليوم التالي للعملية.

ويستعمل الأطباء اليوم أكياساً من اللدائن الصناعية المرنة يملؤونها بحبيبات السيليكون أو الأملاح المذيبة ثم يخاط هذا الكيس في مكان الثدي المبتور ولكن طريقة الزراعة تتوقف على نوع عملية الاستئصال التي تعرضت لها المريضة فإذا تمت العملية دون المساس بعضلات الصدر التي تقع أسفل الثدي فإن هذا يعني وجود خلايا تسبب طاقة تساعد الجراح على أداء مهمته في سهولة وبسرعة ونقصان ... يبدو الجرح وتقوى الخلايا الموصلة ثم العضو المزروع.

ويراعى الجراح أن يكون الثدي المزروع ... الآخر الطبيعي ... التكوين ... [illegible]



التي ستحيط بالثدي الصناعي بعدها يحدث جرحاً أفقياً طوله أربع بوصات لفصل الجلد عن الدهن في عضلات الصدر لزرع الثدي الصناعي في التجويف.

ولا يأخذ الثدي المزروع شكله المستديم إلا بعد ثلاثة أشهر من العملية أو بعد أن يبرأ الجرح ويتمدد الجلد بدرجة كافية. بعدها يمكن إخضاع المريضة لعملية أخرى شديدة البساطة لزراعة حلمة صناعية للثدي بزراعة قطعة جلدية من الحلمة الطبيعية أو الجزء الداخلي من الفخذ ويمكن في نفس الوقت تلوين الثدي الطبيعي ليتطابق شكل وصفة المزروع.

أما إذا أخضعت المريضة لعملية استئصال جذرية تتطلب إزالة كل عضلات الصدر أو تعرض جلد الصدر للوهن بسبب المعالجة المستمرة بالإشعاع. فإن العملية تصبح أكثر تعقيداً إذ يلجأ الجراح إلى استبدال العضلات التي أزيلت أو الجلد الذي تلف مستعملاً الجلد والعضلات المأخوذة من الجزء العلوي من ظهر المريضة ثم يقوم بدفعها من الخلف في داخل الجسم ليتمكن من وضع الثدي الصناعي تحتها.

ومع أنه من الممكن جراحياً أن تتم عمليتا الاستئصال والزراعة في وقت واحد إلا أن الأطباء يفضلون ذلك مراعاة لعوامل نفسية هامة لأن الثدي الصناعي مهما بلغ من دقة وإتقان لا يمكن أن يكون في جمال ما خلق الله وبما أن صورة الثدي الطبيعي تكون عالقة بذهن المريضة فترة ليست بالقصيرة فإن الأطباء يفضلون مرور فترة كافية على عملية الاستئصال حتى تنسى المريضة جمال ثديها القديم وتشعر بالسعادة للبديل الذي سيريحها من منظر الجروح والضماد على صدرها.

ويفضل الجراحون أيضاً إرجاء عملية الزراعة لحين الفراغ من تقييم المرض والتأكد من أن المريضة لن تحتاج إلى مواصلة العلاج بالإشعاع أو العقاقير الكيميائية ولكن من الممكن جداً إجراء عملية زراعية حتى للنساء اللاتي يتوقع أن يمتلكن الأصابة بالسرطان لأن الثدي الصناعي لا يعوق استقصاء المرض.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تتراوح تكلفة تلك العملية بين ألف وستة آلاف دولار ولكن بعض شركات التأمين ومنها شركة بلو كروس (الصليب الأزرق) وبلو شيلد (الدرع الأزرق) قدمت تسهيلات كثيرة جعلت أمكن إجراء الجراحة ميسوراً ورخيص التكلفة ولكن العائق الكبير أمام التطور هو أن عدد الراغبات في العملية أكثر بكثير من عدد الجراحين وإمكاناتهم ففي الولايات المتحدة مثلاً تجرى ٧٥٠٠٠ عملية استئصال سنوية تقابلها ٣٠٠٠ عملية زراعة.

ولا شك في أن نجاح تلك العمليات قد يجلب الراحة النفسية والوجدانية على المرضى من النساء وكما قالت سوزان موريس إحدى أوائل النساء اللاتي تلقين ثدياً صناعياً: لقد كان الأثر الجميل الذي تركته زراعة الثدي على نفسيتي أعمق من الآثار السلبية للمرض نفسه.

زلزال عيد الميلاد المسيحي بمدينة كارلايل في بريطانيا



لم يتوقع أحد من سكان [illegible] في بريطانيا أن يصحو حوالي الرابعة صباحاً على صوت هائل وهزة أرضية.

وكان ذلك هو ما حدث بالضبط قبل ثلاثة أشهر في اليوم التالي لأعياد الميلاد.

فبعد أن عاد المواطنون في مدينة كارلايل إلى منازلهم وراحوا في نوم عميق بعد احتفالات صاخبة وقع زلزال أرضي في منطقة جنوب اسكتلندا وشمال انجلترا. وهذه المنطقة تعد من أكثر المناطق الصناعية في إنجلترا ومكتظة بعدد كبير من السكان. هذا وقد حدث هذا الزلزال في مركز بشمال مدينة كارلايل بعشرة كيلومترات. ويقول خبراء الجيولوجيا أن هذا الزلزال لم يكن متوقعاً في هذه المنطقة بالذات لأنها تعتبر من ناحية النشاط الزلزالي أهدأ المناطق في بريطانيا على الأقل منذ ثلاثمائة عام لم تحدث فيها هزة أرضية واحدة. وكانت قوة زلزال مدينة كارلايل خمس درجات على مقياس ريختر وعلى عمق ثمانية كيلومترات داخل جوف الأرض.

إن الهزات الأرضية تجتاح بريطانيا من وقت لآخر ولكن أغلب السكان ليس لديهم أدنى فكرة عن متى وأين تقع الزلازل [illegible] وفي خلال الألف سنة الأخيرة في بريطانيا حدثت حوالي الأربعين هزة أرضية منها ما كان ضعيفاً وأشدها مثل زلزال مدينة لنكولن الذي حدث سنة ١١٨٥م وزلزال مدينة لندن الذي حدث سنة ١٥٨٠م وزلزال مدينة كولشستر سنة ١٨٨٤م. هذه الهزات العنيفة الأخيرة التي أحدثت خسائر جسيمة في الأرواح وفي المباني حدثت وبالتالي على فترات متباعدة بين كل فترة وأخرى ثلاثمائة عام تقريباً. وقد قدر العلماء قوة كل هزة من الهزات الثلاث السابقة الذكر وكانت أعنفها هزة ٥ - ٦ درجة قياسية. هذا ومن المعروف عند العلماء الإنجليز الآن أن رجفة أرضية بقوة ٤ درجات تحصل كل عام في إحدى المناطق في بريطانيا. وبما أن رجفة بمثل هذه القوة (أي ٤ درجات) تعد خسائرها بسيطة مقارنة بالهزات الأرضية التي حدثت في لندن أو لنكولن أو كولشستر (أي القوة ما بين ٦ - ٦,٥ درجة قياسية)، فقد حدثت هزة عيد الميلاد لحسن الحظ أضراراً بسيطة للغاية إذ تسببت في سقوط الحيطان القديمة والكثير والأسقف والأواني من أعلى الرفوف.

وقد بحثت مراصد الزلازل الموجودة في البلاد المتفرقة بأنحاء العالم عن الهزات الأرضية التي حدثت في الجزر البريطانية (خصوصاً المرصد السويدي) فقد وضحت احصائيات هذه المراصد أن قوة الهزات البريطانية في الجزر البريطانية متشابهة أقل خطورة من الهزات التي حدثت وتحدث في مناطق مثل اليونان - يوغوسلافيا - إيران - كاليفورنيا. وبالتحديد فإن هذه الأماكن الأربعة الأخيرة تحدث فيها بقوة خمس درجات قياسية مراراً وتكراراً الشيء الذي لا يحدث في بريطانيا إلا كل ثلاثمائة سنة تقريباً كما أوضحنا.

وتظهر نتائج الهزات الأرضية أن نوعية الهزة الأرضية في بريطانيا مختلفة تماماً الاختلاف عن نوعية الهزات التي حدثت في اليونان أو كاليفورنيا. [illegible] أنه في بريطانيا لا يمكن أن تنسب أي هزة إلى أي نوع من التصدع الجيولوجي. وتوضح الخريطة الجيولوجية لبريطانيا أن كل مجموعات مراكز الزلازل السطحي حدثت في طبقات أو متشابكات أرضية قديمة وليس بسبب التصدع الأرضي وخير شاهد على ذلك الهزات الأرضية التي حدثت ما بين عام ١٩٧٥ - ١٩٧٧م نتيجة لوجود مناجم الفحم في مدينة ستوك.

ومن حق سكان منطقة الهزة الأرضية أن يسألوا بحقهم بالمقارنة لما نتج عن الزلازل القديمة التي حدثت في الجزيرة وكيف أن الأرض ابتلعت الأسماك والحيوان والنبات.

في هذه الهزة الأخيرة لم يشاهد الجيولوجيون الانجليز أي تشقق على سطح الأرض وقد عزى ذلك لطبقة الطمي والرواسب الطينية وعزارة الأمطار والخضرة بينما تحدث هزة مماثلة في كاليفورنيا الشهيرة طولها ٥ - ٦ كيلومترات في صخور بركانية حديثة التكوين. ويفسر العلماء هذا الاختلاف إلى تباين في التكوين الجيولوجي لكاليفورنيا ومنطقة كارلايل. وعادة لا تحدث خسائر رهيبة إلا إذا كانت قوة الزلزال من ٦ درجات فأكثر.

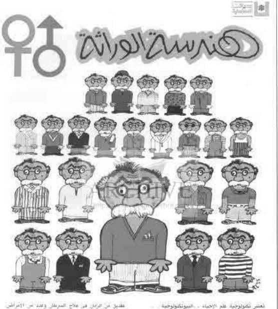
وعلى كل حال فإن كل الهزات الأرضية التي حدثت في بريطانيا في غابر الأزمان لم يكن لها مكان معين فقد اجتاحت الهزات الأرضية الجزيرة من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها.

ومهما يكن من أمر فإن توقعات حدوث زلزال معين في منطقة معينة أمر صعب للغاية كما أوضحت سلسلة الهزات الأرضية التي حدثت في كاليفورنيا في العشر سنوات الأخيرة ونسبة لعدم القدرة على التنبؤ فإن معظم الأماكن والمباني السكنية قد بنيت حديثاً في كاليفورنيا على أحدث النظم الهندسية الحديثة المقاومة للهزات الأرضية.

وعليه فإن قلق علماء الجيولوجيا المتعلق بحدوث زلزال كارلايل قد أقلق مضجع أغلب سكان الجزيرة البريطانية خصوصاً وأنه حدث في منطقة نشاطها الزلزالي غير مذكور وغير مدون عندهم وطرح سؤال واحد هلا! ولو حدث زلزال في منطقة بها مفاعلات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية؟

وليس تهرعون إلى بريطانيا للنزهة والسيرة خذوا حذركم!

هندسة الوراثة



تعتبر تكنولوجيا علم الإحياء - البيوتكنولوجيا - احدث واخطر ثورة في عصرنا هذا نسبة لما تبشر به من فرص كبيرة لمعرفة ادق اسرار حياة النبات والحيوان والإنسان، وما يمكن ان يتبع ذلك من امكانيات واسعة لمعرفة اسباب كثير من العلل والامراض، وبالتالي علاجها بشكل فعال.

وقد اهتمت وسائل الإعلام المختلفة بهذا الموضوع وخاصة بعد ما رآه العلماء من بشرى اكتشاف العقار الطبيعي المذهل - الإنترفيرون - واجراء تجارب لتركيبه باستخدام البكتريا كمصانع حية لإنتاجه، وتجريبه لمدى فعاليته في الزمان في علاج السرطان وعدد من الأمراض المستعصية، ونتائج ايجابية. وكانت حكاية المعاصرة في قدمته لقراء مجلة الدوحة في عدد اول مارس الماضي محققة بذلك سبقا علميا صحفيا على كثير من الصحف العالمية الكبرى.

وقد رأينا ان نقدم في هذا العدد المقالة الرئيسية التي افردت لها مجلة النيوزويك الامريكية غلاف عددها في ٢٤ مارس ١٩٨٠، نسبة لاشتمالها على كل الجوانب المتعلقة بهندسة الوراثة، وتطورات البحث في مجال تكنولوجيا

● لعل فهم العلماء لحقائق الأسرار سوف يسهل لهم استبدال الخلايا المريضة بأخرى سليمة



أفادت تركيب الحامض النووي للخلايا لصنع الهرمونات بغرض تحسين صحة البشر. وقد جمع هذه المعلومات من مصادرها العلمية المتعددة والمسؤولة فريق من محرري مجلة نيوزويك الأسبوعية

[illegible]

* ثورة علمية واقتصادية

[illegible]

* تركيب الحامض النووي

[illegible]

* اعتراضات وحذر

[illegible]

هندسة الوراثة

الخلايا من البكتريا والفيروسات وخلايا الحيوان وخلايا النبات وبمعالجتها بالأنزيمات التي تكسره أو تقطع منه شرائح طبقا لما يريدون ثم يأخذون تلك الشرائح ويستغلونها الخاصة لدراسة خواص القواعد التي تحتويها، ثم يلحمون الجينات ببعض البكتريا التي تعيش في الأمعاء مثلا لمواصلة الدراسة. وقد وجد العلماء أن هناك في بعض أنواع الأمعاء حلقات على هيئة حلقات تسمى البلازميدات فهم يستخرجون هذه البلازميدات ويستقطعونها بالأنزيمات ثم يدخلون فيها شرائح مختارة من حامض (د.ن.أ) ثم يلحمونها بالأنزيمات ثم يعيدون إدخالها في البكتريا. وعند انقسام خلايا البكتريا فإنها تعطي الجينات الوراثية المزروعة الجديدة للأجيال التالية.

• توليد سلالات خطرة

ومن أهم ما حدث في هذا المجال استطاعة بعض العلماء سنة ١٩٧٢ أن يوجدوا أنواعا من الجراثيم تقاوم عقار الستربتومايسين ولا تتأثر به... والخطر هنا من الاستعانة [illegible]. وتحاول الحكومات وضع اللوائح التي تمنع العلماء ومختبراتهم من البحث في مجال صناعة سلالات من الميكروبات تقاوم الأدوية والعقاقير، وكذلك البحث في مجال تخليق ميكروبات [illegible] بسموم لا دواء لها!!

والبحث في مجال كهذا يتطلب من المختبر فيه احتياطات صحية لا مثيل لها في مجال آخر.

• احتمال تسربها صدفة

إن احتمال تسرب الجينات التي تحمل [illegible] الصفات الخلوية عن طريق الصدفة هو الذي أثار القلق حول سلامة البحوث المتعلقة بتركيب الحامض النووي. وقد [illegible] الهيئات [illegible] الصحة [illegible] الأمريكية مجال البحوث في [illegible] المفهوم [illegible] أن التجارب التي تجرى على الحامض النووي (د.ن.أ) للمكورات أو الفيروسات المسببة للأمراض، والجينات التي تستخدم في إنتاج السموم القاتلة لا يسمح بها إلا تحت ضوابط صارمة، وفي معامل على درجة عالية من الاحتياطات [illegible] بهذا المجال [illegible] قبل [illegible] كما أنهم يجرون تجاربهم على البكتريا من خلف [illegible] وبعد [illegible] هذه البحوث والتجارب [illegible].

[illegible]

وقد [illegible] أن [illegible] فقد تسربها في شيء أو حيوانات خطرة [illegible] الجينات [illegible] البكتريا التي تستخدمها [illegible] بطرق يتحكم فيها المختبر.

[illegible] وتنتشر عن طريق الصدفة... [illegible] العلماء [illegible] لأنهم لا يدرون حتى أن [illegible] خلق [illegible].

• نتائج إيجابية

ولم الموت [illegible] العلمي في هذا المجال [illegible] الأنسولين [illegible] السكر [illegible] عملية [illegible] سنة ١٩٧٨ [illegible] الإنترفيرون [illegible] الفيروسات [illegible] العلماء [illegible] ويمكن [illegible] مرض [illegible].

• أسرار جينات الوراثة

ويحاول العلماء بأبحاثهم في طريقة السابح [illegible] الحامض النووي [illegible] أسرار الجينات الوراثية [illegible] الخلايا [illegible] الكروموسومات [illegible] الجينات [illegible] العلماء [illegible] الفيروسات [illegible] الحامض النووي [illegible] الجينات [illegible] البكتريا [illegible] الحامض النووي (د.ن.أ) وتحديد مواقع الجينات في الكروموسومات [illegible] الجينات [illegible] الجينات لتوضيح خريطة القواعد [illegible].



د. [illegible] أمام نموذج للحامض النووي بعد [illegible] تركيبه وهندسته

العلماء يحاولون إماطة اللثام عن الحامض النووي معقل أسرار الجينات الوراثية

[illegible] الأبحاث [illegible] من الأبحاث [illegible]



أحد العلماء يقوم بعملية شرح لخارطة الجينات

* فرص جديدة لعلاج السرطان

* الآثار الأخلاقية المترتبة

شمس العرب

بديل جديد للطاقة

إعداد: د. أحمد إسماعيل



- هل هناك أموال عربية طائلة تهدر في هذا الموضوع؟
- منذ عشرين عاما بدأت الأبحاث على الطاقة الشمسية في السعودية
- اتفاقية تعاون مع ألمانيا الغربية لتطوير الأبحاث وتطبيق الطاقة

الطاقة الشمسية لها أهمية قصوى بالنسبة للدول العربية النفطية وغير النفطية للبترول. وقد بادرت هذه الدول بالفعل في استغلال الطاقة الشمسية واستعمالها. فاليوم نجد حوالي الثلاثين جامعة وأكثر من أربعين مؤسسة حكومية تقوم بدراسات جادة في هذا المضمار.

والدول العربية التي لها مساحة شاسعة تبلغ ١١٪ مليون كيلو متر مربع أمطار لها ثروة هائلة من الطاقة الشمسية ذلك لأن مقاييس الإشعاع الشمسي أو الناتج الشمسي أوضحت أن كل متر مربع من هذه المساحة يتلقى ما يعادل ٢٧٥ وات (وحدة كهربائية) من الطاقة الشمسية وإذا افترضنا أن ١٪ من هذه المساحة (١١٪ مليون كيلو متر) قد استغل لتوليد وتوظيف الطاقة الشمسية لهذه ذلك لبناء ٣٠٠٠ محطة توليد كهربائية بسعة تساوي ١٠٠٠ ميجاوات.

ولكن هناك من العرب من يقول أن أموالا عربية طائلة تهدر في هذا الموضوع، إذ يجب على الدول العربية أن تعنى بالبحث في هذا المجال وتطبيقه في أراضيها بدلا من أن تشتري هذه الأبحاث والتكنولوجيا من دول الغرب. ومهما يكن الأمر فإن تكنولوجيا هذه الصناعة الجديدة يأتي جله من الغرب. وإن كانت دول العالم الثالث بما فيها الدول العربية اليوم تمتلك البعض من هذه التكنولوجيا (السخان والتقطير للمياه وهكذا) ولهذا نجد أن الدول العربية (مثل المملكة العربية السعودية والكويت) تفضل أن تشتري آخر ما وصلت إليه تكنولوجيا الغرب في هذه المسألة وعليه أصبحت دول الغرب الرئيسة تصدر مثل هذه التكنولوجية – التي قد تكون ليست ذات أهمية في بلادهم – إلى الدول العربية حيث أن الطاقة الشمسية والمال متوفران.

وأكثر الدول العربية اهتماما بتطوير هذه الصناعة الجديدة وتطبيقها هي المملكة العربية السعودية حيث وحدها تدفع أكثر من ٦٠٪ من تكاليف هذه الصناعة في الدول العربية مجتمعة. وقد بدأت الأبحاث على الطاقة الشمسية في السعودية في حوالي ١٩٦٩م في جامعة البترول والمعادن بالظهران. وكذلك اليوم نجد أن كل الجامعات السعودية قد أدخلت هذه الأبحاث في برامجها ومقرراتها ومنذ سنة ١٩٧٧م بدأت الحكومة في عدة أعمال ممثلة في وزارة الصناعة والكهرباء والمركز السعودي للتكنولوجيا والعلوم الذي أنشئ في عام ١٩٧٧م (والذي قام بتطوير الطاقة الشمسية في السعودية سنة ١٩٧٨م). هذا وقد قام المركز السعودي للتكنولوجيا والعلوم بتوفير حوالي الـ ٥٠ مليون دولار لأبحاث الطاقة الشمسية في الجامعات السعودية. ومن أكبر مشاريع الطاقة الشمسية الذي أوشك على الانتهاء مجمع تدفئة وتسخين مياه لكلية القوات الجوية بمدينة تبوك ويبلغ مساحته ١٢٧٠ مترا مربعا من مجمعات الطاقة الشمسية وتقوم ببنائه شركات أمريكية. كذلك تنوي الحكومة السعودية بناء محطة توليد الطاقة من الشمس على مساحة ٤٠٠ هكتار من المجمعات للطاقة والغرض من هذه المحطة أن تمد منطقة جبيل الصناعية بحاجتها من الكهرباء. كذلك تقوم الحكومة السعودية مع الحكومة الفرنسية ببناء مضخة لرفع مياه الآبار على مساحة ٦٠٠٠ متر مربع من المجمعات للطاقة مع تعميم مثل هذه المضخات في بقية المملكة. كذلك قامت الحكومة الفرنسية ببناء مفاعل نووي واحد بمدينة الرياض. وكنتيجة طبيعية لازدياد معدلات الاستهلاك المحلي والتصدير للخارج من النفط العربي فقد اتجهت حكومة قطر نحو الاهتمام بالطاقة الشمسية ممثلة في جامعة قطر والمركز الذي للتنمية الصناعية. وقد شرعت فعلا جامعة قطر في الاستفادة من الطاقة الشمسية كبداية لأبحاثها المستقبلية (راجع كتاب سالم الحابور – تقييم استعمال الطاقة الشمسية في قطر – ١٩٧٦). وأبرمت اتفاقية بين حكومة قطر وحكومة فرنسا في مارس ١٩٨٠ للتعاون في هذا المجال.

أما في دولة الكويت فيقوم المعهد الكويتي للأبحاث العلمية بتطوير صناعة الطاقة الشمسية. وقد وقعت الحكومة الكويتية اتفاقية تعاون مع ألمانيا الغربية يتم بموجبها تطوير أبحاث وتطبيق الطاقة الشمسية وكذلك كل البدائل الممكنة للطاقة.

دول أخرى

أما في البحرين فقد بدأت دراسة الجدوى الاقتصادية للاستفادة من الطاقة الشمسية في عام ١٩٧٧. وهنالك تعاون وثيق بين الكويت والبحرين والأردن في هذا المضمار.

أما الجزائر فتولي اهتماما بالغا للاستفادة من الطاقة الشمسية ومن أهم المشاريع التي تجرى الآن بناء قرية قرب بلدة بوسعادة تسع ١٠٠٠ مواطن والقرية مخططة لكي تمد كل منازلها بالطاقة الشمسية ثم تعم التجربة على بقية أجزاء القطر.

أما بالنسبة للطاقة الشمسية في مصر فهي كباقي الدول لازالت كلها محاولات في المختبرات وإن كان التطبيق الفعلي قد حصل في قريتي منشأة أبو الكوم والبساتين. وفي دراسة أجرتها منظمة الدول المصدرة للبترول العربية، أفادت الدراسة أن مصر من أكثر الدول نشاطا وتخطيطا لبرامج وأبحاث الطاقة الشمسية ولكنها تعتمد كليا على المساعدات

شمس العرب بديل جديد للطاقة

الخارجية نتيجة وقف المساعدات الحكومية لهذه الابحاث واتجاه الحكومة للتعرف في ابحاث الطاقة النووية . وتملك مصر اليوم عن الان مفاعلا نوويا واحدا . وقد وقعت وكالة الطاقة الذرية عن اتفاقية مع الولايات المتحدة لكي تمدها بعشرة مفاعلات حتى سنة ٢٠٠٠ وسوف تغطي هذه المفاعلات حوالي ٤٠٪ من كهرباء مصر .

اما اكثر بلدان الشرق الاوسط اهتماما واستفادة من الطاقة الشمسية اليوم فهي المملكة الاردنية الهاشمية وتوضع تجاربها وتطبيقاتها على انها الانجح في المنطقة العربية وقد ساهمت كثيرا في دفع الاقتصاد الاردني وتقوم الجمعية الملكية العلمية بكل ابحاث الطاقة الشمسية وقد ظهرت نتائج ابحاثها في المشروع المشترك مع شركة دورنير الالمانية التي قامت ببناء محطة تحلية المياه بالعقبة مستعملة مواسير التسخين الشمسية واليوم نجد في الاردن تركيب للتسخين السخانات الشمسية للاستعمال المنزلي . كما استفادت الاردن من الطاقة الشمسية في مد شبكة التلفونات (التلفوني) على جوانب الطرق تعمل بالطاقة الشمسية وقد عممت هذه السكنات في كل الطرق البرية الكبيرة بالمملكة . والمحاولات جارية على قدم وساق للاستفادة من الطاقة الشمسية في بث برامج التلفزيون في الاردن . هذا لمن يشاء

السيليكونات الزجاجية الزراعية لتكثيف انتاج الخضر ..

في المغرب : فقد انشئ مركز ابحاث الطاقة الشمسية في مراكش ويكلف مشروع تطوير البطاريات الشمسية الان ٢٧٠٠٠٠ الف دولار امريكي .

اما في دولة الامارات العربية المتحدة فتقوم الامارات ببناء محطة لتحلية مياه بتكاليف قدرها ٣٠٩ مليون دولار امريكي ، تعمل بالطاقة الشمسية وسوف يتم انجازها في ظرف ٤ - ٥ سنوات .

النفط المتزايد والازمة

هل تواجه الدول العربية ازمة حقيقية في الطاقة نتيجة النقص المتزايد في احتياطيها الاستراتيجي من النفط ؟ [illegible] الدول العربية النفطية [illegible] ١٩٧٨ [illegible] ٣٠٪ [illegible] ٢٠٪ [illegible] الدول [illegible] الطاقة الشمسية وتوجد بدائل جديدة للطاقة .

١ - ان الطاقة الشمسية هي انظف وارخص انواع الطاقات - ان الطاقة الشمسية ليس بها اي نوع من انواع التلوث البيئي الذي بدوره يؤثر على صحة الانسان والحيوان والنبات - والخطر عند التلوثات البيئية في البترولية هي التلوثات النووية نتيجة التسرب في المفاعلات النووية وتسرب نووي حصل في مفاعل ثري مايل ايلاند امريكا وتسرب نووي حصل في احد المفاعلات بفرنسا وغيره وغيره .

٢ - ان الشمس هي مصدر الطاقة الكوكب الارضي (عملية التمثيل الضوئي وما ينتج من نتائج) .

٣ - ان الاجهزة التي تستخدم الطاقة الشمسية تستخدم في اغلب مجالات الحياة اليومية مثلا :

(أ) تسخين المياه اللازمة للاستعمال بدلا من الكهرباء والغاز .

(ب) التبريد (الثلاجات) والتكييف (المكيف) .

(ت) تشغيل الموتورات بكافة انواعها (طلمبات لرفع المياه من الآبار واستغلالها في الزراعة) .

(ث) تحلية مياه البحر بواسطة عواكس لجمع الحرارة (قد تصل درجة الحرارة ٣٠٠٠ - ٤٠٠٠ درجة مئوية) .

(ج) الخلايا الضوئية تجمع الضوء من الشمس وتحوله الى كهرباء (بطاريات) وتستعمل هذه البطاريات في التلفونات والتلفزيونات وهكذا .

(ح) بناء السيليكونات الزجاجية وتكييفها حسب درجة الحرارة المطلوبة (بدون التقيد بصيف او شتاء) وذلك للحصول الزراعة الناجحة ..

وفي النهاية يمكن ان نقول ان اكبر المراكز لابحاث الطاقة الشمسية في العالم هي امريكا - المانيا الغربية وفرنسا وان هذه الدول الكبرى لا تملك الشمس من التسلل ومناخا مناسبا لاستيعاب وتطبيق جل ابحاثها في الطاقة الشمسية محليا ولهذا سوف تستمر في بيع تكنولوجيا الطاقة الشمسية وباسعار مرتفعة للدول العربية ما لم تكتشف هذه الدول العربية تطبيقات للطاقة الشمسية في المجال العسكري . وعلى دولنا العربية ان تركز وتكثف في ابحاثها المعدنية . وتكون وكالة عربية لهذا الغرض .

د . احمد اسماعيل



لماذا يحتكر الغرب

تكنولوجيا الطاقة الشمسية؟

مهندس سمير صلاح الدين شعبان — د. مهندس مظفر صلاح الدين شعبان

- البترول بطل وبدايات الشعوب المستضعفة تتحرر تباعاً
- بعد اكتشاف النفط استأثرت الدول المتقدمة بتكنولوجيا التنقيب
- الطاقة الشمسية أكثر ضرورة في العالم الثالث

في اواخر القرن السابع عشر تمكن الانسان الغربي من تسخير الفحم الحجري وابتكار الآلة التي مهدت لانفجار الثورة الصناعية . لكن هذه الاساس شعر ان الآلة بحاجة لمزيد من المواد الاولية ليتابعها لتتدفق كميات فائضة من المواد المصنعة التي يتطلب تصريفها ايجاد اسواق جديدة ، فابتكر « الاستعمار » . وخلال فترة زمنية قصيرة اصبحت جميع دول افريقيا واسيا وامريكا اللاتينية فريسة لهذا الوحش النهم الذي لا يشبع .

لكن الليل لم يطل ، وبدأت الشعوب المستضعفة تتحرر تباعاً ، ونظراً لحاجتها الى مصالحها الاقتصادية حرصت الدول المتقدمة بكل ما اوتيت من قوة لمنع قيام الصناعة في هذه الدول لضمان استمرار تدفق المواد الاولية من هذه الدول الى الامم المتقدمة صناعياً ، وكذلك لتركها سوقاً مفتوحة لمنتجاتها المصنعة .

بعد اكتشاف النفط ـ عصب الحياة الحديثة ـ قامت الدول المتقدمة باستئثار بتكنولوجيا التنقيب عن النفط واستخراجه وتصنيعه ، مما سمح لها بالحصول على ارباح طائلة حققتها على حساب الدول المنتجة للنفط .

في السبعينات حاولت مختلف الجهات الغربية ـ بما فيها الحكومات ـ اقناع الدول النامية بان الطاقة الذرية تمثل ظاهرة اساسية من مظاهر الحضارة الحديثة ، فحثتها على شراء المفاعلات النووية ، لانها وجدت فيها مرة اخرى سوقاً واسعاً لبيع تجهيزاتها الصناعية .

وفي هذا المجال ايضاً فرضت الدول المتقدمة وصايتها ووضعت قيوداً قاسية على محطات التوليد النووية في الدول النامية ، متذرعة بالخطر الناجم عن استخدام المفاعلات النووية في صناعة الاسلحة الذرية ، واوقعت الدول النامية في فخ ديون مرهقة ، ومع مرور الوقت زادت التبعية للدول المصدرة لتكنولوجيا الذرة .

ومع ازدياد حدة ازمة الطاقة اتجهت الانظار الى اشعة الشمس الذهبية التي تتساقط بسخاء على الدول النامية في معظم فصول السنة . فالتقت الاحلام المحلية في هذه الدول بمصدر مجاني للطاقة يحررها اخيراً من التبعية للغرب في حل مشكلات الطاقة ، فهل يتحقق الحلم ؟

طاقة الشمس : البديل المنتظر

وفي معرض ازمة الطاقة لابد من الاشارة الى ان تكاليف المنابع التقليدية للطاقة يجعل الحاجة لحل الطاقة البديلة اكثر ضرورة في العالم الثالث اكثر منها في باقي دول الارض ، وحيث ان معظم الدول النامية تقع في مناطق جغرافية تغمرها الشمس بسخاء في القسم الاعظم من السنة ، لذا تبدو الطاقة الشمسية وكأنها البديل المنتظر .

ومما يدعو للاستغراب ان معظم بحوث الطاقة الشمسية تجري في دول العالم الصناعية المتقدمة ، الفقيرة بشمسها ومن الواضح ان نقل التكنولوجيا الخاصة بالطاقة الشمسية الى العالم الثالث سيلعب دوراً متميزاً خلال السنوات العشر القادمة . ومن المعلوم ايضاً ان الشركات الغربية التي تنفق الآن ملايين الدولارات بغية ابتكار تجهيزات مناسبة لاستثمار الطاقة الشمسية ستجد في دول العالم الثالث سوقاً رائجة وواسعة لتصريف منتجاتها . ولكن السؤال الذي يطرح نفسه : الا يتوجب على دول العالم الثالث تطوير تقنية الطاقة الشمسية الخاصة بها بدلاً من استيرادها .

وهناك سبب هام آخر يدعو دول العالم الثالث الى الاهتمام بتطوير صناعة الطاقة الشمسية المحلية . فمن المعروف ان هذه الصناعة تتطلب مواداً باهظة التكلفة ، بينما تفتقر الدول النامية الى القطع النادر الذي تتمكن بمساعدته من استيراد هذه التجهيزات ، وبالتالي فان تصنيع هذه التجهيزات محلياً سيوفر على الدول النامية قطعاً اجنبياً هي في امس الحاجة اليه لتنفيذ خطط التنمية الخاصة بها . وقد اعلنت مؤسسة التنمية الصناعية التابعة للامم المتحدة ان انتاج التجهيزات الشمسية يجب ان يكون له مركز الصدارة في عملية تصنيع دول العالم الثالث لاسيما ان صناعة الطاقة الشمسية ستخلق في الدول النامية فرص عمل كثيرة ، لان صناعة هذه الطاقة تتطلب عمالة في اليد العاملة اكثر من اية طاقة اخرى .

ومع الاسف يبدو مستقبل العالم الثالث

لماذا يحتكر الغرب تكنولوجيا الطاقة الشمسية؟

في هذا المجال بالذات، صحيح ان كثيرا من دول العالم الثالث تمارس برامج بحوث شمسية، الا ان معظمها ضعيف التمويل لا يتعدى تقليد برامج البحوث التي تجرى في الدول المتقدمة، وهذا امر لا يدعو للاستغراب، خاصة اذا اخذنا بعين الاعتبار القدرات العلمية المحدودة المتوفرة في معظم الدول النامية. والبحوث الشمسية في كثير من الدول النامية مركزة على تطوير سخانات المياه، وهي ابسط الاجهزة الشمسية على الاطلاق، كما ان الابحاث تسير بسرعة بطيئة للغاية مما يدعو للاعتقاد ان اوصلهم الى مواقع يتمكنون فيها من مقاومة الضغط التجاري الذي سيمارسه منتجو اجهزة الطاقة الشمسية في الغرب وسوف يستغرق وقتا طويلا او اكثر، مما سيضطرهم الى استيراد التجهيزات الشمسية، تماما كما هم مضطرون اليوم لاستيراد تكنولوجيا الطاقة النفط والذرة.

اهمية الاعتماد على النفس!

في الحقيقة تعتمد التقنيات الشمسية



الصورة الشمسية على سويات فكرية وعلمية متطورة، لكن كثيرا من الدول النامية تفتقر حتى الى المعلومات الضرورية، وفي كثير من الاحيان تجد صعوبة في اتخاذ قرار بشأن استيراد افضل التجهيزات التي تناسب اوضاعها، وفي معظم الحالات لا يجد الباحثون في الدول النامية اجهزة سوى المطبوعات والنشرات والمراجع التي يزودهم بها المتحمسون، وهذا ما يعرض الدول النامية للوقوع بتجربة كبيرة، وقد ساهمت هيئات تكنولوجيا الطاقة الشمسية، بمؤازرة جمعيات حماية البيئة في الغرب، في تشكيل الانطباع ان تكنولوجيا الطاقة الشمسية واحدة من اهم التقنيات التي تعالج ازمة العالم الطاقية حاليا، ربما يكون هذا صحيحا.

ولكن [illegible] البيانات والتصريحات الغربية [illegible]

[illegible]

[illegible] والمعونات الرئيسية بصيغتها الاعلامية تحسب في [illegible] ايضا على في الاكاديميين الغربيين والمتنفذين الرسميين في هيئات الانماء الدولية، كما صرح مؤخرا تقرير رسمي باسم الامم المتحدة من ان الرسمية صدرت الى الكثير عدد من التقنيات الشمسية، ابن فشلت تشغيلها انها كثيرة التوقف والاعطال.

وعليه فان افضل ما تقوم به الدول النامية هو وضع برامج للبحوث تجعلها قادرة على التنافس مع الدول الغربية في هذا المجال، والمطلوب منها ان تركز بالدرجة الاولى على استنباط تقنيات شمسية جديدة تمكنها من انتاج اكبر قسم ممكن من اجزاء التجهيزات الشمسية محليا، بحيث تكتفي باستيراد الاجزاء المعقدة التي تخرج عن امكانياتها الصناعية والتقنية. وبهذه الطريقة ستصبح دول العالم الثالث قادرة على استنباط تقنيات الطاقة الشمسية وتعديلها حسب ظروفها الخاصة، مما سيسمح لها بتخفيض مدفوعاتها بالقطع الاجنبي، وتحسين الامكانيات والقدرات الصناعية المحلية، وتشغيل اليد العاملة الوطنية في الصناعة ومكافحة البطالة واخيرا التغلب على مشاكل الصيانة.

ومع الاسف فان قسما قليلا فقط من الهيئات المالية او وكالات الانماء الدولية تحاول المساعدة في هذا الاتجاه، وعلى العكس هنالك تخوف حالية من احتمال استقلال مساعدات الدول الغربية من اجل تصدير معدات الطاقة الشمسية. وقد غذى هذه المخاوف التصريحات الرسمية التي صدرت عن حكومات كل من الولايات المتحدة، المانيا الاتحادية وفرنسا، اكثر الدول تقدما في هذا المضمار، ان تطوير التقنيات الشمسية سيفتح اسواقا هائلة الاتساع في العالم الثالث، وسيوجد من ناحية اخرى فرص عمل كبيرة في الغرب ناشئة عن هذه الطاقة المتفاقمة.

وقد دلت التقارير على وجود خلاف حاد بين وكالة الانماء الدولية الامريكية من جهة والحكومة الامريكية من جهة اخرى حول نقل التكنولوجيا الشمسية الى العالم الثالث، فقد كانت وكالة الانماء تخطط لتطوير البحوث والدراسات في دول العالم الثالث نفسها لكنها لاقت على ما يبدو صعوبات جمة مع وزارة الطاقة الامريكية التي تنوي التقيد برغبات الحكومة في تصدير التجهيزات الطاقة الشمسية، كذلك ادى ظهور شركات خاصة صغيرة على الساحة الى تقوية احتمال توجيه بحوث الشمس باتجاهات الربح الكبير، لانها ترغب مثلا في تطوير منشآت مركزية ضخمة على درجة عالية من التعقيد وهذا قد لا يناسب الدول النامية كثيرا!

كيف السبيل؟

ما هي الاختيارات المتاحة امام العالم الثالث؟ على المستوى الدولي يبدو هنالك طريقان:

الطريق الاول: هو اجراء مفاوضات مع الدول الغربية لضمان افضل وسيلة للحصول على الخبرة الفنية الشمسية، وقد اقترح في مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية الذي عقد في العام الماضي ان تقوم الدول الغربية بتقديم الخبرة الفنية الشمسية للدول النامية - بدون مقابل.

وحيث ان معظم البحوث الشمسية قد

لها الحكومات ، لذا سيكون ذلك سهل التحقيق في العديد من الدول المتخلفة - وقد بلغ الأمر بمؤتمر التجارة والتنمية الى مطالب بإعلان التقنية الشمسية ، تقنية مشاعة للبشرية بأسرها ...

وعلى الرغم من هذه الصيحات المطالبة فان عددا قليلا فقط من الخبراء يصدق ان مثل هذا الموقف للدول النامية سيؤدي الى نتيجة ايجابية في تعاملها مع الدول الغنية التي تظهر لديها اهتمامات تجارية قوية في مجال الشمس ، اذ ان شركات المؤيدين الغربيين المؤيدين لاقتراح اشاعة التقنية الشمسية ربما تمكن من اقناع مزيد من الدول المتقدمة بالقيام ببعض المشاريع في الدول النامية من تلك التي تتسم بطابع البحوث البكر ، والتي ليس هنالك ضمانة بعد من كشفها او اشاعة أسرارها من الناحية التجارية .

والطريق الثاني : الذي يمكن للدول النامية ان تسلكه هو ان توحد امكاناتها التقنية والمالية لتمهد بها طريقها ، والسبب ان امكانية التعاون هذه في مجال البحوث الشمسية في العديد من لجان الامم المتحدة ، لكنها لم تثمر ولم ينتج عنها اية اشياء عملية تذكر ، في الوقت الذي تمتلك دول العالم الثالث جميع الشروط الضرورية في بلدانها : المال والاهتمام في الدول الغنية بالنفط مثل الكويت ، السعودية ، ليبيا وايران ، والقدرة التقنية في الدول الصناعية نسبيا مثل البرازيل ، الارجنتين ، المكسيك ، مصر ، الهند ، وكوريا الجنوبية ، وتمثل هذه الامكانية الطريقة المثلى للسير على هذا الطريق .

فبمجرد برنامج مالي لديه وتشرف عليه دول العالم الثالث مساعدة هذه الدول على تطوير صناعاتها الشمسية الى الحد الممكن بالمقارنة مع كثير من برامج البحوث الصناعية الأخرى فان برنامج البحوث الشمسي المتوافق مع الاوضاع الخاصة لدول العالم الثالث لن يتطلب الا نفقات صغيرة ، رغم ان بعض التقارير تشير الى ان بعض الدول المنتجة للنفط تصرف الكثير من الاموال على البحوث الشمسية المشتركة مع الدول القوية ، لكن معظمها يذهب الى مؤسسات بحوثية في الولايات المتحدة واوربا .

وكما في الأمر ... الغربيون ... مثل ... التشيلية في البحرين عام ١٩٧٨ ، من السهل استيراد هذه التجهيزات والعبث بها ، ولكن ذلك لا يسمى تحولا ، وفي شهر آذار (مارس) من العام الماضي قام السكرتير المساعد لمنظمة الدول العربية المصدرة للنفط - محمد امين - بتحذير الدول العربية وتنبيهها الى ضرورة التصرف بحذر ، والا تحولت هذه الدول سالفة من دول « مصدرة » للطاقة الى دول « مستوردة » لتقانة الشمس » .

الخاتمة

ان ما يدعو للقلق ، عندما التطلع الى التناقضات الموجودة بين حكومات العالم الثالث ، انه يتراءى للمرء ان هذه الدول لن تجتمع اطلاقا على رأي موحد ، فقد جرى اجتماع اشراف الامم المتحدة لممثلين عن ١٥ دولة تطل على البحر الابيض المتوسط في تشرين الاول / اكتوبر ، ١٩٧٨ ، اوصى هذا المؤتمر بتأسيس برنامج للبحوث تتعاون فيه الدول المشاركة حول استغلال مصادر الطاقة المتاحة (الشمس ، الرياح ... الخ) بما في ذلك انشاء مركز في مالطا - مهمته الرئيسية تبادل المعلومات والخبرة الفنية (التدريب والتسيير) مركز آخر في تركيا تكون مهمته اجراء البحوث الشمسية ، لكن العديد من الحكومات قررت بهذه التوصيات عرض الحائط وأعلنت بدلا من ذلك ان لديها هيئات بحوث الشمسية اكثر فعالية من المراكز المذكورة وفشلت فكرة التعاون على المؤسسات الاقليمية العالمية الثالثة فعلا في دول البحر الابيض المتوسط ولكن : الا يظهر هذا الوضع السياسي غير الحازم بالفعل ؟

عند فقدان الامل في التعاون مع الدول النامية الاخرى ، ربما تقوم بعض الدول النامية المتقدمة نسبيا - مثل البرازيل ، الهند ، كوريا الجنوبية وبعض الدول الاخرى - بتطوير التكنولوجيا الضرورية لتلبية بعض احتياجاتها التقنية بجهودها الذاتية ، ولا يستبعد ان يصل بها الامر حتى الى الانضمام الى الاحتكارات الغربية متعددة الجنسيات ، لتقوم هي ايضا بدور المصدر للتقنيات الشمسية الى دول العالم الثالث الاخرى ، بقية الدول في افريقيا ، البحر الكاريبي ، جنوب وجنوب شرق آسيا واجزاء من امريكا الجنوبية - سيكون مصيرها التبعية التقنية الابدية للغرب ، وبذلك يتبدد حلم الطاقة الشمسية كمنبع لطاقة التحرر من التبعية ويتلاشى الى الابد .

هؤلاء الكتاب العظام وأجورهم المتواضعة

(الفكر والأجر من أصل متنافر) حقيقة أولى تشد بانتباهك فور اقترابك من مجالات النشر في بلادنا .. لعل الله لقن الحقيقة المشهورة (الفكر لا يطعم خبزا) وقد تخلفت هذه الحقيقة من مفارقة أغرب من نسيجها .. وهي بالرغم من أن دولاب عمل الناشر لن يتحرك إلا إذا أمده الكاتب بالمادة التي تدور به .. ويبدأ أن الناشر لا يتوافر له مردود ما أنفق كاملا على ما نشره حال توزيعه في السوق من ثمن الورق وأجر العاملين التي لا تحتمل تأجيل الدفع أو تسويف الأجر .. فإن الكاتب وحده يبقى أي من سعة أفق يستطيع الصبر والانتظار .. والانتظار قد يكون إلى ميسرة .. والميسرة غير لا يعترف به الناشر أبدا .

تنافر ملفت من المفروض أن يكون تجاذبا .. أعداء يجب أن يكونوا أصدقاء .. وإذا كان هذا التعبير قد خلف كثيرا من الطرائف .. فإنها طرائف تثير التأمل بعد الابتسام .. ولا تصل إلى الضحك الذي كالبكاء .. لذلك نجد أن أكبر كتابنا هم أكثرهم وعيا لهذه الحقيقة وتداركها .

طه حسين .. الدفع أولا

فالدكتور طه حسين لم يكن يكتب أو يتكلم في الإذاعة أو في التليفزيون إلا بعد اقتضاء أجر مجز .. طلبت منه الإذاعية المشهورة (آمال فهمي) أن يتكلم لمستمعي إذاعة الشرق الأوسط التي ترأسها في برنامج أسئلة (لغتنا العربية يسر لا عسر) فوافق الدكتور على شريطة أن يتسلم أجره قبل التسجيل .. فرحت له آمال فهمي ضرورة مرافقة نجم الحديث لأن الصيف .. فأذهبت توسلاتها أدراج الرياح .. ولما كانت آمال قد أدرجت هذا البرنامج وسط فقرات شهر رمضان التي نشرت فلم


نجيب محفوظ


د. [illegible]



تجد أمامها إلا أن تدور على الأصدقاء تجمع منهم المبلغ المرتفع الذي طلبه الدكتور طه حتى يتكلم .

وإذا كان هذا هو أسلوب طه حسين في التعامل مع الإذاعة والتليفزيون من بعد مع (ليلى رستم) ، وكان تعامله مع النشر قطعيا (أي احتكار) لدار المعارف .. فقد أحدثت لنا الصدفة معه شيئا أغرب من الموقف السابق .. ذلك أنه عندما نشر مذكراته في مجلة آخر ساعة (وهي ما بعد الأيام) سارع الدكتور سهيل إدريس صاحب دار الآداب بجمعها وطبعها معتزا بذلك قصب السبق .. لم يبق أمام سهيل إلا التكليف برسم الغلاف ثم التوزيع وقبلهما طبعا موافقة الدكتور طه .. عندها سقط في يد سهيل موضوع أو مشكلة الشراء القطعي لدار المعارف .. ولكنه لم ييأس بل أخذ يبحث ويدقق في قانون النشر ويسأل القانونيين عن ثغرة ينفذ من خلالها إلى أن عثر .. يومها ذهب إلى الدكتور طه مستبشرا واستهل كلامه بأنه دفع للجوب محفوظة اليوم أجره عن عشر (أولاد حارتنا) ألفين وخمسمائة جنيه .. فرد الدكتور طه المبلغ مستعطيا إياه (ألفين وخمسمائة جنيه) ثم أردف .. الدنيا محظوظ .. فاندفعت الكلمات قفزا فوق لسان سهيل .. نحن مستعدون أن نجعلك محظوظا يا دكتور .. فرك الدكتور طه كفيه ثم شرحها متمنية واحضرتاه .. على أي شيء تحطيني ؟ رد سهيل لاهثا .. على مذكراتك في آخر ساعة .. فسأله الدكتور طه يائسا .. ودار المعارف ؟ فقال سهيل لقد بحثت هذه المسألة قانونيا وعرفت منها بأن دار المعارف تحتكر مؤلفاتك أما هذه فمذكراتك والفرق شاسع بين ذلك وذلك .. تأمل الدكتور طه الكلمات منتبها ثم سأله .. أمتأكد أنت يا سهيل .. فقرأ عليه سهيل نص القانون فانفرجت

طه حسين لم يكتب ابحث عن الإذاعة والتلفزيون قبل القضاء الحضر محو
صلاح عبد الصبور تلميذ حسين حجيها من ديوانه الأول الناس في بلادي
سهيل إدريس أكثر جمال الأساس لدراسة الأخير الرمزي في التفسير

اساريره فرحا .. وينادي وكأنه يزغرد فرحا .. اعطني الخشم من جديد .. ووقع به فوق هذه الهبة التي سقطت عليه من السماء والتي كان الفراخة لازمة سهيل ايضا فليستعد له

لاتحسبين وانت تقرأ ذلك أن د. سهيل إدريس يوزع الآلاف إثنين إثنين شمالا ويمينا على كتابنا .. فالحادثتان اللتان ذكرتهما .. استهلالا .. لهما ظروف غاية في الخصوصية .. فأولاهما حادثتا هي أول رواية تطبع خارج مصر .. وخارج احتكار دار عبد الحميد السحار لأعمال نجيب .. لاعتراض الأزهر على نشرها في كتاب بعد أن تعدى نشرها أثناء نشرها كمسلسل في (الأهرام) ومذكرات طه حسين لها شبه هذه الظروف .. وكانت ورطة لسهيل أيضا .. أما الأجور التي يعطيها سهيل إدريس للكتاب عادة فهي شيء آخر .. فاذا كان هو من احتضن الشعر الحديث وبعث صورته بتجميع باقة شعرائه من كل أرجاء الوطن العربي .. (بدر شاكر السياب) و (عبد الوهاب البياتي) و (نازك الملائكة) من العراق و (نزار قباني) من دمشق ثم (صلاح عبد الصبور) و (أحمد حجازي) و (عفيفي مطر) من مصر ويبني بهم خط دفاع قوي لهذا الشعر جعل صداه ينعكس داخل بلاد شعرائه متجاوزا حدود أبيات البياتي التي يقول فيها عن ميلاد شعره في الغربة :

النهر للمنبع لا يعود
النهر في غربته يكتسح الحدود

حجازي: ٢٧ جنيها !

كل بناء سهيل لهذا الصرح من استقطاب وإبراز كثير من الكتاب الشباب

يحيى حقي

قد توازى مع إيمانه لمبدأ الإسلامي في ميزانية الأجر الرمزي في النشر في عالمنا العربي .. فقد نقد أحمد عبد المعطي حجازي سبعة وعشرين جنيها وفاء لديوانه الأول (مدينة بلا قلب) وذلك بحجة أن هذا الديوان قد صودر في مصر بسبب قول حجازي في مقطع (بالقاهرة .. يالذات المدن الملحدة) مع أن القاهرة هنا كانت تضاهي بيروت من حيث تواضع الأجر .. ووعد سهيل حجازي بأن يعوضه في المرة القادمة وقد بر بوعده فأعطاه خمسة وأربعين جنيها وفاء لقصيدته (أوراس) وهي عن ثورة الجزائر .. لأن النقاد أخذوا عليها مقطع (أندلس هي الفردوس المفقود) وهكذا ظل القدر بالموصلة لحجازي يستتبع عليه لعنات الأجر الرمزي من سهيل.

عبد الصبور .. وثمن الفركسيون !!

أما صلاح عبد الصبور فقد أفلت من القدر .. فأجزل له سهيل العطاء حيث نقده سهيل بعد نجاح ديوانه (الناس في بلادي) خمسين جنيها .. ومائة جنيه .. بطولهم ورضوخ لقاء ديوانه (أحلام الفارس القديم) يوم تسلم صلاح هذه الهبة .. من شخص توفيق عديل سهيل ومدير أموره المالية في القاهرة .. كان يريد بهما إكمال ثمن .. موبكس مستعملة .. يومها جلسنا شركاء وزوجته نحسب أجر (أحلام الفارس القديم) من الفرية القديمة .. فوجدناه يعادل ثمن (الفركسيون) أو عجلة القيادة .. ولاشك أن هذا الأجر استحسنه على بقية استحقاق الشعر الحديث أجمع.

وأسلوب الرمز في الأجر عند سهيل شيء معجز إذا قيس بأسلوب أدونيس (الغرم بالغنم) أي الذي يكسب نشر رأيه عليه تحمل خسارة مجلة (مواقف) النهائية .. وقد ارتضى أدونيس هذا الأسلوب لأسباب يقره عليها في كثير من الأحيان .. أولها أن أدونيس من القلائل في الوطن العربي الذين يحيون أفكارهم كلما وجد سبيلا لذلك ولما كانت أفكاره توافق بطريقة تكاد أن تكون متطابقة مع كل ما يراه الكاتب السعودي (عبد الله القصيمي) وتوافق ثورة نزار قباني على نفسه وعلى كل جيله فقد استعمل أول عدد من مجلة (مواقف) باستهلال قال فيه .. نلتقي في (مواقف) كوكبة أصدقاء .. نحتشد لصوتنا وأصوات القلائل جميعا .. إنها لذلك حقيقة ورمز تعجيل عربي أخطر ما في الحياة العربية من تصدع .. هكذا تطمح (المواقف) إلى أن تكون استباقا .. كل استباق إبداع .. الإبداع


أدونيس


سهيل إدريس

[illegible]


[illegible]



● عقدة ... جعلت توفيق الحكيم يحكي ذكرياته عن ...!

هجوم: تدميرها ترفضه وإقامة ما تريده....
تلك هي مواقف. إنها منابر للمجابهة ....
هكذا تنهض (مواقف) إنها نقيض القبول بما تركه أو يرد علينا. والثقافة هنا كفاح، وحدة فكر وعمل. إنها الثقافة التي لا تعنى بتفسير العالم أو الحياة أو الانسان إلا لغاية أساسية: تغيير العالم والحياة والانسان. إنها الثقافة ـ الثورة .. ثم تأتي المقالات تباعاً فنجد مقال (اللابعد هارون الرشيد) لعبد الله القصيمي المتفجر عن أوضاع العرب الحالية .. ثم قصيدة نزار قباني (الاستجواب والمستلمون) ومعهما قصيدة (حرية القتل) [illegible] وشحنات متفجرة أخرى في جميع المجالات أو المناشط العربية ...

سببت هذه الجرأة من أدونيس عدم دخول (مواقف) أغلب الدول العربية، ولما لم يكن لدى أدونيس دار للنشر يعوض بها خسارة المجلة .. فقد اضطر لعدم وفاء الأجور .. ثم أصبح هذا حقاً مكتسباً له فقد سارت المجلة سيراً متعثراً لصعوبة دفع أجور المطبعة .. وفي أثناء ذلك فوجىء أدونيس بنشر كتاب لنزار في دار نشر يحوي عدة لقاءات أجريت معه على صفحات مجلة (مواقف) إحتج أدونيس ورفع قضية ولكنه خسرها .. لأن سهيل إنحاز مع القانون إلى جانب نزار .. ويرى بأن من حق نزار أن ينشر كل اللقاءات التي أجريت معه في كل مكان يختاره .. مادام أدونيس لم يدفع ولو أجراً رمزياً لنزار .. وضاع في خضم ذلك (تبقع) أدونيس بحقه لأن الأسئلة التي وجهت لنزار ووجهت مسار الحوار كانت من وضع المحرر الذي أجرى اللقاء .. أو لتوانيه نشر هذه اللقاءات عندما تسنى له دار النشر.

أما مشكلات النشر الثقافية التي واجهت أدونيس .. إضطر الرضوخ والاستسلام للناصحين له بمناقشة رسالة دكتوراه وهو من قدمت فيه رسائل كثيرة بعضها خارج عالمنا العربي .. حتى يستطيع أن يوفر الكتاب من مرتبه أجورهم ولو رمزياً.

مندور: على قدر الفلوس!

والرمز كان أول زاد المدني به سهيل في الفترة التي عملت فيها كمراسلة للآداب في القاهرة سنة ٦٧ .. فأول وجباته قوله لتملي جعلك بشر الرمز والرمزية تشريه على كل مفاوضاتك مع الكتاب .. فنحن نعرف أقدار الكتاب ومكانتهم العالية .. ولكن ظروف النشر هي التي تحتم علينا هذا الأسلوب.

وحول الرمز والرمزية .. قال الدكتور محمد مندور لسهيل يوماً: يظهر يا سهيل أن سلفك في النشر أوقف قراءاتك ولم تعد بمكتبك ثقافة عصرية .. فعرج سهيل وكان لسان حاله يقول أنا من أنشر سارتر وسيمون، وكولن ولسن وماركيوز .. قال مندور .. لأن المذهب الرمزي تطور عبر التعبيرية والواقعية .. فلماذا لا تحاسبنا وفقه والأجر فيه يساوي الجهد .. تنفس سهيل الصعداء وهو يضحك قائلاً: والله يا دكتور إنني لا أتخذ من الرمز مذهباً بقدر ما أتخذه أسلوباً .. لأن المجلة تخسر .. ولأنها لا تدخل أكثر البلاد العربية لظروف سياسية ... الخ

وفشل مندور في أن يحرك سهيل خطوة للأمام .. اتخذ تجاهه فلسفة أن يكتب بقدر المدفوع .. ويوماً كان يملي علي مقالاً للآداب .. فتوقف لحظة وسألني كم يغطي ما كتبته من صفحات الآداب .. قلت له: قد يغطي صفحتين ويتلوهما إعلان صغير .. قال: إذن اكتبي هاتين الجملتين .. ثم وقعي .. هذا يكفي بالخمسة جنيهات والتفت إلي وهو يقول هذه ثقافة أضعنا في تملكها المال والجهد والزمن .. فلماذا نبيعها بأثمان رمزية

كان هذا سلوك مندور مع الناشرين أما من أجهزة الإعلام من إذاعة وتليفزيون

وهي أجهزة لا تدفع .. لاسيما إذا انتقل المذيع بأجهزته الى مكان المتحدث ومن ثم كان المتحدث هو من يختار مكان ووقت التسجيل فقد ألح عليه الإذاعي طاهر أبو زيد استضافته في برنامج (مع الشعب) فسأله مندور .. كم تدفع الاذاعة .. قال طاهر (جراتسيا) أي شكرا بالايطالية . فرد عليه مندور يفتح الله .. وهل ساعمل ساندوتش جراتسيا لأولادي الخمسة

كان مندور لا يستقبل صغيرة يتحسس طريقه إلا ومعه هدية بسيطة ، كتاب له أو لغيره .. أشهد بأن ذلك كان سلوكه شجاعي ذلك أنه عند ظهور كتاب ما في السوق يشتريه مندور .. ولكن المؤلف سرعان ما يهديه نسخة فتكون المشتراه من حقي ! كان إذا نظر الى مكتبته ووجد نسختين من كتاب النار لزوجته الشاعرة ملك عبد العزيز قائلا نسخة(عايدة) حقي فرحي خيالي أن كل كتاب له نسخة أخرى تصبح من حقي حتى ولو كان في مكتبة عامة .. !

أردت أن أجرب هذه العادة لدى أساتذة آخرين .. فكنت أواجه دائما بهذه الردود .. إن هذه النسخة تكون معي في غرفتي والأخرى في المكتبة .. أو (إنني أشرت بالقلم تحت مقاطع من النسخة المشتراة وأحب أن يكون لدي نسخة بإهداء المؤلف

الحكيم : المتشدد في الأجر

على رأس المتشددين في أجر كتاباتهم وكلامهم توفيق الحكيم الذي عرف كأبخل أديب في الوطن العربي .. فهو يوازن بين مجالات الكسب .. بين الجهد والسهولة ويختار المكسب السهل كما حدث في برنامج (بورتريه) للمذيع التليفزيوني (طارق حبيب) الذي حكى فيه ذكرياته وأضحكنا على بخل والده .. كل هذا لأن طارق (القمة) عدة آلاف من الجنيهات

وعندما احتفلت (الأهرام) باليوبيل الفضي لنجيب محفوظ في حفل كبير دعي إليه أكثر أبناء العالم العربي والمستشرقين وأتحفوه بكثير من الهدايا القيمة .. جاء دور توفيق الحكيم في التقريظ .. فقام واستل من جيبه كأسا بحجم الاصبع الخنصر .. وقدمه لنجيب محفوظ قائلا (إنه من فضة وإنه من حر مالي) .. وضحك الحاضرون وتسلمه

على رأس المتشددين في أخذ حقوقهم عن كتاباتهم وكلامهم توفيق الحكيم الذي عرف كبخيل في الوطن العربي

… عن الثلاثية …

نجيب منشيا ضاحكا .. ويوفر المفارقات توفيق الحكيم عن البخل وعلاقة الأدب والأجر الزهيد كثيرة حكاياها بالمقابلة ومن المقابلة .. أو كلامه إلى غاية المقول ..

وتوفيق الحكيم يبدي نصائحه الغالية القيمة لقليل المعرفة .. فعندما حصل نجيب على جائزة الدولة التقديرية عن (الثلاثية) وكان مقدارها ألف جنيه .. وكان قد فكر أن يبني بها مع الألف الأخرى التي تقاضاها من الأهرام عن نشر قصته (أولاد حارتنا) مسلسلا .. لم يمنعه توفيق الحكيم من ذلك ، لكن ظهر أن المقاولين الذين أخذوا من نجيب هذا المبلغ .. كانوا عصابة نصابين .. يومها قال نجيب ساخرا ومعزيا نفسه (لقد انتقم الجبلاوي لمقتله .. والجبلاوي هو بطل أولاد حارتنا وهو رمز الغيب الذي قتله (عرفه) رمز العلم .

نجيب محفوظ : الكبير تواضعا

ونجيب محفوظ من أكثر الكتاب تواضعا في طلب الأجر .. لأنه ينظر الى نفسه بتواضع .. لا يأخذ إلا ما يراه يستحقه وهو قليل جدا .. وربما سبب ذلك أنه كان يتقاضى بعد تخرجه من قسم الفلسفة وكموظف في حسابات وزارة الأوقاف أيام كان مصطفى عبد الرازق وزيرا لها ثمانى جنيهات .

فاعتبر هذا المبلغ مقياسه في الأجر الى يومنا هذا

يروي المخرج صلاح أبو سيف أن الممثل فريد شوقي كان يتهيب تجربة الانتاج في أول فيلم ينتجه (حكم القوي) قصة نجيب محفوظ التي سيكتب لها السيناريو أيضا-كان نجيب قد وصل في كتابته في هذه الايام درجة أحسن سيناريست في مصر .. سأل فريد صلاحا الأستاذ نجيب كم سيأخذ عن القصة والسيناريو .. لابد أنه سيطلب ثمنا باهظا يفوق ما رصدته للانتاج .. هون عليه صلاح الأمر وكان سيخرج الفيلم قال .. إنه سوف ينقل لنجيب صورة والقيمة لمبلغ الانتاج . وسيجعل زوجته ـ زوجة صلاح ـ (وفيقة أبو جبل) وهي التي ستقوم بمونتاج الفيلم .. تستخدم مهارتها في هذا الفن لتوفير وقت وجهد نجيب في الكتابة .. فلا يتقاضى أكثر من مائتي جنيه .. لم يتخيل أو يصدق فريد رضاء نجيب بهذا الأجر المتواضع وربما بالالتماس فضل فريد أن يسأل نجيب بنفسه أستاذ نجيب كم تطلب كأجرك عن القصة والسيناريو ؟ فرد نجيب بحزم وعلى الفور .. مائة جنيه .. أسقط في يد صلاح وتحرج أشد الحرج خشية أن يتسلل شبه ظن إلى فريد أنه كان سيأخذ الباقي له

أجور نجيب في السينما بعد ذلك تفوق الخيال .. ففي سنة ٦٥ لم يكن يعرف الشيك الذي يستحقه عن إخراج روايته (زقاق المدق) التي أخرجت سنة ٦٦ ، ذلك أن المنتج رمسيس نجيب .. كان قد أعطاه إياه وهو دون رصيد .. ثم أفلس .. عندما اطلعني نجيب على هذه الحقيقة نشرتها في مجلة روز اليوسف .. غضب رمسيس عندما قرأه وعاتب نجيبا تليفونيا .. وضع نجيب سماعة التليفون أسفا .. أطمس بفحوى المكالمة ثم أقسم بأنه لم يكلم أحد الصحفيين بهذا الموضوع يوما .. قلت لاتحاف بالأستاذ نجيب قلت صادق .. أنا التي نشرته .. فجلجلت ضحكته

عندما عاد رمسيس نجيب الى الانتاج تحت اسم ابنه .. وعد نجيب محفوظ بسداد الدين القديم بعد .. صلابة بسيطة من نجيب ، هي

أن يكتب المعالجة السينمائية للأعمال التي

سينتجها رمسيس .. ويكون بذلك قد ضرب أربعة عصافير برمية واحدة : الفوز بمعالجة سينمائية تغني القصة .. الاستفادة من اسم نجيب محفوظ في الدعاية للفيلم خصم المال المدفوع لنجيب من أصول الفيلم التي تخصم من الضرائب .. سداد شيك بدون رصيد كان يستحق عليه الحبس .. لقد قال نجيب كل هذا عن طيب خاطر فهذه طبيعته.

نجيب محفوظ - بالمناسبة - لا يستلم مليماً واحداً من غير طريق الكتابة والمرتب والاستضافة، دخل عليه موظف من إدارة الحسابات بمؤسسة السينما مسرعاً وبيده دفتر .. طلب من نجيب أن يوقع في خانة أشار له عليها .. ورغم سرعة الطلب سأله نجيب : على ماذا أوقع ؟! قال الموظف : ثلاثين جنيها كبدل مظهر ومصروفات لضيوف مكتبك .. كان يومها رئيساً لجنة القراءة - التي كنت عضواً فيها - عندئذ وضع نجيب غطاء القلم فوق سنه .. رافضاً التوقيع واستلام المبلغ وهو يقول : ضيوف مكتبي هم ضيوفي .. وعندما أشيع هذا الخبر في المؤسسة غضب رؤساء الأقسام أحمد بدرخان .. وموسى حقي ، لأن ذلك الموقف يقتضيهم الاحتذاء وإلا سجل نجيب موقفاً عليهم .. عدت إلى هذه الحادثة وأنا أقرأ عن غضب الوزراء الأغلفة حلمي مراد كل الهدايا التي يتسلمها من رؤساء البلاد التي زارها إلى خزينة الدولة .. لأنه لم يقبل هذه الهدايا إلا لكونه وزيراً مصرياً - ونجيب محفوظ يرفض أن يحوله طبيب المؤسسة لاخصائي (الأذن) أو (السكر) اللذين يعاني منهما .. مع أن كثيراً من الأدباء في المؤسسة يفعلون ذلك ويأخذون الدواء أيضاً .. عندما نبهته إلى أن هذا من حقه قال : إن الدواء في بيتي وآخر عند والدتي فلا يمكن أن أحمل الدواء كلما ذهبت هل الطب لمنحتين من الدواء أم نسخة واحدة .. الله الغني.

نجيب محفوظ هو الأديب الوحيد الذي يدفع الضرائب قبل أن يضم هذه الأجور إلى نقوده الخاصة .. يدفع الضرائب حتى لو كان النشر في خارج مصر وهو أمر لم يتعارف عليه الكتاب ولا تطالبه مصلحة الضرائب .. لذلك فمدخول نجيب محفوظ يغطي أوجه صرفه بالضبط .. فهو يدخر أجور الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية لقضاء عطلة الصيف في الإسكندرية .. وأقل صيف ٦٦ ذهب لاستلام هذا المجموع وقعن وما هي إلا خطوات بعيدة عن شباك الصرف .. [illegible] أنها [illegible] وواصل نجيب سيره .. ليعلمنا فصلاً [illegible] .. فلا [illegible] قال نجيم ويمضي حيث [illegible] أن [illegible] هذا العام [illegible] سيبقى [illegible] عليهم.

يحيى حقي

المتواضع الأول في الأجر ومكافأة النشر هو يحيى حقي .. طالبته الأهرام بالانضمام إليها يوم أن عزم هيكل على استقطاب كبار كتاب مصر في الأهرام .. ولكنه استشركهم قائلاً : بالرتكم فلتم لي قبل ذلك بأيام فقد تعاقدت مع جريدة (التعاون) والتعاون هي جريدة عمالية ذات توزيع محلي محدود .. ولكن يحيى حقي يرى أن الكلام للعمال ضرورة وطنية لا تقل عن الكتابة للمثقفين أو للعالم العربي كله .. لم يجد (الأهرام) أمامه إلا أن يستكتب يحيى حقي من خارج هيئة التحرير .. وفي يوم أرسلوا له أربعين جنيها ثمناً لمقالته .. فرفض استلامها قائلاً : أربعين جنيها هذا كثير .. هذه سرقة .. وإذا كان جمال حمدان (فيلسوف الجغرافي) قد اشترط مائة جنيه عندما طلبت منه (الأهرام) أن تكون كتابته لها قطعياً .. فهو محق لأنه أولاً يبذل في المقال ما يبذله في كتاب ثم أن دخله من الأهرام هو دخله الوحيد بعد أن احجم عن كل الأعمال الأخرى بما فيها التدريس في الجامعة.

العقاد : شروط وضوابط

كان العقاد في بداية حياته يتقاضى مبالغ متواضعة عن مقالاته .. وعندما نقد الشاعر السليط عبد الحميد الديب .. نقص أجره في (مجلة روز اليوسف) كتب فيه قصيدة مقذعة (لا أمل لذكرها) وابتلى العقاد في الخريات أيامه وجد أن انتظاره لأجور المقالات المتواضعة والمؤجلة .. تعيق مسيرته في كتاباته الجديدة .. فوضع لذلك شروطاً ضابطة .. هذا عن مقالاته أما عن كتبه فكان يطلب من الحكومة الكثير .. لأنها تقتضي منه التفرغ والإحكام .. فقد طلب وأجيب لطلبه ألف جنيه عن كل من كتابيه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) و (التفكير فريضة إسلامية) ولأنه كان يطبع كتاب (سعد) لحسابه الخاص .. ولم يجد ما يدفعه للناشر .. فقد فتح باب الاشتراك للقراء .. وعندما عرف طلعت حرب بهذه الأزمة .. أمر له بسلفة على بنك مصر بلغت خمسمائة جنيه .. في تلك المدة عرضت عليه جريدة البلاغ أن يكتب لها .. فأجل العرض .. رفض أن يلتقط أجراً وفي جيبه خمسمائة جنيه مفضلاً أن يكتب روايته (سارة) وهو في هذا الرغد المعيشي.

والكتاب فيما يتقاضونه من أجور على كتاباتهم مذاهب .. فالعقاد عندما استمع للطرائف التي يحكيها صديقه الشاعر عبد الرحمن صدقي عن والده .. ومعرفته

أحمد عبد المعطي حجازي

التواضع الأول في النشر والأجر هو يحيى حقي رفض عرض من الأهرام لأنه أكبر من يعيش عليه!؟

بالمسائدة المالية التي يمر بها صدقي .. أشار عليه بكتابة هذه الطرائف فهي جديدة فعل صدقي .. ولكنه عندما وجد الناس يتندرون بسؤال الأب عن جدوى الرياضة التي يمارسها ابنه .. ورد صدقي بفائدتها في التخلص من الوزن الزائد .. ثم نصيحة الابن بعدم الاكل وإراحة جسده من هذا المجهود .. امتنع عبد الرحمن عن اكمال هذه المذكرات .. وكان في أشد الحاجة لمردودها يعكس توفيق الحكيم الذي فعلها وهو في غنى عنها

العلامة محمود محمد شاكر يرفض أن يستلم أجر الصحافة ويتشدد بل ويتعسف في تسلم أجر التحقيق قبل البدء فيه .. لانه يعرف أن اشتراكات المشترين من الدول والهيئات تصل لدور النشر قبل طبع هذا النوع من الكتب (تحقيق التراث) وكان هذا المطلب وراء عدم ظهور الاجزاء الخمسة عشر الاخيرة من (الطبري) ثلاثين جزءا .. وأخيرا رضخت دار المعارف لمطلبه .. وبدأ في تحقيق الخمسة عشر جزءا الباقية بما يقارب عشر سنوات

مواقف سريعة في الموضوع

ولان محمود شاكر من أكبر الاسماء التي تورع تراثيا في العالم العربي .. فقد استغل اسمه مؤلف سوري اسمه محمود شاكر (..) الذي الاسم الاخير ليشتبه المشتري انه محمود شاكر الاصلي .

انشغل صلاح عبد الصبور ــ أيام كان مديرا للهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٦٨ في الرد على التليفون .. فهمس الدكتور زكريا ابراهيم في أذن الدكتور فؤاد زكريا أن يتشدد عند خمس مليمات لترجمة الكلمة بدلا من أربع .. لان ثلاث تراكم مائة جنيه أو أكثر في كتاب (الفيلسوف وفن الموسيقى) تأليف جوليوس بورتنوى وترجمة فؤاد زكريا

وفي هذا العام ٨٠ رفض طبيب أن يكتب مؤلفا لسلسلة عالم المعرفة الكويتية التي يشرف عليها الدكتور فؤاد زكريا بسبعمائة وخمسين دينارا .. لان هذا المبلغ يستطيع احرازه من عيادته خلال أسبوع إذا عاده أربعة مرضى كحد أدنى بدون ارهاق عقل واعمال فكر .

الكاتب مثل كل صاحب خبرة يريد أن يأكل خبزا من وراء صناعته فقد انفق عليها المال والجهد وسنى تكوينه لاتقانها .. ثم ان عمله الفكرى اشد خطورة على الجسم والنفس من كثير من الاعمال اليدوية .. فالذي يعمل بعضلاته يساعده الجهد اليدوى على النوم قرير العين والنفس أيضا ولكن الذي يعمل بعقله ليلا ونهارا .. لا يعرف للنوم ميعادا ولا قرارا .. لانه الكف والمطرقة .. اللحن والوتر بلا راحة أسبوعية ولا اجازة مرضية أو عرضية

إن تواضع الأجر في البلاد العربية الآن بعد أن كان الشعراء والمفكرون يعيشون في حمى أصحاب المروءة والكرم أيام الجامعة الاسلامية ــ ليدل على أن الفكر ليس ذا بال أمام التجارة والفن التليفزيوني .. [illegible]

كان يحول أجر أحاديثه في الاذاعة والتليفزيون ــ كنت أراها متراكمة بجانب اسمه ــ أيام كنت أكتب للتليفزيون ــ ولتمنى لو حضر لاستلامها ويسلك ما يفعله الشيخ (الحصري) حيث كان يأتي لاستلامها .. ويتحلق حوله السعاة يوزعها عليهم بلا حساب وهي من المواقف التي زكت في ترشيحه شيخا للمقارىء المصرية

● تطلب المعادلة من أزمة حالة الأجور بين الكتاب بالاتجاه إلى تأليف الكتب

● المعادلة المقلوبة بين الكتابة والأجر هي من أسباب أزمة الثقافة في الوطن العربي

ألا تترجم لنا هذه المعادلة المقلوبة بين الاصدقاء والاعداء .. أو الكتاب والناشرين تضر مسيرة الفكر الى نفوس وعقول الجماهير العربية .. فكر المستنيرين ومواقفهم الجادة لفهم مسيرة الحياة زمانا ووجودا وأسلوبا يهدف الاسهام في حل مشكلاتها كاداة للتغيير والتقدم .. وتجعلهم ينفضون عن تأليف الكتب وكتابة المقالات الجادة التي لا تطعم خبزا .. الى ميادين أسهل وأكثر عطاء كالمسلسلات التليفزيونية والافلام السينمائية التي تطعم شهدا

ان أي كاتب في العالم الذي تظله اتفاقية (برن وجنيف) للنشر يستطيع أن يعيش من دخل كتاب واحد .. ذلك أن هذه الاتفاقية تحتم الدفع سنويا للكاتب عن كلامه اذا أعيد نشره أو ترجمتها أو اقتباسها أو اخراجها للسينما أو المسرح والتليفزيون .. أو استعمالها في أى نشاط آخر .. وللأسف لم توقع الدول العربية على هذه الاتفاقية بحجة لمزيد ترجمة مؤلفاتنا الى اللغات

سألت نجيب محفوظ وقد ترجمت أعماله الى الروسية والمجرية والرومانية (زقاق المدق) بالذات الى الانجليزية والفرنسية والاسبانية .. هل توافق أن تترجم أعمالك الى كل اللغات بدون أجر .. لاننا لم نوقع على اتفاقية برن وجنيف ؟ قال : لن نكسب نحن كدول من دخولنا في هذه الاتفاقية لان الاجانب لن يقبلوا على أدبنا كما نقبل نحن على أدبهم .. ومع ذلك فأنا لا أمانع في ترجمة أعمالي بدون أي مقابل أو أجر .. وهذا حدث فعلا عملا بالحكمة السنسكريتية (ضع الخبز في سبيل المجموع) وقد استغل أحد الناشرين في لبنان سماحة خلق نجيب محفوظ تجاه الترجمة .. فطبع مزورا أغلب كتبه دون اذنه

الكتابة جيدا

ألا تشكل هذه المعادلة المقلوبة بين الكتابة والأجر .. جانبا من أزمة الثقافة في الوطن العربي الذي هو في أمس الحاجة الى الثقافة والمثقفين خاصة المتفرغين منهم ؟ .. كيف يتسنى الوقت لمفكر لمقارعة الافكار بالحجج تبسطا وقته نهب الانتظار أجر قد يأتيه من هنا ولا يأتيه من هناك .. كيف ينظم حياته بل حياة أسرته المعلقة به ؟

عايدة الشريف

د. عيسى الناعوري



أنا والشعر

- استغرقت الشعر برافقني فكتبت مع الستين مئات القصائد
- المطولة الأولى - أحمد الله أنها لم تنشر ولم يطلع عليها أحد غيري!
- مع كل ما نظمته من شعر قبل النكبة فقد أتلفته برمته دون إشفاق ودون أسف

بدات حياتي الادبية شاعرا ، وكان الشعر هواي الاول ، وقد بدأت نظمه وأنا بعد في الثالثة عشرة من عمري ، وطبيعي انني لم أكن يومئذ أعرف شيئا من العروض ، ولكن اذني كانت تزن موسيقاه تمييزا ، لا اقول دقيقا ولكن لا بأس في مثل تلك السن .

وفي تلك السن المبكرة ، وأنا بعد طالب في الكلية البطريركية اللاتينية في القدس ، اذكر انني ملأت بمنظوماتي ثلاثة كراريس من كراريسي المدرسية .

كيف كان شعري آنئذ ؟

لم يعد اليوم في ذاكرتي شيء منه .. ولكن لابد انه كان أغلبه عشا صبيانيا ، ولابد أنه كان فيه الكثير من الاخطاء العروضية واللغوية ، وربما الاملائية ايضا .

المهم انني فقدته كله ، وأنه كله قد ضاع من ذاكرتي ، وامحى تماما ، والحمد لله .

ثم خرجت الى الحياة ، والشعر هو الشعر يرافقني ، فكتبت مع الستين مئات القصائد ، في الغزل ، وفي الوصف ، وفي الوطنية .. ولم اقتنع بذلك ، بل اردت ان أكتب (الملحمة الشعرية) المطولة ، وانصرفت الى ذلك اللون من الشعر ، واستطعت ان انظم مطولتين ، استغرقت كتابة كل

منهما زمنا طويلا . واحدهما كانت بعنوان (مدينة السلام) ، نظمتها على مجزوء الرمل ، وجعلتها [illegible] في ([illegible]) أو (اليوتوبيا) ، وبرعت في قوافيها ، [illegible]

[illegible] بينها في [illegible] من الاصحاب في [illegible] ثم [illegible] الى ما أطلعته في ما بعد من شعري .

والمطولة الثانية كانت محاولة لنظم التاريخ العربي كله ، وما اطول الليالي التي قضيتها ساهرا لنظم تلك المطولة التاريخية ! وقد جعلت القصيدة كلها من البحر الخفيف - كما اذكر - وقسمتها اناشيد وفصولا ، اذكر انني نظمت منها مئتين وخمسين بيتا ، او ثلاثمئة وخمسين ، في هذه الحدود ، ونشرت اجزاء منها في مجلة (العرفان) الصيداوية ، لصاحبها الصديق المرحوم الشيخ احمد عارف الزين . في اي عام كان ذلك ؟ لا اذكر الان جيدا ، ولكن ذلك كان قبل النكبة الفلسطينية ، ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٤٧ . ولست أملك الان شيئا من الاعداد التي نشرت فيها تلك الاجزاء فقد بقيت في منزلي في القدس ولا ادري الى يد اي شيطان ذهبت .

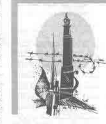
تلك المطولة كنت معجبا بها جدا

وكنت كذلك معجبا بالاخرى (مدينة السلام) الى زمن ما ، ولكنني نشرت منها بعض الاناشيد في (العرفان) ، والتي نشرت بعضا آخر منها في مجلة (العقيدة) العراقية ، التي كان يصدرها في النجف الصديق صلى الخاقاني .. لا اذكر متى كان ذلك ، اقبل النكبة أو بعدها ؟!

لكنني الان لا أملك ولو بيتا واحدا من تلك المطولة العزيزة ، ولا احفظ شيئا منها على الاطلاق . ومن يدري ؟ فلعلها لو بقيت لدي ، لذهبت هي أيضا الى النار مع أخواتها ، مع كل ما نظمته من شعر قبل النكبة الفلسطينية ، فقد أتلفته برمته دون اشفاق ، ودون اسف على انني احرقت اجزاء من نفسي ، كانت يوما عزيزة علي جدا ، وكنت مخطئا او مصيبا - اعتبرها اعمالا في القمة من الابداع .

الشعر والنكبة

وجاءت النكبة الفلسطينية والكويت يغادرها أنا وأسرتي ككل من اكتووا بها ، وخرجت من القدس لاجئا مع اللاجئين ، وتركت هناك كل ما املك في بيتي الذي في حي البقعة الفوقا - على خط السكة الحديدية - غير بعيد عن المحطة ، واهم ما تركته هناك مكتبتي ، وفيها المعاري ، ومذكرات يومية لي في دفترين ، وثلاثة كتب مخطوطة .



ترى من من اليهود استولى عليها ؟ وماذا حل بها ؟

إيه يا منزلي هناك ، ما أشد شوقي وحنيني الى رؤيتك !

لم ينج من مكتبتي تلك غير الكتب المهجرية . فقد كنت حريصاً عليها جداً في دراستها وكتابة فصول متلاحقة منها في الصحف والاذاعات المختلفة . وهي الفصول التي ألفت منها فيما بعد كتابي (أدب المهجر) لذلك أنقذت تلك الكتب القليلة ، وحملتها معي في صندوق صغير بين القليل جداً من المتاع الزهيد الذي استطعت حمله معي من القدس الى عمان ؟

وتحول الشعر عندي الى النكبة ، فصارت هي كل همي وكل شيء . ولذلك جمعت كل ما بقي لدي من شعري القديم وأتلفته - وحينما صدر ديواني الشعري الاول (أناشيد) عن (دار الرائد العربي) في حماه - سوريا ، سنة ١٩٥٥ ، لم يضم قصيدة واحدة من شعري القديم - كان كله من شعر المأساة ، ومن الشعر الذي نظمته بعد وقوعها . ومنه عدة من القصائد في أولادي . وقصيدة ذات ثلاثة عشر نشيداً صغيراً عنوانها (في قريتي) . أعتقد أنني كنت فيها مجدداً في أسلوب الشعر وفي تحديثه .

وفي سنة ١٩٦٢ صدر عن (دار الرائد) في حلب ديواني الشعري الثاني (أغنى الاغنيات) . وكان كذلك جديداً بكل قصائده .

لقد مات شعري القديم كله - المطولات منه والقصار والمتوسطات على السواء . وأشهد أنه كان فيها قصائد كثيرة عزيزة علي ، ولكنني لم أرحمها ، وما زلت غير مفكر في أن أرد شيئاً منها الى الحياة لأي سبب .

وانصرف مني الى ألوان أخرى من الادب ، فكتبت القصة القصيرة ، والرواية ، والنقد الادبي ، والبحوث والدراسات ، وترجمت عن الآداب الغربية شعراً وأقاصيص وروايات .

وأصبح للشعر عندي معنى آخر ، ومفهوم مختلف ، فأنا لا ألجأ اليه الا عندما يدفعني الى ذلك دافع لا أستطيع مقاومته ، وفي فترات لا أتوقع مجيئه فيها .

ان الشعر - عندي - [illegible] في النفس [illegible] يقاوم [illegible] يقادر على أن يحققه حتى [illegible] ولكنه [illegible] [illegible]

[illegible] عام ١٩٦٦ [illegible] الآداب الغربية [illegible] لا سيما الادب الايطالي

لم أعد أومن بالشعر مطولات ، تتكرر فيها المعاني والعبارات مطاً وابراز ما كان يسمى بالموهبة ، أو (الملكة الشعرية) ، فالعصر يتطلب الخطرات القصار التي يتألق الشعر في كل لفظة منها ، ويتوهج في كل عبارة وفي كل بيت .

صرت أومن بالتنويع في القوافي على الاقل ، واذا أمكن ففي الاوزان كذلك في القصيدة الواحدة ، ولكنني أومن قبل ذلك كله بضرورة تقصير القصيدة . القصيدة الطويلة صرت أضمر لها بغضاً ، حتى لو كانت بعثت من الجواهر النادرة . وفي يقيني أنه لا يطرب للقصيدة الطويلة غير صاحبها ، ولكنها مدعاة للملل للآخرين .

لقد تجمع لدي الآن ديوان ثالث بعد ديوان (أغنى الاغنيات) ، فيه القليل جداً من القصائد التي تتجاوز الواحدة منها عشرين بيتاً ، ولكن أغلبه من الخطرات القصار التي قد يقف البعض منها عند البيتين والثلاثة ، لمجرد تسجيل فكرة سريعة ، أو احساس ابن لحظته . وما عدا ذلك تركته للنثر . فالقراء أصبر على طول النثر منهم على طول الشعر . وفي النثر يقول المرء بسهولة وحرية ما قد لا يستطيع ان يقوله بشعر جيد يستحق اسم الشعر . ثم أن القصيدة القصيرة أدعى الى عدم التكرار في المعاني وفي التعابير ، وأدعى الى الاستغناء والاستيعاب من قبل المستمعين ، ومن قبل القراء .

وأنا منذ عدة أعوام لم أعد أكتب الشعر الا بهذا الشكل السريع . وقد يمر بي العام والعامان لا أكتب حتى الخاطرة ذات البيتين أو الثلاثة ، ولكن قد تمر بي اللحظة ينساب فيها الشعر من داخلي على غير انتظار . غير أنه يظل في حدود الخاطرة السريعة ، بل قد يكون بيتاً واحداً أحياناً ، ثم لا أحاول أن أضيف اليه أخاً أو أختاً .. (القصيدة) بمفهومها التقليدي انتهى عهدها عندي ، ولست أسفاً على زواله . ولذلك أهرب حين أرى قصيدة طويلة - من الشعر التقليدي أو الحديث - منشورة في ديوان أو في جريدة أو مجلة .

ولكي أعطي القارىء فكرة عما أوردته هنا ، سأقدم له بعض الخطرات القصار التي نظمتها في الاعوام الاخيرة ، لتكون نماذج على مفهومي الشعري .

١ - هدية الزئبق

(كانت جميلة ، وكانت تحمل الى الزئبق وضعته قرب سريري في المستشفى)

الزئبق من يديك الحلوه

يجلو أسرارك في سره

من خدك يأخذ فتنته

ويضاعف سحرك من سحره

اني أتملى حسنك فيه

وأنشق عطرك في عطره

أنا والشعر

وأداعبه ، واقبله

كي النم ثغرك في ثغره !

(١٩٧٢/٨/٢٤)

٢ – تحية دمشق

(أوحت وأنا أزور دمشق في نيسان عام ١٩٧٣ بدعوتي الى المشاركة في مهرجان شعري أقيم هناك ، فجاشت نفسي الابيات التالية ، «كانت هي قصيدتي للمهرجان»)

دمشق عشقي ، وعشقه تعج واديها

وملتقى الشعر صداحا يناديها

نزلت فيها على شوق ، وأنت بها

دوما لشوق ، على بعد تناجيها

ما كنت يوما غريب الدار منفردا

في جلق العرب ، بل من بعض أهليها

وكم أخ لك فيها ليس يعدله

على المودة ذو قربى تراعيها

يا أيها الاهل في الفيحا تصافحكم

يمناي ، لكن قلبي خافق فيها !

(١٩٧٣)

٣ – في الرباط

(في زيارتي للمغرب سنة ١٩٧٤ ، أبى وزير الثقافة الحاج محمد باحنيني الا ان يغمرني بكرمه ، فدعاني الى حفلة عشاء تكريمية في قصره في الرباط ، ودعا معي نخبة من أدباء المغرب ، وعلى المائدة جاشت في نفسي الابيات التالية)

من الشرق ، من داري النائيه

اتيت الى داري الثانيه

فعمان اخت الرباط ، وانتم

ونحن مودتنا باقيه

وأهلي هناك ، وأهلي هنا

وكلهمو عزوتي الدانيه

جناحين للضاد كنا ونبقى

ووحدتنا الغاية الساميه

بلاد العروبة مهما تنائت

لتربطها عادنا الغاليه

(١٩٧٤)

٤ – [illegible]

([illegible])

فأنا بعد العمال لا يصغى

لنداه ، فيستجيب سريعا

كان عمري مع الغرام ربيعا

واحب الحياة تبقى ربيعا

(١٩٧٦/١٢/٦)

٥ – الشيب والحب

(من وحي العمر ٥٥)

حسبت الهوى للشيب خصما ، فلم اكن

مصيبا ، فان الحب للشيب مطلب

وان الهوى عند الشباب لمتعة

ولكنه في الشيب اقوى واغلب

يرى في الهوى الفتيان متعة ساعة

وضربا من اللذات يأتي ويذهب

ولكنه في الشيب يصبح مطلبا

عزيزا به تحلو الحياة وتعذب

اذا العيش لم يصحبه حب وصبوة

ونشوة حس ، فهو عيش معذب

وان لم يظل القلب ينبض بالهوى

فلا خير فيه وهو كالقفر مجدب !

(١٩٧٦)

٦ – ظباء الشام

(كان البرد الشديد يهيج الحمرة في خدود الحسان الدمشقيات العابرات في الشوارع ، فتبدو كأنها من كرز بلودان ، أو من نوار الغوطة ، وكنت اتأملهن من خلف زجاج باب فندق سميراميس في هواء الصباح البارد ، وتمثلت في صدري الابيات التالية)

يا ظباء الشام رفقا فاني

لين القلب للجمال القرير

كلما شمت طلعة ذات حسن

قفز القلب نحوها في حبور

لابتسام الثغور تسبيح قلبي

وصلاتي لكل وجه نضير

(١٠ شباط ١٩٧٧)

٧ – عذارة الوادي

(ابان مهرجان شقيق الملوك ، في زحلة ، سنة ١٩٧٧ ، أردت أن أجلس – كعادتي من قبل – في وادي



[illegible] في الأعوام الأخيرة [illegible] القصائد القصيرة

البردوني ، ولكنه كان حزينا كئيبا ، وعلى مائدة هناك كتبت الابيات التالية)

يمضي فؤادي لا يدرك كئيبة
تجترعين البؤس والآلاما
يا جارة الوادي ومنتجع الهوى
ذهب الهوى الماضي وسار حطاما
وادي العرائش كان يلقاني ، اذا
ما جئته ، متهللا بساما
كان الجمال يموج في جنباته
ويشيع في الوادي البهيج سلاما
كانت ملاهيه ملاعب صبوة
تحيي الهوى وتدغدغ الاحلاما
كانت منارا للخيال ملهما
يوحي القصيد ويوقظ الالهاما
والكاس في واديك كانت لذة
تطفي اللواعج او تهيج غراما
واليوم واديك الجميل معطلا
لا يستثير الشعر والالهاما
والكاس ما عادت تلذ لشارب
ورؤى الجمال تحولت اوهاما !

٨ ـ السفوح والذرى

(الى الذين يعدون مجمع الادبي في دمشق ، وألسنتهم تلهث على بلوغ بعض من بعض سبقي لهم ..)

يا قصار الذيول ، انتم سفوح
تجثى على الذرى الشماء
والسفوح الاقزام تبقى حضيضا
حين تسمو الذرى الى العلياء
ان طول اللسان لن يمنح القزم
سموا في القامة النكراء !
(١٩٧٧)

٩ ـ الفيحاء

(في زيارة الى الفيحاء ، قرب دمشق ، تذكرت علما عمان الدائم) :

هنيئا لأرض الشام سلسل مائها
وجارتها عمان يقتلها الظما !

١٠ ـ حكمة

لا تطفئوا الشمس ، فحسب الدنى
ما في نفوس الناس من عتمة
(١٩٧٩)

١١ ـ الأم

(مترجمة عن الشاعر الايطالي ادموندو دي اميتشيس) :

ليس لومها يبقى [illegible]
ولا [illegible] او [illegible] الليالي
[illegible]
[illegible]
(١٩٧٩)

سقى الله أيام الشباب ، فذكرها
يعيد الى النفس الربيع المتمنعا
يجسمد أحلاما ويحيي مواسما
له الله من عهد جميل تصرما !
(١٩٨٠/٢/٢٤)

هذا اللون من الخطرات الشاعرات هو المرحلة الاخيرة التي وصلت اليها بعد أن بلغت الخمسين من العمر ، وبعد أن تمرست بالشعر الفني ، ورأيت كيف فقدت القصائد الطوال سوقها في العالم كله . فلم يعد الشعر عندي كلاما يكتب (للشيع) ، وانما هو احساس يعبر عنه الشاعر باللمحة السريعة المباشرة ، وفكرة تملأ نفسه فيخرجها للناس ببساطة ودون لف ودوران . فالشعر اليوم ليس ابراز عضلات أو ابراز براعة في صياغة الكلام الموزون المقفى ، أو الاساليب الذي لا وزن له ولا موسيقى .

وأما القصائد الطوال التي عنان يكتبها شعراء اليوم مثقلة بألف ثوب وثوب من التعابير الغامضة المقلقة ، ويملأون بها صحائف طوالا ، فليست أكثر من تهاويل يحاول بها الشعراء ـ غير الواثقين من انفسهم ـ أن يقنعوا انفسهم بأنهم شعراء ، لا أن يعبروا عن فكرة أو احساس او صورة في نفوسهم . فهذه كلها لا تحتاج الى الكلام الكثير ، وقديما قيل : « خير الكلام ما قل ودل » .

بهذه الاطالة المملة ـ سواء أكان الشعر انباعيا أم بهلوانيا السياقة باسم الحداثة ـ أصبح الشعر شيئا بغيضا الى النفوس ، ويندر أن يقع فيه القارئ او السامع على قصيدة تريح أعصابه ، أو تدغدغ من نفسه غبطة ممتعة .

لو اقتنع الشعراء انفسهم بأنهم شعراء حقا ، لوصلوا الى النتيجة التي وصلت انا اليها ، من أن الشعر ليس كلاما للشبع ، ولكنه تعبير جميل بعبارة قصيرة مباشرة عن فكرة أو حس أو صورة . ومثل هذا التعبير يكفيه الابيات القليلة الشاعرة المعبرة .

ان الصورة الجميلة ، والفكرة الجميلة والاحساس الجميل ، انما يقتلها الكلام الكثير ، ويقتلها اكثر من ذلك الكلام المتكلف الذي لا يبين معناه .

هذه عقيدتي في الشعر ، والتي أؤمن بها كل الايمان ، وأتمنى أن يكثر بهذا المؤمنون في العالم العربي ، لكي يعود الشعر شعرا ، ويعود فنا جميلا يمتع النفس ويريح القلب .

د . عيسى الناعوري
عمان ـ الاردن

الناصرة

أقحوانة الجليل

سهيل خالد الأغا



رأيتنا في شجرة الزيتون روعة الصمود وقوة الكبرياء

ثلاث صور فاتنة تم وشمها في ذاكرتي اثناء زيارتي لوطني الفلسطيني المحتل: صورة القدس الحبيبة وهي غافية بين انامل جبل الزيتون ، وصورة حيفا وهي تناغي جبل الكرمل وامواج المتوسط ، وصورة الناصرة وهي متربعة بدلال وخيلاء وسط الروابي المحيطة بها .

ان الواقف على اية رابية في الناصرة لا يملك إلا أن يؤخذ بروعة المنظر وندرته ، حيث يسهل عليه أن يبصر جبل الشيخ وبيسان وطبرية ونهر الاردن شرقا ، والابيض المتوسط وحيفا وعكا غربا ، وصفد وجبال نابلس شمالا وجنوبا .

• • •

من حيفا انطلقت سيارتنا عبر طريق جبلي الى الناصرة ، السائق يسرع ، وأنا احثه على التمهل في تسياره ، اريد أن أروى اظمأى برؤية كل شبر من وطني ، اريد أن اطبع في الذهن كل صورة ممكنة لبلادي.. فلا ! كانت مشيئة الرحمن قد قضت بحرماني من رؤيتها والعيش فيها فلا اقل من مشاهدتها والتمعن بها مادامت الفرصة متاحة وقد لا تعوض !!

شامخة زيتونة

في الطريق مررنا بشجرة زيتون شامخة بهامتها في أحد مزارع الكيبوتسات صحت بسائقنا جامد : نشدتك الله يا أخي أن تقف بنا الى جوارها .. لقد ذكرتني وحدتها .. وانتصابها في عالم يكاد لا يحس بوجودها ، ولما اقتربت منها طرحت عليها ارفع التحايا ، ناجيتها ، لثمت اوراقها ! عانقت اغصانها ، تحسست حبلتها الناعمة المباركة ، وفجأة بدأ مرجل الغضب يغلي في عروقي ويفور ، اوشكت ان احطم الغصن في يدي نكاية في عدونا ، ورغبة في تكبيده بعض الخسائر ولكن بطريقة ساذجة !! وكدت افعلها لولا هاتف من وجداني : لا تفعلها يارجل فهذه الزيتونة جزء لا يتجزأ من تاريخ امتك ... وتالله انها لاكثر عراقة وشموخا واصالة من كل امواج المهاجرين الصهاينة الذين قذفتهم الى ديارنا كل لعنات التاريخ .. فتقهقرت .. واخذت اناجيها من جديد ، فتكبرت في اوراقها ديمومة الاخضرار ، وفي جذورها عمق التحدي ، وفي جذوعها روعة الصمود ، وآية الكبرياء .

لقد اشفقت على الفلاح الفسطيني ورثيت لحاله ، فقد غرسها ولم يظفر بثمارها ، وربما استشهد دونها

ووجدتني ارتد بعضا من قصيدة الشاعر الناصري توفيق زياد «على جذع زيتونة» :

سأحفر قصتي وفصول مأساتي
وطني بيارتي .. وقبور أمواتي
سأحفر رقم كل قسيمة من أرضنا سلبت
وموقع قريتي ، وحدودها
وبيوت أهليها التي نسفت
وأشجاري التي اقتلعت
وكل زهيرة برية سحقت

• • •

سأبقى حافظا الذكرى
سأبقى فصول مأساتي
وكل مراحل النكبة
من الحبة .. إلى القبة
على زيتونة .. في ساحة الدار

• • •

وواصلنا المسير .. وكان « الجمال الأخاذ » أول عنوان قرأناه على جبين الناصرة ، البيوت ، والفيلات ، مترامية بهندسة بديعة على الجبال والسفوح ،



موقعها الاستراتيجي [illegible] عرضها لكثير من الأحداث على مر حقب التاريخ

وكلها تقريبا ذات علامة ، جمالية ، مميزة ، حيث الجدران المشيدة بالحجر القدسي ، والمسقوفة بالآجر الأحمر الكرميد ، وانتشار أشجار الصنوبر والتين والعنب والزيتون والرمان ، وبساتين المشمش الناصري الذي يتمتع بمذاق خاص يعرفه أهل فلسطين بالمشمش اللوزي وبمجرد دخولك أحد أطراف المدينة تشعر بطابعها العربي الأصيل الذي تلمحه للوهلة الأولى في قسمات الوجوه المختلفة ، والأسواق المعهودة ، والأزقة التي تشتمّ أثناء تجوالك فيها نسمات التاريخ العربي .. وعندما بلغنا قلب المدينة فتحت لنا بعض صفحات من تاريخها .

وطن المسيح

ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن الناصرة ، فاعلة من النصر ، ومنها اشتق اسم النصارى .. وفي التاريخ القديم لم يرد ذكرها في مختلف مصادر تلك الفترة . أما أقدم ذكر لها فقد ورد في الإنجيل ، ففيها ولدت سيدتنا مريم عليها السلام التي اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نساء العالمين - وفيها بُشرت بأنها ستكون أم المسيح .

وفي الناصرة استنشق السيد المسيح عبير النبوة الكريمة .. وقضى ما يقرب من ثمانية وعشرين عاما في ربوعها - وإليها نُسب ودُعي بالناصري . ودُعي أتباعه بالنصارى .. ولذلك تكثر فيها الكنائس والأديرة - ويؤمها الحجاج المسيحيون من كافة بقاع الأرض . ولقد كان موقعها الاستراتيجي العظيم إضافة إلى مكانتها الدينية السامقة سببا في تعرضها لكثير من الأحداث والتطورات سلبا وإيجابا .

من الناحية الإدارية كانت الناصرة تتبعه « لجند الأردن » يوم كانت طبريا قاعدة له . وفي سنة ١٣ هجرية (٦٣٤م) دخلت الناصرة في حوزة المسلمين حيث فتحها البطل العربي شرحبيل بن حسنه . وقد ذكر المسعودي في « مروج الذهب » أن « المسيح عليه السلام كان بقرية يقال لها ناصرة من بلاد اللجون من أعمال الأردن وبذلك سميت النصرانية ، ورأيت في هذه القرية كنيسة تعظمها النصارى ، وفيها توابيت من حجارة فيها عظام الموتى يسيل منها زيت تخين كالرب تتبرك به النصارى » .

واستمرت مسيرة التاريخ وعاش في الناصرة المسيحيون والمسلمون « عربا أترابا » متآخين متحابين عملا بأوامر الرسالتين العظيمتين .

قبلة الصليبيين

جاءت الحملة الصليبية المشهورة .. واستولى أدعياء « الصليب » على الجليل بعد سقوط القدس ، ولم تسلم الناصرة من كوارث الغزو ومآسيه . وفي

الناصرة

أيقونة الجليل

عام ١١١٠ ميلادية ، كانت الناصرة خرابا من جراء معارك صليبية اخرى ..

ولم تطل محنة الناصرة .. فسرعان ما انتصر صلاح الدين على جحافل الصليبيين في موقعة حطين المشهورة عام ٥٨٣ هجرية ، وفتح البطل (مظفر الدين كوكبوري) عاصمة الجليل .

وهنا .. سجل تاريخ التسامح الديني مغامرة جديدة لبطل حطين ذو القلب الكبير ، فمع سقوط الحملات الصليبية سقطت مخاوف ودعاوى بعض رجال الدين المسيحي من بطش المسلمين .. وسلك صلاح الدين سلوك الخلفاء الراشدين والحكام الصالحين .. فاظهر عطفه على الناصرة وسكانها بما يتلاءم مع نفسه المسلمة الكريمة ، فلم يتعرض بأذى لغير الاعداء والمحاربين .. بل إنه أكد مروءته وسماحته فمنح بعض رجال الدين في كنائس القدس وبيت لحم والناصرة التي جاءت ما كان في تلك الكنائس من رجال الدين الارثوذكس والسريان واليعاقبة .

بقيت الناصرة بأيدي المسلمين بعد صلاح الدين ، لكنها عادت الى الفرنج مرة اخرى حسب احد بنود معاهدة عام ١٢٢٩ بين الملك فردريك الثاني والملك الكامل ، وتحولت الناصرة عدة مرات بين الطرفين حتى عام ١٢٦٣ ميلادية حيث هاجمها الظاهر بيبرس ، ورغم انتصاره وقدرته على تحريرها من المغتصبين الا ان التاريخ قد سجل عليه نقطة رمادية ، تمثلت في اساءته لسكان المدينة ... وقتله للكثيرين منهم ، بل وهدمه لعدة كنائس وأديرة ... وهكذا اهينت الناصرة على يد الظاهر بيبرس من حيث عزز صلاح الدين تسامحه !!

معيشة طيبة

كسائر المدن الفلسطينية والاكثرية من المدائن العربية دخلت الناصرة في حوزة العثمانيين في عام ١٥١٧ ميلادية ، وحتى عام ١٩١٨ ، وخلال تلك القرون الاربعة مرت بالناصرة احداث تاريخية عدة ، ويذكر المؤرخون بأن المدينة المقدسة قد اخذت تلتئم جراحها بعد نكبة عام ١٢٩١ ميلادية ، فدبت فيها الحياة شيئا فشيئا .. وسكنتها قبائل شتى من الأعراب مسلمين ومسيحيين ، وأول من استقر بها عائلة ، ماضية ، وهي لبنانية الاصل وتعتبر وأسرة الخليلية ضمن اعرق الاسرات المسيحية في الناصرة .. ونذكر منها كذلك قعوار ، جرجورة ، كردوس ، بشارة ، عازر ، بيدس ، فارس . ومن ضمن اشهر العائلات المسلمة العريقة في الناصرة : الفاهوم ، والزعبي وغيرهما .

وجميع النصارى على اختلاف مذاهبهم يقدسون الناصرة ، ويجلونها ، ولا غرو ان ينشئوا فيها العديد من الاماكن المقدسة التي تقدر بخمسة وعشرين كنيسة وديرا تخص اغلب الطوائف المسيحية : اورثوذكس - كاثوليك - لاتين - روم - موارنة - بروتستانت . هذا .. وقد ذكرت الناصرة ٢٩ مرة في العهد الجديد ، ويقول مؤلفا « جغرافية فلسطين - ١٩٢٢ » عن الناصرة ما يلي : [illegible] المقدسة ... وفيها مستشفيات وأديرة [illegible] السيد المسيح الذي نشأ وقضى معظم حياته فيها ، والناصرة [illegible] بالمسيحيين [illegible] [illegible] بالناصرة [illegible] المدة التي كانت من اخصب قرى الجليل في تلك الايام ، والذي اكسب الناصرة أهمية كبلدة مسيحية قسطنطين الملك عند تنصره ، ومن ذلك الوقت بنيت فيها الكنائس والاديرة ، وأمها الزوار ، واهتم بها الصليبيون وجعلوها قاعدة دينية مهمة لهم ..

وأهم الشخصيات القيادية التي زارت الناصرة : نابليون بونابرت - الملك ادوارد السابع - الملك جورج الخامس ، الملك همبرت الاول ملك ايطاليا وغيرهم .

أماكن تاريخية

● كنيسة البشارة :

تعود تسميتها الى مقولة شبه مؤكدة على انها المكان الذي بشرت فيه الملائكة السيدة مريم عليها السلام بأنها ستلد ابنا وتسميه المسيح . قال تعالى في كتابه العزيز : « إذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » .



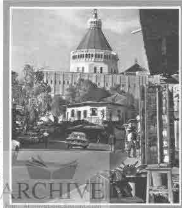


وقد شيد البناء الاول لهذه الكنيسة في منتصف القرن الرابع للميلاد ، وكانت احدى اعظم الكنائس في العالم .. وفي عام ١٧٣٠ شيدت مكانها كنيسة اخرى بقيت حتى عام ١٩٥٥ حينما تم هدمها ثم اعيد بناؤها عام ١٩٦٦ ، وتعد اليوم من اعظم الكنائس في الوطن العربي ، وهي تحتوي على أبنية مختلفة يعتقد انها تختص بأمور ورد ذكرها في الانجيل ، وتشتمل بعض اجزائها على اعمال فسيفسائية تعود بتاريخها الى عهد البيزنطيين .

وبقربها يوجد الموضع الذي انتوى اليهود ان يطرحوا منه السيد المسيح الى الاسفل ، لكنه ، جاز في وسطهم ومضى .. كما نص انجيل لوقا .

● كنيسة القديس يوسف :

اقيمت هذه الكنيسة في فترة متأخرة حيث يعتقد بأن مكانها كان حانوتا ليوسف النجار ، وبيتا للعائلة المقدسة حيث قضى المسيح عليه السلام صباه .



● عين العذراء (بئر مريم) هو النبع الرئيسي للمدينة ، وقد نسب الى مريم العذراء لانها كانت تجلب منه الماء ... وتعتقد احدى الطوائف المسيحية بأن الملاك قد بشر العذراء على النبع حينما كانت تملأ جرتها ، ثم اتم البشارة في البيت .

● كنيسة الملاقة (مائدة المسيح) أسستها طائفة اللاتين المصرانية في القرن السادس الميلادي ، وقد جدد بناؤها عام ١٨٦١ ميلادية ، يبلغ طولها ١٢ قدما وعلوها ثلاثة اقدام ، ويعتقد انصار هذه الطائفة بأن المسيح قد تناول طعام العشاء عليها مع تلاميذه .

● كنيسة سيدة الرعشة (دير الممات) بنيت على جبل الرعشة او القفزة عام ١٨٨٤ ميلادية ، ويعود سبب تسميتها الى التقليد المسيحي منذ القرن التاسع يرى ان مريم العذراء عندما علمت بان اليهود قد مضوا بابنها الى جبل القفزة ليطرحوه من على حروات تتلحق به وبما تشعر الطفل وجدت ارتال اليهود عمدت الى الذعر في قلبها وارتعشت اطرافها ولم يهدأ روعها حتى اطمأنت عليه فسكنت خواطرها وهدأت ثورتها .

● دير سيدات الناصرة : يضم عددا من الكهوف التي يعتقد بانها قريبة الشبه ببيت مريم العذراء والقديس يوسف النجار .

الناصرة .. والانتداب البريطاني

ابان العهد البريطاني الاسود على فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ كان قضاء الناصرة يضم ٢٦ قرية عربية ، اضافة الى ٢٢ مستعمرة يهودية اثنتان منها فقط انشئتا في العهد العثماني ، والبقية انشئت بمباركة بريطانيا ، وسبع بعد النكبة من اهمها : نهلويا ، العفولة ، رامات داقيد ، وكان يقطن هذا القضاء حوالي عشر قبائل عربية صميمة منها : الصبيح ، المزاريب ، الحجيرات ، العزالين ، المجيدات ، الخنيفات ، السيارجة وغيرها .

كان عدد سكان القضاء يقدر بسبعين الف نسمة ، يقطن اغلبهم في الناصرة ، اما قاطنو القرى فهم يعتزون بأن النبي يونس عليه السلام قد ظهر في ديارهم ، وبأن السيد المسيح قد قام فيها بمحض معجزاته ، وبأن ثراها يضم الصحابي دحية الكلبي بن عامر وغيره من المجاهدين . ومن اشهر قرى القضاء : صفورية ـ معلول ـ كوكب ـ طرعان ـ نمرة ـ المجيدل ـ كفر مندا ـ كفركنة .

وبعد هزيمة العرب الاولى عام ١٩٤٨ ازال الصهاينة من الوجود اسماء اربعة من هذه القرى ومن ضمنها صفورية التي اكتشف فيها دير اثري على جانب كبير من الاهمية يحيط به سور شاهق وبداخله كنيسة ضخمة تحتوي على تمثال اثري رائع للسيدة مريم العذراء والسيد المسيح عليهما السلام ، وهذا دليل على اهمية هذه القرية التي يقال ايضا بأن السيد المسيح وامه كانا يتجولان بها احيانا .

وبجوار الناصرة تتواجد غابة صنوبر واسعة اطلق عليها اعداء ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا « غابة بلفور » أهدت كهدية من يهود بريطانيا تخليدا لذكرى اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا وصاحب الوعد التعيس المخلد اسمه بلفسوك « وعد بلفور » وتبلغ مساحة هذه الغابة ٤٠٠ فدان وفيها اكثر من نصف مليون شجرة مغروسة حسب طرق زراعية متقدمة .

جهاد الناصرة

كانت الناصرة في بدء الانتداب البريطاني ضمن اكبر مدن فلسطين واعظمها ، وكانت طوال فترة الانتداب في طليعة المدن التي ناضلت ضد البريطانيين واليهود على السواء ، وسجل « الناصريون » مواقف وطنية عديدة تشهد لهم بالبطولة والاثرة والتضحية .

وتذكر لنا موسوعات النضال الفلسطيني بانه عندما اعلنت الحكومة البريطانية عن موافقتها على نتائج اللجنة الملكية « بتقسيم فلسطين » شملت البلاد موجات استنكار شديدة ادت الى حدوث تمرد واسع ضد الحكم البريطاني ، وبلغت ذروة الغضب الجماهيري بيوم ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٣٦ حينما اغتيل الجنرال د.و. اندروز

الناصرة
ابجوانه الجليل

وكيل حاكم لواء الجليل في الناصرة وقد اتهمت الحكومة عددا من ابناء المدينة بتنفيذ العملية كان في مقدمتهم الشاب سيف الفاهوم فعرضتهم لأبشع انواع التعذيب.

وكانت حادثة اغتيال (اندروز) الشرارة التي اشعلت نار الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، وعلى اثر تلك اتخذ البريطانيون اجراءات صارمة ، فامرت بحل اللجنة العربية العليا واعتقلت بعض اعضائها ونفتهم الى جزائر سيشل في المحيط الهندي ، كما امرت باعتقال ونفي عدد كبير من القضاة والعلماء والزعماء كما يقول استاذنا مصطفى مراد الدباغ في « بلادنا فلسطين » .

سقوط الناصرة

في اليوم السادس عشر من يوليو (تموز) عام ١٩٤٨ ميلادية هوى وطن المسيح ، وسقطت المدينة المقدسة في مستنقع الاحتلال الصهيوني. واتشحت رايات الحداد على الناصرة وكان حدادها مضاعفا .. كونها سقطت .. والسقوط وحده يستحق الحداد .. ولكونها لم تأخذ نصيبها في الجهاد هذه المرة .. وهي اخطر المرات طرا . فمنذ دخوله الى منطقة الجليل اذاع فوزي القاوقجي القائد العام « لجيش الانقاذ » بيانا في « راديو جيش الانقاذ » يحث المواطنين الفلسطينيين على تسليم اسلحتهم لقيادة الجيش في اقرب فرصة لان الجيش سيتولى مسؤولية الدفاع عن الاهالي بل وسحق القوات الصهيونية !!

ولان الناصريين ما تعودوا غير الصدق . وما الفوا الا اياه . فقد استجاب الاهالي لاوامر « جيش الانقاذ » وسلموا اسلحتهم وانتظروا النصر الموعود .. فجاء بدون مماطلة ولكن الذي قطف ثماره هم الاعداء .... لقد كان اسهل سقوط عربي ... واسهل نصر صهيوني إذا استثنينا حرب حزيران الاسود .

يقول المجاهد المرحوم عبد الله التل في مذكراته . حينما انتهت الهدنة الاولى ونشب القتال ثانية بين العرب واليهود ، اخذ الاعداء يهاجمون جيش الانقاذ بقوات كبيرة تساندها المدفعية الثقيلة والدبابات . وفي يوم ١٩٤٨/٧/٢٦م هوجمت مدينة الناصرة من ثلاث جهات ولم يكن في المدينة سوى فوج ضعيف تنقصه الاسلحة الثقيلة والدبابات . وما كادت طلائع اليهود تحتل المشارف المحيطة بالمدينة حتى بدأت قوات الانقاذ تشق طريقها للانسحاب بعد ان وجدت ان المقاومة لا تجدي نفعا . وحينما رأى السكان الخطر المحدق بالمدينة رفعوا الاعلام البيضاء وتقدم وفد منهم برئاسة رئيس البلدية وطلبوا الاستسلام فقدمت لهم الشروط وقبلوها فورا . وانسحب جيش الانقاذ الى ترشيحا وتم لليهود الاستيلاء بدون قتال على جميع القرى المحيطة بالناصرة ».

ويقول استاذنا انيس صايغ « وبضياع الجليل (وقاعدته الناصرة) فقد العرب اهم قاعدة لحرب تحريرية شعبية ، كان من الممكن لو بقيت بايديهم ان تغير مجرى تاريخ القضية الفلسطينية في ملتقاها ».

شخصيات ناصرية

تعتز الناصرة بالعديد من الشخصيات البارزة في كثير من ميادين المعرفة ... ونستعرض ذكر ثلاث شخصيات منها :

● خليل بيدس ١٨٧٤ ـ ١٩٤٩ تخرج من دار المعلمين الروسية ، ثم تولى التدريس وادارة بعض المدارس في سوريا ولبنان وفلسطين . في عام ١٩٠٨ اصدر مجلة « النفائس العصرية » في حيفا . له عدة مؤلفات في المجالات الادبية والمدرسية ، وقام بترجمة بعض الكتب والروايات الاجنبية ، كما كانت له اهتمامات خاصة بالقصة . ويعتبره بعض النقاد الرائد الاول للقصة العربية الحديثة في فلسطين .

● مي زيادة ١٨٨٦ ـ ١٩٤١ هي الكاتبة العربية المعروفة ، والاديبة المحاضرة البارزة ، اسمها « ماري الياس زيادة » والدتها سيدة ناصرية جليلة ، ووالدها لبناني الاصل من سكان الناصرة ، ولدت بها ، وتعلمت ، ثم انتقلت مع والديها الى مصر . تجيد مع العربية خمس لغات اخرى ، ولها عدة مؤلفات ونشاطات ادبية واضحة . كانت « زهرة برية فواحة العبير » تحلّق حول ندوتها الفكرية عشرات من كبار الادباء في ارض



[illegible]

الكنانة . قال عنها المرحوم مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر : « كانت مي سيدة ممتازة للادب تعقد للادباء في دارها مجلسا اسبوعيا لا لغو فيه ولا تأثيم ، ولكن حديث مفيد وسمر حلو ، وحوار تتبادل فيه الآراء في غير جدل ولا مراء » . ووصفتها ام المصريين هدى شعراوي بانها : « المثل الاعلى للفتاة الشرقية الراقية المثقفة » .

● الدكتور نبيه امين فارس ١٩٠٦ . ولد في الناصرة ، وتعلم في القدس ، وحصل على اجازة العلوم من الجامعة الامريكية ببيروت . في عام ١٩٣٥ حصل على الدكتوراه في اللغات الشرقية وتاريخها من جامعة « برنستون » في الولايات المتحدة الامريكية ، وله عدة مؤلفات بالعربية والانجليزية ، واخر منصب شغله رئاسة لهيئة الدراسات العربية بالجامعة الامريكية بلبنان .

حاضر الناصرة

كانت الناصرة في طليعة المدن الفلسطينية الاكثر تحضرا وانفتاحا على العالم ، وقد شهدت في مطلع هذا القرن نهضة علمية وثقافية نشطة . وورد في « جغرافية فلسطين » ان « الحياة العلمية في الناصرة راقية ، ففيها عدة مدارس اهمها مدارس الحكومة ، ومدرسة الكاثوليك ، وعدة مدارس للاجانب ، وكانت فيها دار المعلمين الروسية وهي من اهم المدارس الفنية ، وقد اخرجت عددا لا يستهان به من المعلمين الذين تربوا



شارع في الناصرة

على الاصول المداعوجية الصحيحة، ومن ضمن الذين تخرجوا من هذه الدار بعض الادباء العرب في المهاجر الامريكية امثال ميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة وغيرهما.

كما تشكل في الناصرة اول مجلس بلدي لها عام ١٨٧٥ ميلادية، وكان طنوس قعوار هو اول رئيس لبلدية الناصرة، اما رئيس بلديتها الحالي فهو الشاعر المعروف توفيق زياد.

وقبيل النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ كانت الناصرة اكبر مدينة عربية في القسم المغتصب من فلسطين، وهي التي حافظت بذلك قاعدة الحياة الثقافية العربية، ومركزا رئيسيا للحركات الوطنية التي يخشاها الاعداء.

ويبذل الصهاينة منذ فترة بعيدة كثيرا من الجهود لازالة الصبغة العربية للمدينة، وتشويه هويتها الاصيلة، لذلك فهم ماضون في بناء مستعمرة «نانتسرت عليت» اي الناصرة العليا تماما كما فعلوا بالنسبة لمدينة الخليل ومستعمرة «كريات اربع».

وقد اقامت وزارة السياحة الصهيونية مكتبا للاستعلامات السياحية في الناصرة، يقوم بارشاد السائحين وتوزيع كتيبات ملائة من الاكتيبات الاعلامية عن المدينة ومعالمها التاريخية.

وكما تمتاز الناصرة بالشوارع والمنازل ذات الطابع الشرقي المعهود، فهي تزخر كذلك بالمتاجر المختلفة التي تبيع الهدايا التذكارية التي يصنعها الناصريون كالسجاد والاوعية النحاسية والصدفية والخشبية التي يمثل بعضها الاماكن المقدسة في المدينة، وقد تحولت كلية ... تدعو السياح لمشاهدة كنائس الناصرة ... والمتحف ... [illegible] ... التي تتبعه الى المدينة [illegible]

وفي احد احياء المدينة وقفت الى احدى المكتبات، وفي الحقيقة انني دهشت عندما وجدت ارففها مكدسة بمئات الكتب العربية في شتى دروب المعرفة، ولم اجد مشقة في التعرف على «حسام الدين» احد شريكين يمتلكان المكتبة العامرة.

واخذ يحدثني بكل اهتمام عن اوضاعهم المعيشية كعرب داخل الكيان الصهيوني منذ تأسيسه عام ١٩٤٨، وتطرق الى القول بأن بقاء الدولة اليهودية في شكلها الحاضر يواجه خطرا من قنبلة ديموغرافية (سكانية) موقوته من صنع اسرائيل ذاتها اكبر من خطر العبوات الناسفة التي يزرعها الفدائيون العرب.

وقال «حسام الدين»: ان عددنا نصف مليون فلسطيني نقيم في منطقة الجليل وهناك مليون وربع المليون اخرين يقيمون في الضفة الغربية وقطاع غزة، اي ان عدد الفلسطينيين في «اسرائيل» يقدر بحوالي ١٫٧٥٠٫٠٠٠ نسمة.

ان معدل الولادة بيننا يكاد يكون ضعف المعدل بين الاسرائيليين، وخذ الآلة الحاسبة لتريك كم من الوقت سيتطلب الحال الذي يصبح اليهود فيه الاقلية.

وهذا ما تخشاه «اسرائيل» على المدى البعيد نسبيا، وصدقني لقد اكتشفنا محاولات اسرائيلية، لعقم الرجال العرب كي يضعوا حدا لازدياد معدل الانجاب بيننا، الم تطلع على تصريح الجنرال افيغدور ابن غال حاكم الجليل للاذاعة اليهودية؟ لقد قال: «.. ان النصف مليون عربي من الجليل ينتظرون فرصة للانقضاض علينا وخنقنا، انهم يزدادون تشبعا بروح النضال والقومية التي يستمدونها من مواطني الضفة والقطاع.. انهم كلهم يشكلون سرطانا في جسم اسرائيل».

قلت له هامسا: اخفض صوتك ياحسام، الا تخشى بطشهم؟

هز رأسه بلا مبالاة وقال: لقد سئل القرد مثل هذا السؤال فأجاب: لقد غضبت السماء على القرد فمسخته قردا، فماذا سيتوقعون ان يمسخ بعد ذلك؟!!! ولا نامت اعين الجبناء!

● ● ●

في طريق عودتنا الى خان يونس اخذت اقرأ قصيدة «توفيق زياد» «عشرون مستحيل»:

هنا على صدوركم.. باقون كالجدار
نجوع.. نعرى.. نتحدى
ننشد الاشعار
ونملأ الشوارع الغضاب بالمظاهرات
ونملأ السجون كبرياء
ونصنع الاطفال.. جيلا ثائرا.. وراء جيل
كأننا عشرون مستحيل
في اللد والرملة والجليل
انا هنا باقون
فلتشربوا البحر
نحرس ظل التين والزيتون
ونزرع الافكار كالخميرة في العجين
برودة الجليد في اعصابنا
وفي قلوبنا جهنم حمرا
اذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب ان جعنا.. ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخل.. لا نبخل.. لا نبخل
هنا.. لنا ماض.. وحاضر.. ومستقبل

نبيل خالد الآغا

والت ديزني عالم الأطفال الجميل!

خيرية البشلاوي

إذا كنت من قطر .. واليوم الجمعة فقلد تجد ضيف عزيز .. تنتظر معرفته في حماس الصغار واستعداداتهم .. وفي تاكؤ الكبار امام البيت حتى يكونوا في استقباله ايضا .. وبابه الذي يدخل منه عادة هو الشاشة الصغيرة .. يطل منها باشكال والوان ورسومات وصور وموسيقى وحكاية جميلة عادة ما يشترك في بطولتها الناس والحيوانات وعناصر الطبيعة والاقدار الطيبة ..

مبدع كل ذلك والت ديزني .. الجد الازلي لكل الاطفال .. صانع «ميكي ماوس» الفار العفريت الذي لا يطلقه الزمن .. ولا تنال منه الشيخوخة رغم عمره البالغ الآن ٥٢ عاما !..

ونحن نعرف ان والت ديزني عالم كامل من الخيال والانطلاق الذي لا تحده حدود وسط الغابات والجداول والانهار وبين الحيوانات والمخلوقات الغريبة والاليفة ومع ذلك فلم يكن هذا العالم هكذا مفتوحا بالنسبة لي .

ولم يكن هذا التكثيف الا من خلال هذه الشاشة الصغيرة الملونة التي انتشرت في السنوات الاخيرة في منازلنا .

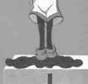
لقد لفت نظري فعلا هذه المساحة الزمنية العريضة التي تحتلها افلام الكرتون والافلام الروائية التي تنتجها استوديوهات ديزني في برامج التلفزيون اليومية هنا .. وخاصة في ايام الجمعة .. ولست اشك احسسنا بالراحة لوجود هذا الاهتمام الكبير بافلام الاطفال .. فهي وسيلة ترفيهية تشغل بعضا من اوقات الفراغ عند الاطفال .. صحيح انها ليست الوسيلة المثلى إذ المفروض ان تكون لدينا نحن الاستوديوهات العربية التي تنتج احتياجاتنا من افلام التثقيف والترفيه .. وسائل تعتمد على مادة حياتنا نحن وعلى ثقافتنا وتراثنا القومي والعربي .

والدول العربية وبخاصة مصر عرفت الفن السينمائي منذ بداية هذا القرن .. ومع ذلك وبعد مرور ثمانين عاما .. لا يوجد لدينا حتى الآن تيار منتظم من الانتاج السينمائي الخاص بالاطفال .. وليس هناك استوديوهات عربية متخصصة في هذا المجال .. وما زلنا من اعمق الثقة في مجال الكرتون او البرامج التليفزيونية الموجهة للاطفال لا يشكل قدرا نستطيع ان نعتمد عليه بأي حال .. والبرنامج الوحيد .. الفتح يقسم .. الذي يشدنا يوميا ونهلل له فرحين .. يضعنا نحن الدول العربية على خريطة المستفيدين من الخبرات الاجنبية في مجال الترفيه .. اعني ان البرنامج مع تقديري الشديد للجهد العربي فيه الا انه مصنوع بالتعاون مع جهة تلفزيون الاطفال بنيويورك .

وإذا كانت الحاجة هي ام الاختراع كما يقولون .. فما حاجتنا نحن الى الاختراع إذا كنا نتعاطى .. المنتظر .. جاهزة تحملها لنا الشرائط المعلبة .. وإذا كانت الحاجة هي الفن .. اخترعت والت ديزني نفسه فما حاجتنا الى .. والت ديزني آخر اذا كانت مصانع ديزني مستعدة للتوصيل لنا بضاعته حتى المنازل !!









ديزني يأتي بالمفقود

ولنعد الى تجربة والت ديزني فقد يكون في ذكراها الهام لنا ونحن نخطو اولى خطواتنا في هذا الطريق الذي يؤدي بنا الى فن نابع من تراثنا وواقعنا وواقع اطفالنا واجيالنا اللاحقة .

لقد كانت اضافة عنصر الصوت الى فن السينما بمثابة نذير ازمة واجهت فناني الكوميديا العظام في السينما الصامتة ، إذ كانت النزعة الفكاهية عندهم تعتمد على الصورة (الحركة المصورة) أساساً وليس على الصوت ، اكتشف هؤلاء ان افلامهم تتلاشى ببطء وتتقهقر امام الميكرفون ، ولم يدعم الحوار هذا الجنس الضاحك عند تلك الكوميديا الامريكية فقد سكتت وتخاذل ممثلو تلك الكوميديا عند البدعة الجديدة مؤقتاً ، وانتهت عهود باستر كيتون وانزل هارولد لويد ولارى سيمون ، وهاري لانجدون وتلاشوا في الظلام .

حينئذ برزت حاجة الكوميديا الى اتجاه جديد ، وظهرت الى الوجود افلام من الرسوم المتحركة لوالت ديزني ١٩٠٨-١٩٦٦ ، وظهر « ميكي ماوس » لاول مرة عام ١٩٢٨ ، واصبح منذ لحظة ظهوره « المخلوق » المفضل لدى الجماهير ومع عام ١٩٣١ بلغ رصيد والت ديزني من الافلام القصيرة ٩٠ فيلماً ، ومع كل فيلم جديد يكتشف الجمهور مواهب هذا الفنان والخيال المدهش الذي يمتلكه . وفي عام ١٩٣٣ وقف « الثلاثة الخنازير الصغار » وملأوا الدنيا بالغناء « من يخاف الذئب الشرير الكبير ؟ » واستجاب الجمهور الى هذه الاغنية المتدفقة حماساً واستقبلها بحماس شديد ، واعتبرها رمزاً رائعاً لسنوات الكساد في امريكا ، او رمزاً للشجاعة التصدي للنازية الصاعدة في المانيا ونال الفيلم جائزة خاصة من اكاديمية الفنون .

وطوال الثلاثينات كشف افلام والت ديزني عن تطوراً وتفوقاً ملموساً في مجال الحركة ، واكتسبت المرونة والتلقائية وكل المزايا التي تكمن داخل الحركة والتوافق والصوت والتلاؤم الموسيقي مع الحركة وتزامن الصوت والصورة . تعد هذه فترة الخصوبة والانتاج الاكبر التي خرج منها « بلوتو » و « جوفي » و البطة « دونالد » .

ويجب ان نلاحظ ان اسهام والت ديزني الاكبر بالنسبة لفن الرسوم المتحركة ، انما ينبع من براعته الفائقة في تنظيم واعداد فرقة من الفنانين المتخصصين في هذا المجال ، وقد توقف هو شخصياً عن رسم الافلام بعد عام ١٩٢٨ ، واستخدم مهاراته كممثل ومخرج في استخراج كل طاقات هذه الفرق التي كان يتولى بنفسه تدريبها واعدادها .

وقد استطاع مثل هؤلاء المعاونين بفضل توجيهه ان يخلقوا تياراً متدفقاً من الرسوم المتحركة التي تمتع ملايين المشاهدين .

وفي عام ١٩٣٧ قدم احدى المؤلفين فيلمه الطويل الاول « الاميرة والاقزام السبعة » ، وقد الذي كان سيمفونية « الوان » خالصة ترتقي فيها الاشكال والخطوط الملونة وحدها على انغام موسيقى ، وهو فيلم يسبق زمانه بسنوات وكان هو المحاولة الاولى لديزني في مجال الفن التجريدي .

وفي عام ١٩٥١ اضاف فيلم « دمبو » الى جوائز ديزني جائزة اوسكار خاصة عن احسن موسيقى والفيلم طويل من الرسوم المتحركة عن فيل صغير يتعلم كيف يطير باستخدام اذنيه الضخمتين كجناحين ، وهو فيلم يضم اغنيات جميلة « امي الصغير » و « ظللي انا » و « وعندما ارى فيلاً يطير » .

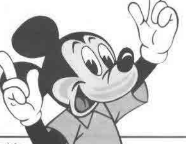
ثمار ممتدة من الرسوم المتحركة التي تمتع ملايين المشاهدين





انتاج هوليودي خالص

ان الرسوم المتحركة التي ابتكرها والت ديزني تعتبر نتاجاً هوليودياً خالصاً ويظل ديزني هو الفنان الاكثر شهرة وسط اعلام هذا الفن مثل ماكس فليشر في امريكا وجيري ترنكا وكاريل زيمان وبريدكا في تشيكوسلوفاكيا ونورمان ماك لارن في كندا ، داميل كول في فرنسا ، وريتشارد وليامز في انجلترا ، وفلادو كريستل وفاترد سيلاف ميمكا في يوغسلافيا وغير هؤلاء كثيرين في جميع انحاء العالم . والسبب في شهرة ديزني وانتشاره الى الدرجة التي تجعله معبود الاطفال ، الباقى لديهم (مثل الشيكولاتة والايس كريم) هو ان ديزني تحول من فنان مبدع الى مثال صاحب مصنع للانتاج الجماعي يخرج منه الافلام ، ومع المصنع انشأ ديزني « معهد » التدريب لتخريج الفنانين المتخصصين ، وبذلك تحولت استوديوهات ديزني الى مؤسسات كاملة لانتاج السلع (اي الافلام) ولانتاج المبدعين من



- كل الشخصيات الغريبة تتم إبداعها وتحريكها بمهارة وإتقان رائع

- الفيل الصغير يتعلم كيف يطير باستخدام أذنيه كجناحين!



كل المتخصصات . والأفلام تخرج بأعداد هائلة ، يتولاها جهاز توزيع يقوم بنشرها على جميع انحاء العالم .

وبعد ، الأميرة والأقزام السبعة ، بدأ وكأن النجمة قد عثرت على أكثر إمكانياتها نقاء . فكل الشخصيات الغريبة في القصة قد تم ابداعها وتحريكها برشاقة وإتقان رائع . وكانت الفرق الفنية داخل استوديوهات والت ديزني أشبه بالفرق الموسيقية الضخمة يقودها مايسترو بارع ، يروي الحكاية المصورة بتدفق موسيقي وبأسلوب فنان وألوان مذهلة وخيال مع لمسات موحية رقيقة . وتجسدت هذه المواهب جميعها في فيلمه الرائع « فانتازيا » . وحتى هذه الخطوة الى ديزني لا يزال في مرحلة التطور . وعلى الرغم من انه لم يقول بنفسه رسم اي من هذه الأفلام الا ان أفكارها والتصور الكلي لهذه الأفكار كانت من وحي خياله وإبداع عقله .

الطبيعة والموضوعات الروائية

في الخمسينات . بعد انتهاء الحرب والعودة الى الحياة الطبيعية وبداية الازدهار الجديد كان ديزني قد دخل مرحلة جديدة من مراحل نضجه الفني وتطوره وانطلاق خياله في : اليس في بلاد العجائب ، (١٩٥١) و بيتر بان ، (١٩٥٣) والسيدة والمتشرد ، (١٩٥٥) .

في هذه المرحلة انطلقت ديزني الى جانبين هامين من الموضوعات الفنية : موضوع الطبيعة ، والموضوعات الروائية .

في الموضوع الأول أنتج وأخرج سلسلة من الأعمال المذهلة عن تحولات الطبيعة في تجلياتها المختلفة .

بامتلاك سلسلة من المعدات الفنية اللازمة لتصوير موضوعاته ، وتعمل المونتاج اللازم بعد التصوير (مثلا تصوير عملية تكوين الأعشاب تحدث على طول ١٢ ساعة ، ثم اختصار العملية بالمونتاج الى نحو سبعة دقائق ثم الى نحو ثلاث دقائق فقط) أعطتنا هذه المرحلة أفلاما مثل « الصحراء الحية » و « اختفاء نداء الطبيعة » وغيرها .

وفي الموضوع الثاني كان بديهيا أن يقع اختيار ديزني على الأعمال الروائية التي يستخدم فيها ، تراثه . الثري من المنجزات في عالم الخيال والكشف العلمي وتدريب الحيوانات وطرق أعماق العالم الغريبة . فاختار روايات من نوع « عشرين ألف فرسخ تحت الماء » و « أول من وصل الى القمر » أو « رحلة الى مركز الأرض »

وكلها من روائع الخيال العلمي لجول فيرن ... التي تكشف للقراء ، بالصورة ، أسرار المعرفة والتجارب من ... . هنا يمتزج بعض الأشياء عن تحول قراءته القطعية ... بصورة أو بمنطق القانون العلمي الصارمة أو بأوضاع الفعل الثابتة .

وبلغت شهرة ديزني ونجاحه التجاري الكاسح الى درجة مدهشة . لكن هذا النجاح التجاري هو الذي حاصر امكانيات التطور واسرها داخل دوامة الكم المتزايد للانتاج فجاءت أفلام ديزني في المراحل التالية أقل بكثير عن المستوى الذي عرفت به أعماله الأولى رغم صخب التوهج والشهرة التي تكتسب هذه الأعمال الكثير من الحيوية ...

أرض ديزني

وبدأ ديزني أكثر اهتماما بالحصول على « مذاق الشيكولاتة » الثلجة التي تذوب سريعا أكثر من اهتمامه بخلق الأعمال الفنية الكبرى . تضاءلت كمية الخيال ومحتواه ، فقدم من خلال أعماله عالما تبدو فوق سطحه المشروبات والفواكه المجففة والطازجة . أما الواقع الحقيقي بكل شوائبه ومخالفاته فقد استبعد بحسم . وكان التتويج النهائي لأعماله التجارية هو اقامة (أرض ديزني) المكان الذي يرجع إليه الأطفال في أمريكا ، انها مساحة شاسعة من

الأراضي تضم كل الغرائب من الغابات والجداول لشلال الذهب وجميع أنواع الحيوانات المطروبة والأليفة والطيور بألوانها الطبيعية وجميعها بالحجم الطبيعي وبأجهزة اليكترونية دقيقة تجعلها اشبه بالحيوانات والطيور الحقيقية . فضلا عن الألعاب الضخمة والقلعة من العصور الوسطى . والفندق الذي يطل المسافر من فوقه على هذه الأرض العجيبة التي تضم أي شيء حقيقي . حتى ابراهام لنكولن يتحول الى لعبة الكترونية ضخمة . وحقق ديزني أرباحا هائلة من مملكته (أرض ديزني) التي تركها ورحل منذ سنوات قليلة . وظلت حتى بعد رحيله المجمع الذي جر ذهبا . وقد بلغت أرباح ديزني سنويا مليون دولار من مملكته عام ١٩٦٦ .

من روعة هذا الانتاج منحنا التلفزيون قطر بالكثير في الآونة الأخيرة تشير الى البعض منه تشمل ملامح من هذا الفن الذي ملأ الدنيا وأمتع قلوب ملايين الأطفال في كل انحاء العالم . من بين هذه العروض :

هروب فوق نهر روجي

نهر روجي الجميل تطل عليه الغابات .. تسير ومعه والده يصطادان الأسماك في مياه النهر الهادئة . تنطلق سيارة نقل ضخمة فوق الطريق الأسفلتي يقودها مدرب للقطة .. انسان بدين طيب ومرح يغني في سعادة .. يصاب الأطفال بعطل فيتوقف لتغييره . أثناء ذلك يفتح باب العربة



الأميرة والأقزام السبعة



إحدى شخصيات والت ديزني

فيخرج منها أربعة أفيال تقف في الخلاء بجوار مدربها .. يساعد أحد الأفيال في تثبيت صواميل العجلة وفي تركيبها في مشهد طريف وضاحك ويمرح الباقون في عرض الطريق .. بعد الانتهاء تصعد الأفيال إلى العربة .. ويكتشف المدرب غياب أحدها، فيهرع للبحث عنه .. يتجول الفيل الهارب .. الباحث عن الحرية عبر الأشجار في الغابات المجاورة .. يتصادف وجود الصبي الذي كان يصطاد مع والده في المركب .. يأخذ الصبي الفيل ويقفز فوق ظهره .. ويتهاديان عبر الغابات حتى يصل إلى مركب الصيد التي كان يحركها أصحاب بمعجزة الحظ .. ويستطيع الصبي بمعاونة الفيل أن يجر المركب حتى يصل بوالده إلى الشاطئ .. وينتهي الفيلم بأن يستعيد المدرب فيله الهارب .. مثلما يستعيد الصبي ووالده صفاء رحلتهما.

فالم بن السقاف إذن هو ذلك العالم الذي يقدمه والت ديزني .. الشمس مشرقة .. والنزهة رائعة .. والنزهة في الفيلم لا تكشف فقط عن العلاقة الحميمة بين الأب وولده .. أو بين الإنسان والإنسان وإنما تختص الحيوانات في علاقاتها مع الإنسان .. الطبيعة ساكنة والأشجار أعماق الرجل الطيب الذي يعرف كيف يروض الحيوانات ويحبها .. وكيف يصطاد الأسماك وكيف يحيل كل الأشياء حوله إلى جنة صغيرة وجميلة.

والحدوتة بسيطة كما نرى وهندسة تطبيقية للطفل .. يستغل المخرج كل الإمكانيات البصرية التي يتيحها المكان .. لا مكان الشر .. بل بهجة

الهدف من وراء هذا المجموع لأن الأحداث جميلة أمامه .. لا يستطيع أحد أن يقف. نجد في بعض الأحيان أنه يصعب الوصول إلى المستوى الثالثة وإنما يسعى لتقديم حكاية لا نعرف فيها

الكلب سموك

وفي فيلم : سموك . وهو اسم الكلب الذي تدور حوله الأحداث .. يقدم الفيلم مشكلة .. كريس الصبي الأمريكي الذي يقف على باب الرجولة ويتوق إلى العبور عبره بأسرع ما يمكن .. وكريس يعيش مع شقيقه في منزل أمه وزوجها في بلدة أمريكية صغيرة .. لكنه يعاني من مشاعر الوحدة والقلق .. بعد أن مات والده محترقاً في حادث سيارة دون أن يتمكن أحد من إنقاذه.

ويضطر كريس إلى الخضوع لأفكار زوج أمه الذي يرفض أن يشتري له كلباً من كلاب الصيد بحجة أنه صغير على ممارسة هذه الهواية .. وتستولي على الصبي مشاعر العداء لزوج أمه ويتحدى أفكاره عندما يعثر بالصدفة على كلب حراسة ضال في الغابة المجاورة .. وفي السر يأخذه ويتولى بنفسه إطعامه بعيداً عن عيون أفراد الأسرة .. ولا يبوح بسر كلبه إلا لشقيقته التي تعاونه .. وحين يظهر في النهاية صاحب الكلب تقوم أخته الصغيرة بمناورة طفولية لكي يحتفظ بالكلب لشقيقها.

والفيلم يحاول هنا أن يقوم بشكلة اجتماعية ولكن بأسلوب رومانسي .. ينتهي إلى حل مثالي ..

فكريس بطل الفيلم نموذج للشاب المتطلع المتفاهم رغم رفضه لسلوك زوج أمه .. لا ينقصه سوى التجربة وخوض الحياة الحقيقية وحين يأتي الهروب من المنزل يواجه هذه التجربة التي توفرها له الصدفة .. إذ تضطره الظروف إلى إنقاذ سيدة عجوز كاد يلتهمها الحريق بعد أن شبت النار في منزلها .. يواجه كريس الحريق في شجاعة واستبسال حقيقي .. وبعد أن تنجح محاولاته وينقذ الأميرة بالفعل يشعر بالسعادة .. ويتحرر كلية من عقدة الذنب ومن مشاعر القلق .. ويتخلص من التمزق الذي كاد يفسد علاقته بأمه وزوجها .. الذي يقدمه الفيلم كنموذج للرجل الجاد الحازم من طيبة .. القادر على التفاهم .. وعلى الحب والعطاء .. فهو يستقبل كريس سعيداً بعد أن يعود إلى المنزل .. وتستقبله الأسرة وسط مظاهر الحفاوة والترحيب الشديد .. وفي مواجهة كريس .. يقدم الفيلم نموذجاً آخر لصبي متكبر متعجرف يأتي من المدينة مع أمه في زيارة لخالته (والدة كريس) وأولادها .. وفي التصادم بين أبناء الريف والمدينة يقدم الفيلم لحظات طريفة عن مشاكل الأولاد وأسلوب التعامل معهم.

وتكاد أفلام والت ديزني تعرض المشاكل بصورة مبسطة طريفة لا تعقيد ولا مأساة إذ أن الأسلوب يعتمد في الأساس على إسعاد العين وراحة العقل .. عن طريق مضمون سعيد مبسط وتصوير متقن يساهم في تدعيم هذا العنصر الجمالي والطبيعة موجودة لنا كعنصر أساسي تضيف إلى رونق الصورة وحيويتها وبهائها .. الشخصيات لا عمق فيها ولا ملامح محددة ولا أثر

في صدورها المعاملة أو للمشاعر السلبية . هناك أيضا الحيوانات الفديرة تدريبا عقلها الفير داخل من العمل شريك إيجابيا لا في عقله .

طريق إلى الحب

وفي عمل والت ديزني تواجه المشاعر السلبية دائما بفيض من مشاعر الحب .. فالمجتمع قادر باستمرار على تجاوز أخطائه ، وقادر على التماسك وعلى سد الثغرات بالأسلوب الأمثل : الحب .

في فيلم « الهروب » يواجه المشاهد مشكلة الفتاة « الصبية » الجميلة التي تتشابه في ملامحها النفسية مع « كريس » بطل فيلم « سحوك » أنها في مثل عمره تقريبا .. ومشكلتها أنها تعيش مع زوج أمها أيضا ، وأمها سيدة لا مبالية ولا تولى طفلها من الزوج السابق أدنى عناية ، وعندما تحاول الأم التخلص من أحد هؤلاء الأبناء الثلاثة بإرساله إلى بيت لحضانة الأطفال « شعبي » روزيد (معاهدتهم الوحدة) باعتبارها الشقيقة الكبرى إلى الهرب مع شقيقها الصغير وإنقاذ شقيقها الثالث ثم الهروب جميعا إلى صديق لوالدهم في التخطيط .

تخوض « روزيد » مغامرة الهروب ، ثم مغامرة إنقاذ شقيقها من دار الحضانة .

ومغامرات « روزيد » كما يصورها الفيلم مليئة بعناصر التشويق .. فهي فتاة صغيرة تتمتع بإرادة وشخصية قوية ، لكنها تعاني من حرمان كامل من مشاعر الأمومة . ومع ذلك تسعى إلى تعويض أشقائها عن حنان والديهم بعطف نابع من حنانها .. وشقيقها الصغير يصاب بالخرس من جراء صدمة نفسية يولدها استهتار الأم التي تستسلم تماما لنزواتها ، وتنصرف مع زوجها الجديد غير مبالين بهم .. سعيدة بحظها المتحقق بعيدين عنهم .

حبكة الفيلم إذن مشحونة بكل ما يثير التعاطف ويحرك الوجدان .. والأسلوب الذي تعالج به الحبكة يحفل بالأحداث والحركة والمطاردات .. والفيلم يطرح المشكلة على جزئين وكل جزء يعتبر فيلما مستقلا ، وإن كان مكملا للآخر .. وفي الجزئين تظهر عناصر متعددة ومتنوعة من قطاعات المجتمع الأمريكي المختلفة : الضابط الذي لا يدخر وسعا في البحث عن الهاربين ، السيدة التي تعمل بوظيفة ملازم في قطاع البوليس ولا تقل شطارة عن زميلها ، الأسرة التي تتسابق لتقديم العون .. الأطفال في كل الأعمار فهم يتكاتفون لإنقاذ رفاقهم « روزيد » ومعاونوها .. الجدة العجوز التي تجسد الحنان مع الطيبة والحزم الشديد .. الأب والمجتمع الأسري .. الجميع يعيشون فيما يشبه « المدينة الفاضلة » .. علما بأن الأحداث لا تتم داخل الاستوديو وإنما تستخدم الشوارع والأماكن المفتوحة التي تتيح للحدث مزيدا من الانطلاق .


العربة التي تقل سندريلا للقصر

والقصر كان ما تعرضه تعاطفا مع مشكلة مجموعة من الأطفال يتنقلون من أم لأب .. وفي مشكلة ضخمة ويتهم لكل ... في ... الحديث ... [illegible]

[illegible]

تعرضت أفلام ديزني لهؤلاء البؤساء ، ليس باعتبارهم ضحايا ولا أصحاب حق في هذه المدينة الفاضلة ، وإنما عاملهم كعشر من كوكب آخر ، ومن ناحية أخرى لا تصلح إلا طعاما للتلاقي .

في فيلم (سام المتوحش) ينقلنا هذا ستكون الرائع في الريف الأمريكي .. حقائق النواحي الناطقة وتشكيلات الخيل بجيادها الرائعة ، منتشرة فوق الأرض المنبسطة بلا حدود يغطيها اللون الأخضر الزاهي .. المشهد غني ، مشحون بعناصر الإثارة المريحة : التصوير ، الألوان الجميلة ، المؤثرات الصوتية المتقنة ، الموسيقى الناعمة ، الكلب (سام المتوحش) وصديق الصبي الصغير في مثل عمر « كريس » و « روزيد » ويتمتع مثلهما كممثل بحاسة الحضور والقبول لدى الجماهير .. فهناك طاقم كامل من الممثلين والممثلات بمختلف الأعمار لا يعملون إلا في نتاج ديزني !

الأبطال .. مثل الكلب وصديقه .. يمثلان هذه السلالة الناشئة بمغامراتهما البريئة التي يكشف فيها الكلب عن مهاراته وقدراته في مسطح فراشته .. ويكشف فيها الصبي عن مؤهلات فارس صغير وقوي ، والصبي يعيش مع شقيقه الأكبر في منزل بجوار المزرعة والحظيرة والإسطبل ، والأخ في مهمة في المدينة ، يبرز الشقاء في الريف عمهما القادم من بعيد مع ابنته الصغيرة الجميلة التي تنجذب إلى شقيقه الأكبر .. لكنها تذهب مع الأصغر إلى رحلة خلوية بعيدا عن البيت والمزرعة فيهاجمهما الهنود الحمر بحرابهم وأشكالهم القبيحة ، تنشب معركة بين الولد الصغير ، وبين مجموعة الهنود الحمر ، وتتصاعد إيقاع المعركة في مشاهد مليئة بالحركة والترقب والحذر ومحاولة الإضحاك والتشفي على تلك الهنود الحمر وسلوكهم الهمجي ووحشيتهم التي يتصدى لها


ميكي ماوس في أزمة في الغابة





جمال قطب

إنه عبقرية فذة، تفاخرت بها بريطانيا وهولندا طوال النصف الثاني من القرن الماضي — إنه فنان التاريخ «لورانس الما تاديما»... وقد يبدو من اسمه مايثير الغرابة من بين الأسماء البريطانية، وهذه حقيقة فإن اسمه الحقيقي الما تاديما، فهو هولندي الأصل، وقد اضاف اسم (لورانس) للعرفان بالوطن الثاني — بريطانيا — الذي أصبح وطنه الأول بعد ذلك عندما ذاعت شهرته كفنان يمثل الفن الفيكتوري في انجلترا في القرن التاسع عشر أروع تمثيل.

وكانت هذه الفترة الزاهرة في حركة الفنون التشكيلية في بلاد الغرب عامة، تمتاز بديناميكية الفكر وسرعة المتغيرات الإبداعية، وخاصة في فرنسا حيث تألقت المدرسة (الرومانتيكية)

[illegible] إبراهيم حتى حصل على الميدالية الذهبية وسار راشدا في الفن الفيكتوري الذي ساد إنجلترا في القرن ١٩

ابداع



انطلاق الموهبة

بزعامة تيودور جيريكو والتي بدأت في الظهور بعد عام ١٨١٩ محطمة قيود (الكلاسيكية الجديدة) الناعمة الحالمة والتي فرضت بالإرهاب والدكتاتورية . والرومانتيكية مشتقة من لفظ (رومان) ومعناها بالفرنسية : قصة أو حكاية . أي أن هذا المذهب يعتمد على المبالغة في تصوير المشاهد التراجيدية أو الدرامية فالألــوان أكثر إشراقا ، والحركات مبالغ فيها ، والأبطال أعظم بطولة ، والنساء أروع فتنة وجمالا .

من هذا المنطلق .. اتجه كثير من الفنانين إلى هذا المجال يسجلون من خلاله القصص والأحداث ، سواء أكانت من أعماق التاريخ أو من أحداث الحياة المعاصرة .

وتلقف فناننا (تاديما) هذا الخط ، واتجه بكل ميوله ومواهبه إلى أحداث التاريخ ليغوص في أعماقها السحيقة .. يستخرج لآلئها ودررها فيصوغها في أروع ما شاهد الشعب البريطاني ـ والعالم أجمع ـ من جمال ومثالية بصرية بلغت حد الإعجاز في الإدراك والحساسية !

ولم يتأثر (تاديما) أو يهتم بما حدث من متغيرات في مدارس الفن وأساليبه في العاصمة الفرنسية .. وأخذ يبدع بطلاقة دون أن يخشى اتهامه بالجمود أو التخلف .. وهكذا كان طابع الحياة البريطانية : الاعتزاز بالتقاليد المتوارثة واحترام التراث والبعد عن الانفعالات الطارئة بقدر الإمكان . وإذا كان لابد من التغيير أو التطوير ، فليكن انطلاقا من اقتناع منطقي دون ثورات بركانية أو هزات عنيفة كما حدث لمسيرة الفن الحديث في فرنسا .. فقد كانت المعارك مستمرة هناك سيما بعد ظهور (التأثيرية) وما بعدها في الثلث الأخير من القرن الماضي ، تلتها مدارس الوحشية والتكعيبية والتجريدية بأنواعها فالموهيمية والتعبيرية ثم السريالية التي فتحت الباب على مصراعيه أمام متاهات التيارات الجارفة من التعبير التشكيلي ، كان فيها المعقول وغير المعقول كل هذه المعارك والثورات حدثت في أقل من نصف قرن !

على النقيض ـ كما أسلفنا ـ من الفن في المجتمع البريطاني ، إذ ذرع الفن من خلال مسيرته الطويلة يكاد يكون وقورا ملتزما ـ نسبيا ـ لا تؤثر فيه لحظات الموجات المستحدثة ! حتى أن الفنان الإنجليزي الأشهر (جون كونستابل) عندما أراد أن يتحرر قليلا عن القواعد الكلاسيكية الجامدة ، فخرج إلى الطبيعة يسجل منها مناظره الطبيعية الشهيرة بشيء من التصرف اللوني ودراسة المتغيرات الضوئية اعتبر ذلك خروجا عن المألوف في عالم الفن في بريطانيا ! بل وعندما سار (تيرنر) في اتجاهه الضوئية بتطوير ملحوظ في مناظره وتكويناته .. وجعلها غارقة في هالات من الضوء والتألق .. اعتبر ذلك أيضا ثورة جامحة .. مع أن الالتزام بالواقعية كان مسيطرا إلى أبعد الحدود

وما يقال عن المناخ الفني حينذاك في بريطانيا كان هو نفسه في هولاندا حيث مرتع الصبا والشباب عبر الأجواء الملتزمة التي أحاطت بنشأة (ألما تاديما) إذ كانت حرية التفكير واختيار الأسلوب متاحا لكل فنان دون حرج أو معوقـــات ..

فنان الأشكال المرمرية

تسجيل الاحداث

احب الفنان تسجيل التاريخ فى لوحاته .. وبهرته قصص الكتب المقدسة والاساطير القديمة وشغف بالاسلوب الاغريقى الحالم كالاطياف الشفافة .. وسجل اعماله بهذا الاسلوب الفارق فى النعومة وتأكيد الملمس وإبراز التفاصيل بكل دقائقها . وشغف بالعمارة الفرعونية والاغريقية والرومانية والجدران والارضيات الرخامية المصقولة فوصل فى رسمها إلى الذروة بمهارة معجزة حتى اطلق عليه لقب (اسطورة الفن الرخامى) او (فنان الاشكال المرمرية) !

وملأ الدنيا بابداعه حتى حصل على جائزة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان اولها عام ١٨٦٤ وآخرها عام ١٩٠٦ . وهذه الجائزة الرفيعة لاتعطى إلا لاعلام الفن المبرزين . ويقولهم من امثته الهولندى (حيث ولد فى ٨ يناير عام ١٨٣٦ بقرية دروندريب باحدى مقاطعات فريزلاند الهولندية) إلا انه يعتبر رائدا فى الفن الفيكتورى الذى ساد انجلترا فى القرن التاسع عشر . وذلك بعد ان استقر فى لندن منذ عام ١٨٦٢ .

وإذا اردنا ان نتعرف على لمحات من حياة الفنان ، فسنرى عائلته ترحل بعد مولده بعامين الى مدينة (ليواردين) عاصمة المقاطعة ، وبعد عامين آخرين توفى والده وهو لم يزل طفلا فى الرابعة من عمره . وسيطر على ميول الطفل فى هذه السن المبكرة حبه الشديد للرسم ، وتحكى والدته فى مذكراتها انها كانت تربط حملا فى ساقه لتقوده فى الصبح جرا إلى المدرسة حتى لا يثنى نفسه ويجلس على ارصفة الشوارع ليرسم كل ما تقع عليه عيناه .. وكثيرا ما كان يقضى الصبى اليوم كله فى التجوال وهو يرسم ويعود منهكا مدعيا انه كان بالمدرسة ..

ومرت الايام . وشب الفتى والتحق باكاديمية (انتويرب)للفنون الجميلة ، ولاحظ اساتذته هذا الميل الجارف لرسم المناظر التاريخية ، فقربه إليه الفنان الشهير « بارون جوستاف » الذى كان متخصصا فى رسم اللوحات التاريخية والفن التسجيلى الوثائقى ، وتبع الفتى فى هذا الاتجاه ، ومن المعروف فنيا انه





● كانت أمه تربط حملاً فى ساقه لكيلا يهرب إلى أرصفة الشوارع من أجل أن يرسم !

● شغلت ساعات يومية لدراسة الآثار التاريخية واللغات القديمة

اتجاه بالغ الصعوبة والتعقيد ، ويحتاج لجهد ومقدرة واستعداد فائق . وكانت هذه الأكاديمية الهولندية تضم ثلاثة من كبار الأساتذة المهتمين برسم التاريخ ، أولوه جميعهم رعاية وتركيزا على تشجيعه وتفوقه ، وكان يقضي يوميا ثلاث ساعات مع أستاذ علم الأثريات الشهير (لوي دي لاتاي) لدراسة الآثار التاريخية واللغات القديمة . وبعد تخرجه ، أسند إليه عمل اللوحات الحائطية الضخمة لقاعة الاحتفالات الرئيسية بمدينة « انتويرب » مسجلا فيها الأحداث التاريخية الإقليمية ، وقد تعلم من أساتذته الا يهرب من التفاصيل وبدلا من ذلك يحاول أن يدرسها بكل دقائقها ، وهذه هي أصول الفن الوثائقي

● ست وعشرون لوحة عن الحياة المصرية القديمة بكل مظاهرها


صوت الربيع

الذي يروي التاريخ بكل صدقه وواقعيته !

العمل الخارق

عندما رحل الى لندن عام ١٨٦٢ ، وجد أن متحف بريطانيا يزخر بالآثار المصرية القديمة عبر عصورها الحضارية المتعددة .. وشهد رأى العيان النماذج الحقيقية من التماثيل والنقوش والرسوم البارزة والغائرة .. فوجد أنها الاعجاز الفني بذاته ومنذ أن حظي بمشاهدة تلك الآثار التي طالما كانت تداعب وجدانه وأحلامه . أوقف حياته وفنه للتعمق في دراسة الحضارة المصرية الفرعونية .. وأبدع (ألما تاديما) وعلى مدار عامين كاملين أتم معرضا كاملا عن مصر القديمة ، وعرضه في صالون باريس عام ١٨٦٤ ، وذهل الفنانون والعلماء ورواد الفكر الإنساني بهذا العمل الخارق .. وحصل على جائزة الصالون الذهبية .. وعندما سئل عن اهتمامه بالحضارة الفرعونية أجاب بقوله الشهير :

« إن الفراعنة بلغوا التفوق في إبداعهم .. وحضارتهم الأولى في الحضارة المصرية .. إنها كانت منبع العلم أو الفن في أي دولة أخرى في العالم وجدنا أن هذه المنابع ما هي إلا روافد لنهر النيل العظيم حيث تقبع مصر على ضفتيه كمنارة الهدى للبشرية جميعها ! »

اللوحة الخالدة

وأنهاه بيدع ست وعشرين لوحة ضخمة .. كان بعضها في حجم حائط كبير .. عن الحياة المصرية بكل ظواهرها ومئات أخرى من الرسوم التفصيلية لهذه اللوحات الخالدة . وفي عام ١٨٦٣ قدم إلى التراث الإنساني بحثا مدعما باللوحات والرسوم والمعلومات القيمة عن الحياة المصرية في عهد رمسيس الثاني ، مستمدا معلوماته من أساتذة التاريخ المصري ، ومن وثائق المتحف البريطاني وباقي المتاحف الأخرى .. ومن موسوعة (وصف مصر) لعلماء وفناني الحملة الفرنسية الشهيرة .

وعندما زار روما .. لأول مرة .. مع عروسه عام ١٨٦٣ ليقضي (شهر العسل) بين آثارها ، شغف بالآثار الرومانية واطلع على الوثائق والمخطوطات التي تضمها متاحف ايطاليا ، وكان لابد له من أن يسجل حياة الرومان القديمة في لوحات كما فعل قبل ذلك مع الحياة المصرية .

واشتهر (ألما) في العالم أجمع ، وصارت العواصم تهفو إلى عرض أعماله فيها .. وتعددت العروض المغرية لبيع لوحاته (وهي الآن موزعة على متاحف العالم) .

واستطاع ـ بما يدره عليه فنه من ثروات ـ أن يعيش في أرقى المستويات ، وأن يتخذ نماذج (موديلات) لوحاته من أجمل الحسان .

وعندما توفيت زوجته الأولى وخلفت وراءها طفلتين جميلتين ، استلهم منهما الفنان موضوعات شتى للطفولة ، تمثل فيها الحب والبراءة والانفعال والتعاطف .

وتزوج للمرة الثانية بفتاة رائعة الجمال ـ وهي ابنة طبيب بريطاني شهير ـ اتخذها في نفس الوقت (موديلا) للوحاته ، ولم تكتف الحسناء بذلك ، بل إن حبها للفن والفنان ، جعلها تمارس الرسم وما هي إلا سنوات قلائل ، حتى كانت تعرض لوحاتها في ركن صغير بجانب لوحات زوجها وأستاذها .

وكانت تقول عند توجيه أي نقد للوحاتها المتواضعة . الا يكفي الذي زوجة لألما تاديما ؟ ألم يكفني هذا المجد ليغفر لي هفواتي الفنية ؟!

وداع الفنان

وتعددت أعمال الروائع للفنان العملاق .. وعبر العالم بلوحاته الرائد .. وتوالت عليه شهادات التقدير والجوائز والميداليات من كل المحافل الفنية والثقافية .. وإلى أن أسلم الروح في ٢٥ يونية عام ١٩١٢ عن ستة وسبعين عاما حافلة ومثمرة .. كان وعي ما يكون الثمار ، لم يتوقف لحظة عن الإبداع في إخلاص ومثابرة دائمة .

وكانت وفاته في ألمانيا حيث ذهب للعلاج ، ونقل منها في حفل مهيب ليدفن في قبو كاتدرائية سان بول بجوار عمالقة الفن والفكر في بريطانيا من أمثال تيرنر ولاندسير ولايتون ويوينتر ومولمان هنت وغيرهم من الأعلام الذين أضاءوا بإبداعاتهم الرفيعة سماء الإنسانية .

جمال قطب

وقائع عربية

بقلم: محمد المنسي قنديل
رسوم: جمال قطب

الحيرة.. أغنية العشق والشعر والهوى



● كانت حقلا من شقائق النعمان على حافة الصحراء.. وقبر الشعراء
● كل ملوكها كانوا الملك النعمان.. وكل أيامها يوم للبؤس ويوم للنعيم

(كانت هناك مدينة لم يبنها أحد .. ولم يسكنها أحد .. وعندما اندثرت لم يبق منها على الرمل أثر. كانت مدينتي، وكان اسمها الحيرة .. وكانت شيئا ما .. بين النبوءة والتكوين .. بقعة من ضوء الشمس وهواء النهر وقطرة من دم شاعر .. وحلم كالسيف.. ولم أكن متأكدا أهي مدينة .. أم مجرد حلم عابر ..؟!)

حتى يبقى السر محفوظا

على سورها .. أحدث العرافة يدي .. وجرحت أناملي .. وقالت انتظر. فلم أنتظر. كان الملك النعمان يبني قصره .. الخورنق .. على أضلاعي المرتعشة .. وجاء مهندسه .. سنمار .. فقسم الأرض وحاصر الأنهار المتفرعة في المدينة كأصابع اليد .. ثم رص الأحجار .. أقام أولا السجون والأقبية وغرف التعذيب .. ثم سوى الأرض وبنى خزائن المال ومستودعاته ودروعه وضحاياه .. ثم سوى الأرض .. وزرع الميادين بالأعشاب الزاهية الألوان كأنها حلم داخل حلم .. ثم بنى ثكنات الحرس ومخازن السيوف والدروع .. وبنى الجناح الشتوي ووضع سقف الثلج على النوافذ .. وبنى الجناح الصيفي وأجرى النهر على عتباته .. ثم بنى قاعة العرش وأحاطها بالدهاليز والأبواب الواطئة لتدخل منه كل الوفود وهي منحنية وكان على الملك النعمان أن يدخل قبل الجميع حتى لا ينحني أمام أحد .. ثم ذهب .. سنمار .. إلى الملك وقال له في خبث طفولي .. هنا سر في القصر يا مولاي .. وتعب الملك في صعوده بجهد شديد ومكة .. ما هو السر يا سنمار .. فسار معه إلى السور الشاهق .. وأشار إلى أحد الأحجار وهو يقول .. هذا الحجر يا مولاي هو محور القصر إذا نزع من مكانه انهارت كل أحجار القصر .. وأبدى النعمان دهشته من براعة مهندسه .. ووعد أن يكتم السر ثم دفعه بحركة رشيقة ليهوي محطما من فوق السور ويبقى السر محفوظا .. ومن هذه البداية الهزلية .. بدأت رحلتي إلى الحيرة.

ضحكت العرافة ضحكتها الدامية في الرمل وقالت انتظر .. فلم انتظر .. وأقبل الشعراء في نفس الميعاد ووقفوا بباب الملك .. ستة وعشرون ملكا توالوا على هذه المدينة .. ولم يعرف عدد الشعراء الذين رحلوا إليها وكيف انفلتت أمامهم وسط الصحراء فرأوا فيها السراب والفلاة والحلم .. فوجدوا ملوكها في شكل واحد هو الملك النعمان .. به تبدأ وإليه تنتهي .. واختصروا أيامها في يومين .. يوم للبؤس .. ويوم للنعيم.

كل واحد رآها كما لم يرها الآخر .. وعندما عادوا إلى قبائلهم .. أعني الذين استطاعوا أن يعودوا .. وصفوها بطريقة مختلفة .. شكلوا من أحلامهم البيض بيوتها ويجري النهر في شوارعها .. وهمس العشق في مقاهيها وقالوا .. يوم في الحيرة خير من ترياق النطاسين .. وطيب هوائها ولثغاتها [illegible]

[illegible]

قومه قلبيا إلى هذا المكان وبنى المدينة على حافة النهر .. ووضع الطلسم على بواباتها من يدخلها لا ينساها .. لأن النهر فيها أعذب من كل الأنهار .. والنساء فيها من أجمل النساء .. أهذا هو سر سحرها الأثير .. أم أن الذي بناها هو الملك بختنصر ملك آشور عندما هاجم القبائل العربية التي تسكن في جنوب العراق ونكل بهم وكان الأسرى أكثر من أن ينقلهم إلى مدينته فوضعهم وأقام حولهم حصنا على رأس الحراس .. ومرت الأيام فاختلط الأسرى بالمأمورين .. وتحول السجن إلى موطن .. وبقي في أعماقها إحساس الأسر .. أم أن المدينة كانت ثمرة التيه في الصحراء عندما خرج .. أردشير .. أحد ملوك الفرس قاصدا بلاد اليمن .. وكان عالما بالطرق والمسالك وظل يسير حتى وصل إلى هذه البقعة فاختلط عليه كل شيء .. وتحير .. ولم يعرف إلى أين يمضي وكيف يعود .. فتقر في مكانه .. وبنى بيته .. ومدينته .. واكتفى من رحلته بالحيرة .. أيا كان الأمر .. سواء كانت المدينة سحرا أو سجنا أو تيها في الصحراء .. وسواء اشترك في بنائها السحرة والأسرى والملوك .. فقد كانت مدينة غريبة بناها كل الذين زاروها .. ووضع فيها كل واحد شيئا ما .. فجاءت من داخل الجميع.

ثم جاء الملك النعمان .. سوف نختصر فيه كل الملوك لأنه الوجه الآخر للمدينة .. جاء والحيرة بلا ملك .. ورقيبها .. عدي بن زيد .. كاتب كسرى ومستشاره .. ولو شاء لكان ملك الحيرة .. ولحمله الناس على الأعناق .. ولكنه كان زاهدا في الملك محبا لأزرقات الحياة البسيطة .. وكان يريد النعمان ملكا .. وسار أولاد المنذر بن ماء السماء إلى المدائن ليختار منهم كسرى الملك .. ونصح عدي .. النعمان .. خلسة وقال لهم .. إذا دخلتم على كسرى فالبسوا أفخر ثيابكم وأجملها وإذا دعا لكم بالطعام فتمهلوا في الأكل وصغروا اللقم .. فإذا قال لكم أتكفونني العرب فقولوا .. نعم ولكن بعضنا لا يقدر على بعض .. ليهابكم ويعلم أن العرب منعة وبأسا .. وكان للنعمان معه شأن آخر .. ثم دخلوا جميعا في أبهى ملابسهم على كسرى إلا النعمان بوجهه الدميم الأبرش وشعره المتوهج .. دخل بثياب السفر البدوية متقلدا سيفه .. وعندما دعا كسرى بالطعام عظم في اللقم وأسرع المضغ والبلع .. كان قد تحوط قبلها وجاع طول اليوم .. فلما غسلوا أيديهم استدعاهم كسرى رجلا .. رجلا .. فيسأله .. أتكفيني العرب .. فيرد عليه .. نعم إلا أخوتي .. حتى انتهى إلى آخرهم النعمان فسأله .. أتكفيني العرب .. قال نعم .. قال كيف لي بإخوتك ؟ .. قال إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز .. وبدا واضحا أنه لا مجال للمقارنة .. وتمت المكيدة كما أرادها عدي .. ولبس النعمان تاجا مرصعا باللؤلؤ وعاد إلى الحيرة ملكا.

لعنة كل الشعراء

دخل كل الشعراء إلى المدينة .. ولم يبق إلا أنا لجانب العرافة .. وعبيد بن



الأبرص حتى يطالب النسور معلقوا في مراسم صوفي وبجانبه امنه ماوية .. سألته :

ـ أين تدخل الحيرة يا عبيد ؟

حدق في وجههم .. لم يجن وقتي .. لم يجن وقتي .. نظرت بطرف عيني إلى .. ـ ماوية ـ .. عينان كحلاوتان واسعتان .

ولكن عبيد لن يرحمني .. كان راعياً فقيراً لا يقول الشعر .. وسمعه سيد قوي من .. باهلة .. عن ورود الماء .. اشترط أن يأخذ ابنته مقابل رعي الغنم .. وكان عبيد أضعف من أن يقاوم فترك أغنامه وهرب هو وأخته في الظلام .. ولم يكن هناك أي ضمان ألا يطمع سيد آخر .. ويبدأ كل الآلهة أن تهبه أي قدرة على المقاومة .. ونام في ظل شجرة نباتات الطباق .. عقر .. ووضعت الشعر في فمه .. ونهض فإذا هو أشعر العرب .. وبلق عصاه في الرمال وعاد إلى قومه .. تحول من راع إلى سيد .. وتحولت علو اسم من قبيلة نكرة إلى قبيلة شريفة النسب والمجد .. ثم جاء إلى الحيرة .

كانت لعبة الشعراء قد بدأت .. وفتح القصر أبوابه .. وخرجت الخيول النادرة والحيوانات الملعقة .. والملوك والوزراء وخرج القوافل والمغنيات والنخاسون .. والقرنقل والبهارات ويمضي شيوخ القبائل من الفرس .. والتى الروم وضة رهبان لا يتبعون أية ملة .. ومساحة اكبر ماحول في الحيرة .. وكبير الكهان .. ويمضي نساء الأشراف جنباً مع عبيدهن المخصوصين ومقبلون من قطاع الطرق ومنجمون من بابل .. ويهود يتاجرون في الأسلحة المهربة ورجال كانوا يسعون للمح فتاهوا .. ونسوا يمضي الرحلة المهرة وكانت الشمس مثل أيمونة جافة حادة ومتحجة .. وتحين الشعراء باليوم الحقيقي .. وبعدت الأبواق تعلن بدء اللعبة .. وصاح الملك النعمان .. هيا .. فركضت الخيول الجامحة .. وزأرت الوحوش .. وتعرق الشعراء كورق التين .. وجاءت ـ المتجردة ـ زوجة الملك .. جسدها مغطى بقطع الحلي الذهبية المطعمة بالأحجار الكريمة .. في كل ما يجري بعيون واسعة .. كان اللعبة بكملها تدور داخلها يصرع عنترة بن شداد وهو يلهث حائراً .. بأمولاي .. طالب صباحك .. وأهلي قد قالوا أريد مائة من النوق الحمر .. وضحك الملك .. ـ أيها العاشق الأحمق .. أي امرأة في

العالم لا تساوي ناقة واحدة .

وانهالت السياط على عنترة .. كان شجاعاً ولكنه كان خائفاً .. ولم يفهم أصول اللعبة على الإطلاق .. وعندما باع روحه ذات لحظة غامضة .. وظفر بالنوق وعاد إلى بني عبس .. وجد عبلة قد ملت الانتظار وهربت مع أحد السادة .. وسافر خلفها ليستردها .. فوجدها قد أصبحت بحضن إراءتها .. وذبح النوق الحمر عفرت دماؤها الصحراء .. ولم يهبط سوى الغربان .. تركوا له جثة هيكل عظمي في كل أطلال حبه .

ذلك الشاعر الأسود المغرور .. لم يفهم أبداً لعبة السادة .. شاعر آخر فهم اللعبة هو ـ المنخل اليشكري ـ عندما وقف أمام عيني المتجردة .. وأدرك أن الشهوة هي نحلته الوحيدة .. يراجعه النابغة الذبياني .. كان موهوباً كمثاً مغروراً حمل الشعر في قلبه

وعبر به الصحراء .. ولكن المنخل لم يرحمه .. دفع به وسط السلحة تحت أقدام الملك الذي صاح :

ـ رائع يا منخل .. سوف أقتل النابغة وأبقيك بجانبي في قصري .. وبجلس التي برحلة صيدي .

وابتسمت المتجردة .. كانت قد ظفرت بعشيقها حتى موعد اللعبة القادمة .. وكان طرفه بن العبد يتابع الهوال .. حتى النفس من بداية اللعبة .. هجا الملك ولم يعد له أمان .. ولم يهج الملك النعمان على أي حال .. ولكن يكفي أن يهجو ملكاً واحداً ليطالبه كل الملوك بالقصاص .. أعطوه رسالة وقالوا له اذهب إلى عامل البحرين ليعطيك مكافأتك .. فقرأ العامل الرسالة وقتله .. أعطوه خاتماً وقالوا اذهب إلى خوله فاسترد قلبك .. وفقد الخاتم وذهب إلى خوله فقتلته

أعطوه نجدا وقالوا التفت إلى قومك بملكوتك .. فذهب إليهم بلا بيت فقتلوه. وضحك الملك من براعة النكتة .. والتفت إلى .. المتجردة .. ليضمها إليها ولكنها كانت قد اختفت مع النخل .. وتواصلت اللعبة .. كان الحارث بن ظالم المري يبحث عن ثأر أبيه .. وكان يتربص النعمان من البعيد وثأرها في مراوغة الوحوش الجائعة .. وظل يدور طليقا في الساحة الواسعة .. وشعر الملك بالقلق .. فأمر الحراس أن يهاجموه وأن ينهوا اللعبة ولكن الحارث راوغهم أيضا واشترى سيفا من مكان مجهول وقتل عددا منهم .. وهاجم الملك يريد أن يخنقه .. وأسرع الحرس يفتدون مليكهم .. وبدأ كأن اللعبة ستتحول إلى كابوس فانفض المهرجان قبل نهايته.

انسحب الملك إلى قصره .. وانطفأت الشموع .. كان له نديمان .. خالد بن المضلل وعمرو بن مسعود .. لا يتركانه .. كان في حاجة ملحة لمن يدير العقل عن سواليها .. في مجلس الأنس كانا يعرفان حضرته بالعادة وفي الضيق يمسكان الدرع لترشفها بينهم .. ويبرزان عجزه أمام المتجردة كل التبريرات المقنعة .. كانا نديمين مثاليين لا يستطيع ملك أن يستغني عنهما .. كان الملك هذه الليلة متوترا واحضر الخدم كل ما في القبيلة من شراب .. ورغم أنه لمح المضلل والمتجردة إلا أن النديمين أكدا له أنه لم يلمح شيئا .. وشرب ولعن كل قبائل العرب والفرس والروم .. ووافقه النديمان .. ولعن كل نساء الأرض وأقسم أنه ولا واحدة منهن في القلب منه .. ووافقه النديمان .. ثم بدأ يقول الشعر .. وكان الشراب قد أثقل رأسي النديمين .. فقال ابن المضلل عن رأيه فلال عن صوت حليم:

- لم أسمع شعرا أردأ من هذا أبدا!

وفتح الملك فمه مذعورا والتفت إلى ابن مسعود الذي جمد في مكانه ..

- كف عن هذا الإشعار السخيفة يا مولاي .. أنت لست شاعرا ..

وصرخ الملك .. خيانة .. مؤامرة .. طار الشراب المعتق من رأسه .. وجاءت المتجردة مسرعة .. ورتبت المجلس ثيابه .. واستدعى الملك الحرس وأمرهم أن يدفنوا نديميه وهما أحياء .. ومرت الليلة على خير.

ولم يفق الملك إلا في الصباح .. وأخبر الحرس أن يستدعوا له نديميه المخلصين .. فقادوه إلى الحفرتين .. ووقف مذعورا .. هل الذي فعل هذا .. لابد أن هناك مؤامرة أخرى .. وشعر الملك بالحزن .. بكى بدموع حقيقية .. وأمر فبنوا على كل قبر نصبا عاليا .. وأقسم أن يمر بينهما كل وفود العرب الداخلين إلى الحيرة .. وجعل في العام يومين .. يوم النعيم .. من دخل الحيرة فيه قدم له مائة من النوق السود .. ويوم للبؤس .. من دخل فيه ذبحه ولطخ بدمه النصبين .. وعندما نهض عبيد بن الأبرص وأخته .. تلويت ودخل المدينة كان هذا يوم بؤس الملك.

أين يوم النعيم ؟

كانوا من أنصار الملك والقضاة (الحكام) من أشرف حقيقة [illegible] [illegible] [illegible] قال النعمان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قال عبيد بن الأبرص [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وخلك من ليس عناك .. فسارت مثلا .. قال النعمان .. قد أملتني فارحني .. قال .. من عزيز فسارت مثلا .. قال النعمان .. أنشدني .. أقفر من أهله ملحوب .. قال .. أقفر من أهله عبيد .. فليس يبدي ولا يعيد .. وضرع النعمان بالغيم .. وبعده النشدني قبل أن اذبحك .. قال .. والله إن مت لما ضرني وإن عشت ما عشت في واحد .. هتف النعمان .. لابد من موتك .. لو جاء أبي ودخل الحيرة في يومي هذا لذبحته .. فاختر طريقة قتلك .. إن شئت الأكحل وإن شئت الأبجل وإن شئت الوريد .. قال عبيد .. ثلاث خصال كسحابات عاد واردها وارد وحاد غير حاد وبعادها شر معاد ولا خير فيها لمرتاد .. وإن كنت لا محال قاتلي فاسقني من الشراب حتى إذا ماتت مفاصلي وذهلت ذواهلي فشأنك وما تريد .. وأمر له النعمان بحاجته من الشراب حتى أخذت منه .. وطابت نفسه ودعا به فقصد بدمه .. ولطخ به النصبين .. ومضى يوم بؤس الملك كما يمضي كل عام ..

لم تكن الحيرة تنتهي .. ولا النعمان ملكي .. كنت حائرا فيها لا أعرف متى تبدأ الثروة وإلى أين تنتهي الكوابيس .. قالت العرافة في الحيرة أن الآخرين عشقها صنعت وقراءتها صنعت .. وأنا أبحث في أزقتها .. هنا جائلا .. وهنا قصر .. وهنا قصة عشق .. وهنا حادثة اغتيال .. وما بين هؤلاء شتان زهور شقائق النعمان .. قالت إلى العرافة .. لا تفكر في الحيرة .. نسيها إنها ليست مدينة .. إنها حالة من الهوس والعشق والجنون والنشوة .. فقدت النعمان ورقصت في الساحات وطاردت الجواري ونافست قليلا من رمل الصحراء العالق به لم يبق إلى إلا أمنية واحدة .. المتجردة قلت للعرافة .. يوم واحد من أيامها .. وقبل أن أسمع أي إجابة رأيت خدم الملك وهم يحملون جثة المنخل إلى حافة النهر .. لقد اكتشف الملك الأمر .. ويقر المتجردة ولكنه لم يغفر للمنخل.

رأس طريق فرعي .. لأقابل الملك النعمان .. وكان يبكي على قبر آخر وكانت دموعه حقيقية أيضا .. قلت له:

- ابتدأ اللعن .. على مصاحك وأهلي .. قبر من هذا؟

قال النعمان في أسى:

- هذا قبر صديقي وصفي يحيى .. قاتل أنا دوننا .. الخطأت فقتلته ..

قلت بمرارة:

- ما أكثر أخطائك يا مولاي.

- ماذا أفعل وهذا دأب الملوك .. يقتل أولا بدافع السلامة ثم يفكر بعد ذلك من باب اللياقة.

ثم جلس مهدودا بجانب القبر .. وأدركت فجأة .. أن بين هذا القبر بدأت نهاية النعمان .. وأنه يحفر لنفسه من هذه اللحظة قبرا مجاورا!

حتى تكتمل الدائرة

منذ أن صعد النعمان على عرشه بمساعدة عدي .. وقد بدأت متاعبه .. يتوقع الملك القادم بتخيله وزراء في كوابيسه ويسمع المستحيل ليمنع قدومه .. لم يكن عدي في حاجة للتحريض عليه .. كان بسيطا كثير الشك .. وعندما سعى الوشاة لم يكن من الصعب استغلاله ووضعه في السجن .. وجاء رسول كسرى لينقذه فأسرع النعمان

وخنقه داخل السجن.. وتظاهر بالبراءة الشديدة وشيع الهدايا للرسول ليعبر الأمر كأنه حادث عابر.

ثم بدأت تقوى النيم للعماني.. يتي القبر.. ويذرف عليه الدمع.. وظل يبحث عن طريقة للخلاص.. حلا الحيرة بأشباح القتلى لدى شبح عدي يختفي بينهم.. ثم خرج في احدى رحلات الصيد ورأى – عدي – لم يكن شبحا.. كان طفلا صغيرا.. حين وقف أمامه مدهوشا.. قال الطفل.. أنا زيد بن عدي بن زيد.. أنا ابن الأيام.. أيتها الموازين القاتلة.. سمعت عينا الملك اكتشفت دورة الندم.. سوف يكون الولد كما كان أبوه.. بلا أخطاء قاتلة.

ورحل زيد إلى كسرى بتوصية من النعمان.. كأنما كان يمضي بالسيف المظلوم للمجد.. ويجري النهاية التي تنتظره.. وزيد يكبر.. ويزداد اقترابا من كسرى ويحمل ثأر أبيه المغدور به في صدره.. طائر عطش جريح.

وكان لملوك الفرس صفة من النساء مكتوبة عندهم يبعثون في طلب من يكون على هذه الصفة من النساء.. إلى أن حملت الكسرى.. ولم تكن تطلب في بلاد العرب ولا يظنونها عندهم.. وكان هذا العام قال زيد لكسرى:

– أنا عرفت الصفة وإني عارف آل المنذر.. وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة.. وتحمس كسرى لفكرة النساء العربيات.. وحذره زيد من أن النعمان قد يرفض مشاغبا.. وسار زيد ورسول كسرى إلى الحيرة.. ووقفا يقرآن على النعمان صفة المرأة التي يريدها كسرى: (معتدلة الخلق.. نقية اللون والثغر بيضاء.. قمراء.. وطفاء.. كحلاء.. دعجاء.. حوراء.. عيناء.. قنواء.. برجاء. أسيلة الخدين.. شهية المقبل.. جثلة الشعر.. عظيمة الهامة.. بعيدة مهوى القرط.. عيطاء.. عريضة الصدر.. كاعب الثدي.. ضخمة المعصم.. لطيفة الكف.. سبطة البنان.. ضامرة البطن.. خميصة الخصر.. رابية الكفل.. لفاء الفخذين.. مشبعة الخلخال.. قطوف المشي.. مكسال الضحى.. بضة المتجرد.. رقيقة الأنف.. عزيزة النفس.. لم تغذ في بؤس.. حيية.. رزينة.. كريمة الخال..)

ولم يدعه النعمان يكمل.. هذه أوصاف امرأة خيالية.. والحيرة مليئة بكل شيء إلا الخيال.. قال الرسول:

– المس في – فارس – طلب الملك حتى يطلب مني.

وتظاهر زيد بفهم الموقف.. ولكنه نقل صورة عكسية لاعتذار الملك.. حملها الرسول معه وعاد زيد آسفا.. فقال لكسرى:

– كنت قد أخبرتك يا مولاي بجشعهم ومساومتهم عن غيرهم.. إنهم يختارون الجوع والعري عن الشبع والرياش.. ويختارون ريح السموم عن طيب أرضك.. بل ويسمونها السجن.

ولم يتصور كسرى أن النعمان يجرؤ على رفض طلبه.. وعندما عاد بقية الرسل قائلين إنهم لم يعثروا على امرأة واحدة بهذه الصفة.. تضاعف ذنب النعمان.. وصاح بشدة..

[illegible]

[illegible] وكتب الشعراء قليلا ثم فروا.. وجمع النعمان أمواله وسلاحه وانتظر حتى سار الظلام ثم فر من الحيرة

ضائع بين القبائل

هرب من نفس الطريق الذي هرب منه الجميع من غضبه.. واستقبلت نفس القبائل.. ونفس الرد.. ذهب إلى جبل طيء.. كان متزوجا منهم وتوسل إليهم أن يحموه.. ولكنهم قالوا:

– لولا صهرك لقتلناك.. لا حاجة لنا في معاداة كسرى.

وعاد إلى الصحراء.. بين كل القبائل التي طالما سادت له وفودها.. تقدم الطاعة وتطلب الرضى.. أبيت اللعن.. طاب صباحك وأهلي فداؤك.. بنو عبس رفضت وأسد طردته قبل أن يحط المضارب.. وذبيان سرقوا دروعه.. وغطفان أكرمته ليلة واحدة ثم طلبت منه الرحيل في الصباح.. طاب صباحك وأهلي فداؤك.. من دخل الحيرة فهو آمن.. لا سيف يرفع.. ولا ثأر يقال.. الكل في حماية الملك.. والملك في حماية من ؟

ذهب إلى ذي قار.. بني شيبان وصديقه الأخير هانئ بن مسعود وبعد تلك الطوفان.. الموجي وقف الموقف بعد.. أجاره هانئ ولكنه قال له:

– أنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه.. ولكن ذلك لا ينفعك لأنه مهلكي ومهلكك.. وعندي رأي.. أن جسست القوة لأنسبك.. غير.. وذلك الصواب..

وارتعش النعمان.. وواصل هانئ:

– كل شيء يمكن أن يكونه الرجل.. إلا أن يكون بعد الملك سوقة.. والموت نازل بكل أحد.. ولأن تموت كريما خير من أن تتجرع الذل أو تبقى سوقة بعد الملك.. هذا أن تمضي.. تمضي إلى كسرى وتحمل إليه الهدايا ومالا وتلقي نفسك بين يديه.. فإما أن يصفح عنك وتعود ملكا عزيزا.. وإما أن يصيبك الموت.. خير لك من أن يتلاعب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها وتأكل مالك.. وتعيش فقيرا.. أو تقتل مقهورا!

كان هناك حل آخر.. ضاقت الدنيا ولم يعد له سوى الأمل في المدائن.. إنه الآن محكوم عليه بالإعدام دون أن يعرف السبب.. أو عرف.. هل يمكن أن ينجو..

وحمل الهدايا.. والأمل إلى المدائن.. وعندما دخل سورها وأحاط به الأكاسرة ورأى زيد بن عدي.. أدرك أنه لم يحمل إلا الأمل الكاذب.. كأنما نهض عدي من قبره مطالبا بالقصاص.. وزيد يقول له في سخرية.

– انج بنفسك إن استطعت النجاة.. قال بمرارة.. أوفعلتها يا زيد.. أما والله لئن عشت لأقتلنك قتلة لم يقتلها عربي قط.. ازدادت سخرية زيد.. امض لشأنك يا نعمان.. فقد [illegible] لا يقطعها المهر الشارد.

غريبة هي المدائن عندما تأتي إليها مطرودا.. كسرى غاضب لا يسمح بالإيضاح ولا بالتوسل.. وفيلة هم الأكاسرة.. هم يقودونه إلى السجن.. لماذا أجل قتله مادام قد بيت النية على ذلك؟

كان السجن في مكان موحش خارج المدائن لا يوجد على أسواره حراس.. بوابة ضخمة وقبو مظلم.. ادخلوه فقط من الباب ثم عادوا هاربين.. وسار وحده في سرداب طويل رطب.. وسمع أصواتا غريبة كقرض الفئران.. وصوت أنين غامض.. ثم صوت



صحيح بانت واهي كآبة ملكاء .. ما على هنا ؟
ــ أيها القادم التعس مرحبا بك بيننا
في البداية ستتعب قليلا .. ثم تتعود .. ثم تعاني .. ثم تموت
والتفت في ذعر .. لم يعرف من أي اتجاه كان الصوت قادما .. صرخ
ــ لا أستطيع الاستقرار .. من أنتم ؟

قال نفس الصوت في مرارة
ــ نحن الغرقى المسحورون .. والطافي لا يفرق بين الغلك والعسل
كانت الجزيرة تغادر هي أيضا من طاغوتها البائس .. والصحراء ترحف إليها والعدو أول من نفر .. والرجل يتذكر كل كبرياء العاشق والهوى والحنين وقيل

الشعراء ومغاني الجواري والمهر يتباهى بعدوا .. يشق له مجرى آخر .. يترك الحلم قريب للصحراء التي لا ترحم .. السموم الرمل .. كما كان .. وكما سيكون .. ثلاثا فالوداع .. الوداع أيتها الجزيرة الغريبة لعلي ألقاك ذات مرة .. وأعشقك من جديد

محمد المنسي قنديل

دفاع عن رجل محترم لأسباب لا نود الكشف عنها!

عبد الوهاب الأسواني

اذا فتحت الصحيفة او المجلة رأيت صورته ، واذا مددت يدك الى مفتاح المذياع سمعت صوته . اما اذا فتحت التليفزيون فستجده امامك (شخصيا) يتكلم عن نظريته في علم الاقتصاد التي وضعها في ثلاثة مجلدات كبيرة ، واستغرق في كتابتها خمس عشرة سنة ..

المتخصصون في علم الاقتصاد قرأوا المجلد الاول فقط ، ورفضوا تكملة القراءة بحجة ان « النظرية » لا ترقى الى المستوى المطلوب .. لكن اقاربه واحبابه قالوا ان خيال علماء الاقتصاد المحدود - باعتبارهم من نتاج عصور الضعف - لا يستطيع ان يحلق الى المستوى الرفيع الذي بلغه « الاستاذ » ومن ثم كان الامر يحتاج الى فترة طويلة من الزمن حتى يظهر جيل جديد من علماء الاقتصاد يستطيع ان يقيم فتوحاته في هذا المجال ..

يستدرك اقاربه بأن الجيل القادم نفسه لن يستطيع ان يعرف ما استغلق على فهم المعاصرين ، حيث انه نتاج للجيل الضعيف الذي سبقه ، ومن هنا فلا امل ايضا في الجيل الذي يليه لانه سيكون نتاج هؤلاء ، وهلم جرا حتى قيام الساعة !

واحد من علماء الاقتصاد الشبان قال بلهجة غير مهذبة : ان « الاستاذ » لم يقدم للمكتبة العربية صفحة واحدة ذات قيمة في علم الاقتصاد ..

لكن اقارب الاستاذ - واحدهم رجل اعمال يملك الملايين ويفهم في الاقتصاد ، قال : ان هذا الحكم الذي اصدره العالم الشاب غير منصف لان كتب الاستاذ في علم الاقتصاد منتشرة في جميع انحاء العالم العربي ولولا وجودها - كما يؤكد رجل الاعمال بحكم تخصصه - لحدث خلل في اقتصاديات المنطقة ، فهي اوراق كتبه التي ساعدت بالدور الكبير المطلوب - اثناء ازمة الورق التي المت بالمنطقة في جوانيت الشرق الاوسط - ولولاها لتعرضت البلاد الى هزة اقتصادية لا يعلم مداها الا الله ..

بل ان السيد رجل الاعمال المحترم يؤكد ان المسألة لم تقتصر على البلدان العربية فقط ، بل امتدت





شرقا حتى جوانيت الواسط اسيا ، الامر الذي ساعد على رواج (الثقافة) العربية في هذه المناطق البعيدة ..

عالم شاب آخر من علماء الاقتصاد ، قال انه تذرع بصبر أيوب وقرأ المجلدات الثلاثة ، فاكتشف ان المجلد الاول يدعو الى نظرية معينة في الاقتصاد السياسي ، والمجلد الثاني يدعو الى نظرية ثانية ، بينما يدعو المجلد الثالث الى نظرية جديدة مخالفة ..

يستطرد العالم الشاب بلهجة تهكمية لا تليق بالعلماء :

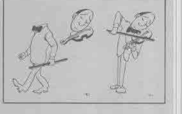
معنى هذا ان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسية ثلاث مرات خلال الفترة التي كتب فيها مجلداته التي اطلق عليها اسم (نظرية) ..

ورد على هذا الكلام رجل الاعمال - الذي نجله ونحترمه بسبب « المعطيات » التي يطرحها في براهينه - بقوله : ان « الاستاذ » بطبيعته فنان .. ومعروف عن الفنان ان داخله يهتز بسرعة امام المؤثرات الخارجية ، ومن هنا فان مسألة تغيير العقيدة السياسية لم تحدث الا نتيجة (النبوغ) الذي جاءه على ثلاث دفعات ، فاحدث في داخله ثلاث هزات « ايديولوجية » من النوع « العميق » ..

ويضيف رجل الاعمال الفاضل الذي يحتم علينا ان ننظر الى







شهادته بعين الاعتبار لاسباب تتعلق بنا شخصيا ولا نرى انفسنا مطالبين بالكشف عنها :

اذا كان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسية حسب مقتضى الاحوال ، فان هذا يدل على انه قابل للتطور .. فالرجل الجامد وحده هو الذي يثبت على مبدا واحد ..

ثم ضرب رجل الاعمال المحترم مثل بنفسه فقال : انه عقد ذات مرة صفقة تجارية ضخمة مع شركة ايطالية ، ثم عرضت عليه شركة امريكية منافسة صفقة لها ميزات مالية افضل ، واشترطت عليه ان يلغي اتفاقه مع الشركة الايطالية .

فلم يتردد في ان يفعل هذا .. بالرغم من ان الشركة الايطالية قد هوت الى الحضيض لهذا السبب ..

هذا ما يقوله اقارب « الاستاذ » وعلى راسهم رجل الاعمال الذي تبناه ونحترمه ..

اما ما نقوله نحن شخصيا على ضوء « المعطيات » التي « اعطانا » اياها السيد الفاضل رجل الاعمال والتي نحتفظ بحقنا في عدم الكشف عنها لاحد .. فهو ان الاستاذ - كما نعتقد - رجل فنان .. والفنان - علميا - هو حلقة من ثلاث حلقات في سلم التطور البشري التي تضم « الفنان » و « المفكر » ورجل السياسة .

ومعروف عن الفنان انه يملك « قرون استشعار » بحكم موهبته ، ومن هنا كان مهمته ان « يستكشف » ومهمة المفكر ان « ينور » ما سبق للفنان ان استكشفه .. اما رجل السياسة ، فان مهمته ان « يطبق » ما ينوره المفكر ..

وبناء عليه ، فان « الاستاذ » قد غير عقيدته السياسية طبقا لقرون الاستشعار هذه التي رزقه الله بها .. فما ان يستكشف ان اتجاها سياسيا ما سوف يسود خلال السنوات القليلة القادمة ، حتى يستعد فورا ويضيف مجلدا جديدا الى (النظرية) يلغي فيه ما جاء قبله .. ولهذا السبب فانه يستعد الآن لاعداد المجلد الرابع على ضوء (المعطيات) الجديدة التي ظهرت في الافق مع ارتفاع سعر الذهب !

جبران.. والمرأة

نبيلة الحيدري

لقد اسهب كل الذين كتبوا عن حياة جبران خليل جبران وتدارسوا أعماله الأدبية والفنية في الحديث عن المرأة في حياته وأعماله، وافردوا لها حيزا رحبا كانت لهم فيه بحوث عديدة انبثقت جملة من الآراء المتناقضة عبر محاولات في الاجتهاد والتأويل والادلال بالحجة القاطعة التي تقول بشخصية سوية يمارس علاقاتها بها بطبيعية أو تقول بشخصية مرضية تستبطن خباياها النفسية، ويفيد مصادر البحث في ذلك كله تعتمد مجموعة رسائله الى صديقاته وبعض تصريحاته وتلميحاته في مجالسه الخاصة وبعض ذكريات من تعرفوا اليه وما نشروه في كتبهم عنه كميخائيل نعيمة وبربارة يونغ ويبقى الاختلاف الى تلك المصادر ويذهب في اتجاهين متناقضين ما بين من يترسم بها اساسا مسالك ومسارب سيرته الذاتية، وبين من لا يرى في رسائله وتصريحاته تلك غير ضرب من احلام اليقظة التي يهرب بها من ماضيه وواقعه، أو يلجأ اليها بكثير تصميم وسيلة لاثارة الحديث عنه والتنبيه اليه تحت وطأة شعور بالنقص يغلفه بأناقته المفرطة والكلابيه البيض وانها تفتقر إلى الصدق والامانة، وربما كان ـ إن أحسن الظن بها ـ على مثل ذلك الاعرابي الذي وصفه في حديث له مع ماري هاسكل قائلا: (لو سألت واحدا من ابناء العرب ماذا تحشيت...) لربما اقتصر على البطاطا والفول... ان الرجل لا يقصد الكذب، لكنه يريد ان يتهرب من الجواب وان يبين للسائل كرهه للفضول وعدم رغبته في عرض احواله الشخصية)

ويأخذ الحديث عن جبران بعدا جديدا عن فيلم سمي له واحد ابناء عمومته واسمه (جبران خليل جبران) بالادلاء بكثير من المعلومات الجديدة عنه إثر تفرغه لفترة طويلة لدراسة حياته وجميع مخطوطاته ورسائله والاتصال بمن بقي حيا من معارفه او ابنائهم وبأثر من ذكرياته عنه وذكريات شقيقة جبران (ماريانا) التي (كان يخجل من أن يظهر مع شقيقته أمام الناس لانها أمية) ، فهو ينكر الكثير مما قيل عنه ويماروه أسندقاوه المقربون اليه كميخائيل نعيمة (لم يكن يعلم أي شيء عن جبران ولم يذكر في كتابه) ... التي ... جبران ... جبران ... ميخائيل نعيمة ... كان ... اليه ... استنتاجات كثيرة في مواجهة كل ما قيل عن علاقاته بمن عرف من النساء وتجلى واسطهن ماري هاسكل التي كان شديد الحرص على استمرار علاقته بها كعلاقة خالية من أية شائبة فهو يخشى أن يفقد مساعدتها المادية (فيما لو قامت بينهما علاقة تفوق علاقتهما الادبية) وانه بالاموال التي كان ينتزعها منها ابتزازا يدفع عن ثيابه واناقته لحب كان المتفاقم في عجب من امرها فيقول احد الفنانين الذين عاش معه في بناية واحدة (لم يكن هو وإياه نحن معشر الفنانين من أين كان مثل يأتي بالمال، كان دائما انيقا بل بالغ الاناقة بينما كنا نرتدي ثيابا رثة قديمة، كان يرتدي المعاطف الجميلة والقبعات الحديثة ويحمل عصا لماعة وكل هذا يحتاج إلى اموال. كنا نتساءل من أين يأتي بالمال؟) ويجيب ابن عمه على هذا التساؤل بقوله

● [illegible]
● لم يكن أحد من أصدقائه يدرك من أين كان يأتي بالمال الذي ينفقه ببذخ!
● [illegible]
● تصريحات عديدة في رسائله خاصة ما يتصل بماري هاسكل

● لماذا تحرّر من أوسكار وايلد بعد أن اطلع على سيرة حياته؟

(كانت ماري هاسكل تعطيه كل شيء فيعتقد الناس انه ثري كبير من الشرق - كان ينفق من الخمسة الاف دولار التي اعطته اياه ماري بينما هي كانت تأكل فضلات الطعام التي تجمعها من منزل عائلة [illegible] الثرية بينما جبران كان ينفق اموالها في نيويورك) [illegible] - بل وكان يقامر (ويغش في اللعب أحيانا) . ويذهب هذا الذي [illegible] الى ابعد من ذلك مما ينال من سمعته الأدبية ، عندما يزعم بأن لماري هاسكل الفضل الأول فيما اشتهرت به لغته الادبية التي ميزها النقاد (بتراكيبه البسيطة وصفاء عباراته) فهي التي كانت وراء تلك اللغة المرهفة وهي التي كانت تعيد كتابة تآليفه وتقوّم من تعابيره بعد ان تقضي (ساعات في الحمام ، وتقفل عليها الباب خوفا من أن يراها زوجها ثم تعيد كتابة اللغة الانكليزية المكسرة . كانت الافكار في (النبي) وعموم افكار جبران ، لكن روعة اللغة وسلاستها وصفاءها كانت لماري هاسكل) .

[illegible]

وقد ترك لنا جبران رغم حساسيته تجاه هذا الموضوع ، تصريحات عديدة في رسائله وعلى الاخص تلك التي خص بها ماري هاسكل [illegible] انه [illegible] على مصادقة الرجال منه على مصادقة النساء) وانه عرف اشد التعرف من (اوسكار وايلد) لدى اطلاعه على سيرة حياته وما كان له فيها من مباذل وفضائح . وفي احدى رسائله يؤكد لها بانه لا يستطيع ان يخوض مخاوض البحث في أي حديث يدور عن الامور الجنسية (بل اذا ما تحدث انسان طيب جدا وبطريقة طيبة وبشكل طبيعي غير متحجر ، وعلني عن هذه الامور فاني سرعان ما أبدل الموضوع) .

وبقدر ما كان يسعى الى نفي هذه المرأة كان يحاول ان يبدي [illegible] الحضور [illegible] لتلك المرأة الاخرى التي هو (مديون لها) بكل شيء والتي لا يتعب بصريح ويعترف بملء صوته بكونه (يثق بالمرأة اكثر مما يثق بالرجال) والتي تعودت أن [illegible] حياتها لتغطي الصفحات الواسعة من سيرة حياته وأدبه ولوحات رسومه الفنية [illegible] من الظلال الكثيفة والمغارة في [illegible] ، واستغراق في الحلم [illegible] ما يدل على مستلزمات النوع فيها بغية تحقيق خلاصها الفردي بنشوة صوفية تصبح

استوديو جبران في نيويورك



جبران.. والمرأة

● الأسف كل الأسف لأنه لم يتعرف على ماري عندما كان دون العشرين

قبها التضحية بالطلال والغاء التفاصيل الشخصية جزءا من حريتها التجريدية

ومما لا شك فيه أن لماري هاسكل التي تواصلت عبرها رعاية الأم له وحدبها عليه ، أثرا في تطوير هذه الرؤية الشعرية فهو بالرغم من شدة غروره واعتزازه بفنه وتصريحه لها بادعائية فنية بأنه رسم صورة وهو في الخامسة من عمره كان فيها (أبو التكعيبية) يؤكد في رسالة ثانية بأن نقدها الفني لرسومه كان له الأثر الهام في كل ما وصل إليه من نجاح في هذا المجال وأنه ليأسف كل الأسف لأن الحظ لأن الحظ لم يتح له أن يتعرف إليها يوم أن كان في الرابعة عشرة من عمره يرسم على غير هدى ونحن وإن كنا لا نجترح لأنفسنا الحق في أن نقول بمدى هذا التأثير الذي كانت تمارسه على جبران ولا بما كانت تتمتع به من ثقافة فنية وإن بدا لنا في بعض ما كتبته عن رسومه أنها ليست أكثر من فقرات من نقد انطباعي لا يغوص بعيدا في تقييم جهده الفني كقولها عن صورته المعابي (هذا الوجه العظيم هو روح الأرض معبرا عن خصوبته لهذا السيد ومن خلال الغيوم الشاردة أمامه يطل فتى مكتنف بالظلمة عليه علامات الدهشة ، هو المستقبل الذي يشعر به عن بعد .... الخ) أقول رغم كل ذلك ، ورغم أنه لم يكن صديقه ومرشده (فرد هولند داي) من فضل كالذي يعزوه لماري هاسكل فانها ولا غلو أنها كانت تحتل هذه المكانة في حياته والتي حدت به إلى أن يفكر بالاقتران بها في عام ١٩١٠ مع علمه بأنها تكبره بعشر سنوات ، لولا ما أتسع لها في نظره من صفات في (الأم) و (والشقيقة) و (الصديقة) اجتمع فيها منهن حدب الأم والشقيقة ورعايتها وبذلهما المستمر ، وفي الصديقة عنصر التكافؤ الذهني والثقافي الذي افتقده عند والدته وشقيقته (مؤيانا) التي كانت تجهل حتى كيفية كتابة اسمها ، وذلك ما يميز هذه المرأة في حياته فلولاها من الثقة ما لم يوله لأحد على كثرة ما عرف من فنانين وأدباء ، بحيث خصها وحدها بكل ما نال من نجاح فني وأنها الناقد الذي تمنى



برتراند رسل

غاندي



ميخائيل نعيمة



اوسكار وايلد

● تواصل الحب الرابة ... ورعاية الشقيقة والتكافؤ الذهني والثقافي للعلاقة الصديقة

● لم يكن يحب الطبيعة في الرسم ولم يكن يستطيع رسمها ، وعوّل على الا يرسمها قط

● هذا الوجه العظيم هو روح الأرض معبّراً عن وجوده لهذه الدنيا

لو كان له منذ بداية حياته الفنية لتهديه سواء السبيل .

تلك الفتاة الشمطاء

وإذا كان جبران خليل جبران يستمد مقاييسه الجمالية ودلالاتها من قدرته على تحويل مظاهر المرأة الخارجية الى قيم تعبيرية عن عمقها الروحي فلا عجب من أن يثير دهشة صديقه (فليكس فارس) عندما لا يرى في فتاة جميلة غير (تلك الفتاة العانس الشمطاء العوجاء الشوهاء) وأن يذهب به الاعتقاد الى أن المرأة (تكون في الخمسين من عمرها اكثر جمالاً جسدياً) فهو لم يجد في الاولى غير صراع جسدها الفتي ، ولم ير من ترهل جسد الثانية غير ما كان يرغب في رؤيته من معنى في المرأة الأم التي تخطت مراحل عبادة جسدها الى حيث تتوحد بوجودها الكلي مع معنى كمال إرادتها كمسؤولة عن استمرارية دورة الحياة في البذل والعطاء .

ولو اضفنا الى ذلك كله ما كان من تعليقات وهوامش عليها من قبل معارفه واصدقائه ودارسيه موقفه من أمه وأثرها في حياته حيث يقول (ثلاثة اشياء عملت اكثر مما عمل اي شيء آخر في حياتي ... أمي التي كانت مدهشة جداً ... وأبي الذي عارضني واستفزني للقتال و ... الخ) ثم اخذنا بنظرة الاعتبار المؤثرات الفنية الاخرى عليه ، استقام لنا مفهوم كامل لمكانة المرأة في رسوم جبران عبر اطار تشكيلي يوحي ، بشكل من الصميم الى طبيعة تأثره بترابط الكتلة عند (رودان) من ناحية والى رمزية (بليك) الشعرية وتعبيريتها من ناحية ، والى ميله الى تجاوز التفاصيل في الصورة على غرار الانطباعيين الاوائل من ناحية ثالثة ، والى نزوعه الى اعتبار مواضع حركة الجسد الانساني مكامن لتعبيريته الرمزية وضعف علاقته بالطبيعة ـ فجبران كما يقول توفيق صايغ (لم يكن يحب الطبيعة في الرسم ولم يكن يستطيع رسمها وعول على الا يرسمها قط) من ناحية رابعة ، على مثل هذا المدى الاداتي تشكل اسلوبه في الرسم محيلاً المرأة الى رمز لا

يكتمل الا بحركة مجاورة من شكل الرجل أو الطفل ليصيرا معاً الى تجسيد الموضوع الذي يطوع نفسه في حركات رشيقة تتميز بمواءمة دقيقة ما بين طبيعتها الاليفة واستيحائها وبين شفافية مضمونها ، وبأبعاد حلم يطوف على حافة العالم ولا يمسه إلا بأطراف انامله تكون الاشكال من خلاله في شديد حاجتها الى أن تصل الى نفسها وتكتشف سراً لوجود متداخل تلك الحركات العفوية التي لم يثقلها جبران بأي شيء من التفاصيل الجزئية وفي أي من جسدي الرجل أو المرأة الا بقدر ما يثبت هويتها النوعية كالثديين في المرأة والتي يرسمها بكثير من الاهمال المقصود لكي لا يتجاوز الرمز في الغاية الى

الآنسة مي

● المرأة الأم في لوحاته ليست تلك التي عقد عليها أبيه من أجلها ولا تلك التي استعاض بها عن أمه

الرغبة في الصفة المثيرة ولتظل الحركة معنى خارج كيانيهما الجسديين .

وقد اسعفت جبران على ابراز معطياته العاطفية التلاق بالحس الشعري خطوطه المنحنية باستمرار والمنسابة بعفوية وطلاقة تواكبها امواج من الظلال المتلاحمة لها ، والتي كثيراً ما يعتمدها ستاراً لضعفها ومجانستها للخطوط المستقيمة الموحية بالصلابة والقسوة مما رفع من مستوى حساسية اعماله الفنية وابقى لها تلك الشحنة اللازمة للرمز الرومانسي . ورغم أن المرأة التي اكتمل جمالها هي تلك التي تجاوزت الخمسين من عمرها والممتلئة الجسد ، الكبيرة الجثة (انها مدهشة فهي كبيرة الحجم وعريضة) والتي تقوم صفاتها هذه وعداً شرقياً بالامومة الدائمة فقد اثر أن تكون على غير هذه الصورة في رسومه ، فهي رشيقة وعلى غير الاكتناز او الترهل وذلك ليحافظ فيها على المرأة الرومانسية الخالدة بصفة من الشباب الدائم ، والتي استحوذت على قدرتها الكاملة على مغادرة الارض كل لحظة عبر حركاتها الموحية بالطيران خلال مساحات مفرغة إلا من الاجزاء المؤكدة لهذا المعنى الذي يرمي اليه في الهروب الخلاصي الحزين شأن جميع الرومانسيين .

والمرأة الأم كنزوع رمزي في اعماله هي ليست تلك التي عقد على ابيه من اجلها واشار غير مرة الى معاناتها من تصرفاته ، ولا تلك التي استعاض بها عن حب امه واحالها عبر طيبتها الى أم له (وكنت دائماً تظللين صحتي واكوابي والآن لا اشعر بأني ضيف محبوب بل بالاحرى بأني طفل في بيت امي) بل تلك التي حولت (نموذجها الكبير العريض) الى قيمة رمزية فهي ليست أماً بمعطياتها الخاصة والمتمثلة في اشارات الى واقع معين بقدر ما هي أم بالعلاقات التي تمتدها الى الجو المحيط بها من اطفال منتشرين حولها أو متشبثين بها أو ساعين لنيل حنانها وودها والتي كان بها كروابط متداخلة ان يتجاوز الخاص الى العام والشامل تأكيداً لعمومية الرمز الذي يضم الموضوع الى نهج اداتي ينطلق من

جبران.. والمرأة

رسوم جبران كما هو أدبه وكما هي حياته.. مجموعة من وجوه تغزو الذاكرة



الكل إلى الأجزاء..

امرأة عابرة

أما بربارة يونغ .. تلك التي جعلها البعض احدى المحطات الكبيرة في حياة جبران فهي في نظر هذا الباحث قد زيفت الكثير من الحقائق وشوهت معالمها وادعت لنفسها مالم يكن لها وانها ليست بالاكثر من (امرأة عابرة في حياته . مثلها مثل العشرات اللاتي مررن بحياة كاتب النبي) ومثل ذلك ما يقوله عن ماتلين ماديسون التي لاتزال على قيد الحياة فهي (مجرد نكرة في حياة جبران) وانه لم يؤثرها باهداء اروع مؤلفاته اليها - النبي - الا لانها ترجمت هذا الكتاب الى الفرنسية ولانها (كانت يوما على علاقة مع جبران لذلك اهداها كتاب النبي) . وان بين كل النساء اللواتي تعرف اليهن جبران كانت (غيرتريد بارى) هي الاثيرة الى نفسه والتي عاش معها علاقة كاملة وحميمة وانه قد اثر ان يكتم امرها حتى عن اقرب معارفه اليه خشية ان يثير غضب ماري هاسكل ولذا لم يورد ذكرها لاحد ولم ينبس ببنت شفة عنها لاحد . وبقيت تلك العلاقة سرا مجهولا الى ان ابلغت به واماطت عنه اللثام مؤخرا بنت اخت لها وكشفت عن رسائل عديدة من جبران الى خالتها تفصح عن مدى متانة العلاقة التي كانت تشد احدهما بالاخر) .

بطل من الظل

وعلى الرغم من اننا ناخذ هذه التعليقات والتأويلات لسلوك جبران بكثير من الحذر فليس لنا إلا ان نقر بأن شخصيته شخصية متناقضة سواء أكان ذلك من صميم اصالتها او انه كان يفتعل هذا التناقض افتعالا عبر ما ينسج عن حياته وحياة اسرته من اخبار ملفقة وما يوحي بها من خلال بعض تصرفاته . وسواء أكان ذلك نتاجا لصراع ما بين (ارادة القوة) و (الشعور بالنقص) الذي يدفع به الى الهروب من الواقع ، او فرارا لنظافر من (عقدة اوديبية) فهو كما يراه صديقه كلود براغدن (يحب الانفراد كما يحب المجتمع ، يبتهج بالاشياء الصغيرة كما الكبيرة ، بالماديات كما بالروحيات ...

الخ) ربما يكون لنا من خلال ذلك ان نقوله هو انه افاق على عصره وواقعه في امريكا وانما قرن في عينيه شتات من رؤى مبعثرة يلتقط بها اثره ويحتفظ بها احيانا الحسي ومستخدمها في عروضها عرض لمعرض في لا غاية الكتب وكتب الشهرة في حسه ... كثير من المدائح العاطفية التي المديح ... في شخوص ... ونساء ... يقوله كرسالة ... المشوه الحية التي كان ... المتطرين منها ... وجوه ... وانه بنشوة طفل غير ناضج . وامكانية فتى لم تتوفر له القدرة ولا الدراسة للالمام بلغة ادب او فنون رسمه وقواعدها كان يطوف على سطح صورات مختلفة يجتمع لها شيء من الهند ومن مصر القديمة والكثير من وشيء من المسيح وبعض مفكري عصره ، وبكثير من العفوية كانت تمتزج بحساسيته وتتآلف معها في نسيج غير واضح المعالم اقترب به من احاسيس ومشاعر فنان فطري والتي بها وحدها فقط تتأكد اصالته .

رسوم جبران

ورسوم جبران ، كما هو ادبه ، وكما هي حياته ، مجموعة من وجوه (تغزو الذاكرة بسحر الرؤى المقتبسة في عالم الحلم - من كلمة لناقد امريكي) تحاول ان تجسد وجودها مع رغبتها في التخلص من ثقل وجودها في ذات الوقت ، وتشخص رموزها عبر دلالات رومانسية مسطحة ، ويجهد ادائي باوزوعه تأثيرات من (وليم بليك) و (رودان) حيث تتلاحم الوهاد الرسام بكثافة الكتلة

الخارجية عند النحات وحيث تتقاسم رموزه اسلوبيها وتشكيلاتها الايقاعية والتعبيرية ، وبذلك المرأة ان تقوم محورا رئيسيا لرسومه وهي لشدة تداخل ملامحها وتوحد صفاتها توشك ان تكون امرأة واحدة استقام لها رمز شامل وموقف ذهني متكامل منها ، ولا عجب في ذلك لرجل ينطلق في طبيعة علاقته بها من رؤية محددة لها عبر زوايا تجارب على كثير من الخصوصية ، إذ يقول في احدى رسائله الى مي زيادة عام ١٩٢٨ - اي قبل وفاته بثلاث سنوات - (إنه مديون بكامل ما هو انا الى المرأة منذ كنت طفلا حتى الساعة ، والمرأة تفتح النوافذ في بصرى والأبواب في روحي ، ولولا المرأة الام والمرأة الشقيقة والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء النيام ينشدون سكينة العالم بغطيطهم) مكتفيا بهذه النماذج الثلاثة عابرا لفتح نوافذ بصره وابواب الرحمة ، اما المرأة الحبيبة والمرأة العاشقة والمرأة المشروعة في غير تلك من صفات الاخرى ، فهي التي لم يلتق بها إلا لماما لانها لاتتفق مع الام والشقيقة والصديقة في الصفة ، صفة العطاء بلا أخذ والاخلاص المتناهي والتعالي عن مطالب الجسد ، انها المرأة التي تقيم في اعماقها الام في ابرز وأهم صفاتها في التضحية والتي كان جبران بحاجة اليها دائما ، انها المرأة التي رضيت ان تعيد نفسها من خلاله ، ان تمتزج بروحها فيه فلا تقيده بكل ما هو زائل ولا تسأله ان يكون لها معينا لمتعة عابرة فهو كما يقول في رسالة الى ماري هاسكل (بقوتي طاقته التعبيرية الى نتائج فني) وان اصدقائه يخطئون بظنهم انه يعيش علاقات عاطفية متعددة (في حين إني اعيش بدون وصال) .

وهذه المرأة بالذات هي التي بقيت في الظل وهو إذ يطردها من حياته العامة إنما ليفتح للمرأة الاخرى كوة في ذهنه تتسرب منه دائما كينونة مطلقة في الام وظلها وبدلها يعوض بها عن تلك العلاقة التي لم يستطع أن يورى فيها النار فقد بقى يحمل بيرونته امام التوسلات . اما ماري هاسكل التي عرفته كما لم يعرفه احد فقد كان بالنسبة اليها (خجولا) .

بلند الحيدري



حلم ليلة شتاء

شعر : فتحي سعيد

شيطان الشعر الاسمر
افلت من وادى عبقر
صاعقة وانقضت تكسح اليابس والاخضر
مع الليل وثلج
اوشك يهوى ثلج !
اوشك ان يتهاوى برج الحب الاكبر ..

● ● ●

انهمر الافق وامطر
عاصفة وزلازل .. وبراكين
انغرست سكين
فى جسد الحائط .. غاصت فى جلد الطين
قطرات من دمنا .. فوق زجاج النافذة المبهم
ينخلع القلب .. خربت .. توارت [illegible]
اتظاهر انى اقرأ فى صفحات كتاب
امسك .. وارتجف .. وانتظر ...
ابصرت الشيطان الهارب فوق جواد الشعر يزمجر
يتحدى فوق السرج الذهبية ..
يشهر سيفا .. يرخى مئزر
من حول الغرفة والنافذة ويشحذ خنجر ..

● ● ●

ـ من انت ؟
ـ جنى النحت الآخر
غافل اهل الكهف وفر ..
ـ قل لى من انت ؟
ماذا تفعل فى ظلمات الليل وماذا السحر
ويراعك بيمينك يجرى ..
مرتعشا مرتعدا فوق الاسطر ؟!
هل انت من الشعراء ؟
ـ زعموا ذلك ..
لكنى لست كذلك ..
إنى واثق
انى عاشق
اقسم انى اعشق وجه الشعر ولا اكثر ..
ـ العاشق للشيء اشد دفاعا من مرتكبه
التهمة ادعى بل انكر
هل تكتب شعرا فى زمن فقد الاحساس فلم يشعر ؟!

هل ثمة من يمتهن الحرف بهذا الزمن الأعمى ؟

***

– لا حيلة لي ..
لست مخير
لا حرفة إلا أن الشعر
– لست ذكيا .. إن كان ولابد فكن الشعر
اكتب أغنية .. إعلانا .. منلوجا
اكتب رقصة ..
تكثر في الملهى أو تكثر في الأغنية المبتذلة
قد تسمح فرصة ..
فتروج وتنتشر باتجاه الكرة الأرضية ...
وتغرق في رأس المطلع
خذ مثلا هذا المقطع ......

لا .. لن أسمع ..
بل فلتسمع
فلست مسير
كن أنت عليهم بمسيطر

***

– أو ترجم إلهامك بالشيطان الشعراء وتزجر ؟
هل جئت لتقذف ريح الرعب بقلب الشعراء وتسخر ؟
عن أوحى للملك الضليل ..
وعروة وابن العبد ومجنون الليلات ؟
أو ليس شقيقك أوحى لك
شيطان عصور النكسة والظلمات ؟
كانوا صنفين :
شياطين ذكور وشياطين نساء
من أنت من الاثنين ؟
صخر أم خنساء ؟
– لا تلوي بالكلمات ولا تتقعر
أعرف أكثر مما تعرف أو تتصور
كان الشعراء ملوكا .. أما أنتم فصعاليك
لا أعني بالملك التاج ورابية العرش
وإيماءة إبهام أو خنصر
فلا بالنطع أو السياف أو الخنجر أو حشوك
ذهبا أو جوهر

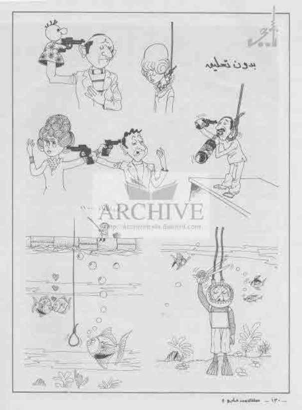
كان الشعراء ملوكا .. وصعاليك
عرشهم الشعر وتاجهم الكلمات وزينتهم قول يذكر
موت التيجان وملأ الإيوان
وشعرهم لا يمتنق ولا يدثر .. !

***

– هذا زمن قد ولّى وصعاليك كلك مات
وكل وادي الشعر بل يتشون ..
سمير غير زمان النعمان أو النابغة الذبياني .. وعنترة وعبلة
فقري تكلم عن مجد الشعر وأنت تلوكه
حسبك الفخر الشعراء .. حسبك .. ولا تستطر
– لم تطرق بابي بل سيافي ..
العصة وأنا أقلق الشعر وحطمت الكتب على رأسك
وسقطت المقام في كأسك
وهدمت الجدران على رأس الجيران ..
– جئت تقاتلني .. قلها لا تجبن ....
– لست جديراً بالقتل ولا أمتلك أجدر
انتم الزام العصر
وفقدان الشعر
وحاشية القيصر
ما جئت لأقتل أو أثأر
بل جئت لأنذر
فاسمع واذكر ...
إن شئت نجاة الشعر
كن كالطوفان إذا أبحر
ريحا صرصر
لا تتقهقر ..

***

هرولت لزاوية الغرفة
ألتف بمحبرتي أتعثر
وأريق دماء قصيدة شعر ..
كانت في قلبي تتفجر ..


بدون تعليق

من أجواء القصة

الزعيم الذي مات



رءوف توفيق

فن إثارة التساؤلات

أصحاب الدخول الطفيلية يصعدون .. ويستحوذون ويفرضون سيطرتهم ومزاجهم الشخصى وجشعهم على مفردات التعامل اليومى!

حسين فهمى فى دور المدرس الشاب أمام خطيبته ناهد شريف .. لقطة من فيلم « انتبهوا .. أيها السادة »



كان من اهم الأحداث الفنية فى القاهرة ، خلال الفترة الأخيرة .. عرض فيلم « انتبهوا .. أيها السادة » للمخرج الشاب محمد عبد العزيز .

فقد أثار الفيلم بالإضافة الى نجاحه التجارى الهائل .. صدى مدويا بين المثقفين ورجال الفكر وأساتذة الجامعات ونقاد السينما .. حتى كاد ان يشكل هذا الفيلم « ظاهرة » تستحق التوقف والتأمل !!

والفيلم يعرض بجرأة صعود طبقة أصحاب الدخول الطفيلية .. واستحواذهم على كل متع الحياة المادية .. وفرض سيطرتهم ومزاجهم الشخصى ، وسلوكهم الجشع ، على مفردات التعامل اليومى .. ابتداء من فرصة السكن الملائم .. فهم غالبا أصحاب العمارات الجديدة والعالية .. الى الذوق العام فى الثقافة والفن .. بعد أن صاحبت ظهورهم موجة رخيصة من انتشار الثقافة الهابطة ورواج الفن الحسى !

وقد اختار مؤلف الفيلم ، أحمد عبد الوهاب ، أن يقدم نموذجا لهذه الطبقة ، من خلال « زبال » .. لعب الدور باقتدار الفنان محمود ياسين .. كانت مهمته جمع القمامة من العمارات .. وذات يوم تجرأ ليدق باب احدى الشقق ليقدم نفسه لخطبة الشقيقة التى كان يراها يوميا تفتح الباب له فى الصباح لتقدم صفيحة القمامة .. ويصعد الزبال بارتداء القميص والبنطلون وتنظيف حذائه المهترىء .. ليواجه رب الأسرة التى

محمود ياسين في لقطة من الفيلم

يعمل بمدخل هذه الشقة .. ولكن المفاجأة التي أربكته تماماً .. أن هذه الفتاة التي تملك الشقة .. ليست إلا ابنة هذا المستشار السابق الذي يعمل الآن بالمحاماة .. وهي أيضاً شقيقة هذا الشاب (يلعب الدور الفنان حسين فهمي) المنهمك دائماً في البحث والتحضير لإعداد رسالة الدكتوراه في الفلسفة .. والمدرس حالياً بالجامعة !

ويكون نصيب الزبال تلطيم من هذه المقابلة الصارخة .. الطرد والسخرية والاحتقار .. وتأنيب الابنة على هذه البهدلة التي تمدو عليها حتى قلبها هذا الصعلوك .. بنظافة .. وعيبت انفه !!

ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد .. بل كانت هذه مجرد البداية .. بداية أحداث الفيلم .. والصراع المؤلم بين الجاهل الذي لا يملك غير أهليته وخلفه المؤكد ..... بعد أن يصبح مسئولاً عن جمع قمامة كل الحي والاستفادة من بيعها .. في مواجهة المدرس الجامعي الشاب الذي لا يملك غير المنطق والفلسفة والتمسك بالمثاليات والأخلاق والقانون !!

هذا المدرس الشاب الذي حصل بالفعل على الدكتوراه في الفلسفة وأصبح يواجه عقله في مدرجات الجامعة بتعاليم الحكمة وتجاربه [illegible]

[illegible]

صاحب منصور مثل رجل .. و منطق المدرس الفلسفة الذي يتصلب .. أن دافع هذه المعامل ضد القانون !!

وهذا المنطق يثير غضب والحرية والدة الحبيبة .. فهي ترى منتها أضيع منها سنوات شبابها في انتظار بلا طائل .. وأمام منطق لا معنى له في التعامل اليومي .. إنه منطق مكتوب في الكتب فقط .. ولا يصلح للحياة العصرية !!

ويصطدم الشاب من خطيبها المدرس الشاب .. أن يتنازل قليلاً عن منطقه ولكنه يدافع عنه بحرارة وإيمان .. وتحاول الفتاة الا تخسره .. فهي تحبه وتفهم مثاليته .. لكن الضرورة أحكام .. وبعض التنازل لا يضر في سبيل إتمام الزواج .. وهو أيضاً يحبها ويفهم أحلامها .. ويدرك ضغوط والدتها ووضعها الطارئة دائماً للنقود .. ويستسلم مرغماً أمام إلحاح الفتاة للبحث الجدي عن شقة !

ويكون هنا مستشار العقارات في عمارة جديدة لم يكتمل تجاوزها .. ويقابلها بصاحبها الذي كان يجلس على مدخل العمارة يدخن الترعيلة في سعادة وزهو مرتدياً مجموعة من الملابس والألوان غير المتجانسة .. وتأتي المفاجأة المذهلة .. أن يكون صاحب العمارة هو نفسه الزبال القديم !!

ويحدث التعارف .. أو الفانتازيا !

فصاحب العمارة يرحب بالمدرس الجامعي .. وإن كان لا يعرف ولا يريد أن يوجع دماغه بالتخصص الذي حصل به على الدكتوراه .. فهو يعرف أن الدكتور لأمه زال يخق شيئاً .. أما هذا الشيء الذي يتكلم عنه المدرس الشاب .. فهو لا يفهمه .. ويحاول المدرس بغيظ شديد وبذكاء أن يوضح له عقله .. أنا أريني عقول .. فيرد صاحب العمارة والزبال القديم .. بسخرية وفخر .. أنا نفقي أربي عقول .. !

والفرق بين الكلمتين حرف واحد .. ولكنه الحرف الذي يفرق بين أسلوبين في الحياة !!

ولنلعب أحداث الفيلم على هذا الفرق في المخيف !

صاحب العمارة .. الإنسان الجاهل .. يسبح في الترف خمسة أعوام عاطلاً .. يشغلون ... عاطلين .. ومزرعة ... ومجموعة من سيارات النقل .. بين سياراته الخاصة المكيفة الهواء .. وفيلا بحديقة رائعة يسكنها هو وزوجته والأولاد .. ولكنه يشكو من ... إبنه الصغير الذي ألحقه إحدى المدارس الأجنبية الخاصة .. فالآن لا يكف عن ضرب زملائه الذين يستقرون من حقيبته المدرسية المحلوة بمختلف اللذائذ من المشروبات الفاخرة والفواكه الغالية التي تملأ الثلاجة الفارهة المستوردة .. إلى صنوف العطر حتى البونية !!

فالنقود لم يعد لها حساب .. كثيرة وتتوالد بسرعة !!

أما المدرس الشاب .. فهو لا يملك بمنطق الملكية المحسوبة بالأرقام .. سوى ألف وخمسمائة جنيه هي كل ما جمعه من رصيد عشرة أعوام عمل في الجامعة وتأليف الكتب الفلسفية !!

النقود تحت أقدام الراقصات

وإزاء كل الضغوط التي تزيح تحتها من إلحاح والدة خطيبته .. إلى الانتظار

الذي تغلفه الخطابية والذي بدأ يلون صوتها بالشكوى والتذمر .. يضطر المدرس الشاب أن يضع كل ما يملك في يد صاحب العمارة، بعد أن وافق الأخير أن يكون هذا المبلغ نصف قيمة الخلو المطلوب على أن يسدد المدرس بقية المبلغ بعد ذلك .. إكراما للعلاقة القديمة.

وحتى يهون صاحب العمارة من مصيبة المدرس الشاب فهو يدعوه مع خطيبته ووالدتها الى سهرة في أحد ملاهي شارع الهرم .. وهناك تكتشف مدى السطوة التي يتمتع بها صاحب العمارة .. الزبال القديم .. فهو صاحب المال الذي يبهر به عيون الجميع .. وفي لحظة انتصار مجنونة يقف صاحب العمارة يبعثر النقود التي استلمها من المدرس الشاب .. على جسد الراقصة المثيرة .. والمغني الذي يردد أسخف الكلمات ذات الإيقاع الحسي .. وتتناثر النقود على الأرض مع دقات الموسيقى المحمومة !!

وتنتاب المدرس حالة من الاشمئزاز واليأس والتقزز ..

ويواصل صاحب العمارة استعداده بكحيلة مستندا على ثروته .. ويلوح بالنقود والهدايا .. فيغزو بها بيت والدة خطيبة المدرس الشاب .. وتستجيب بسرعة الأم الشرهة للنقود .. وتبدأ في التمهيد لزواج ابنتها من هذا الثري .. فما الذي يجدي من انتظار هذا المدرس الذي يتحدث عن المنطق والمثاليات .. !!

ويغزو صاحب العمارة .. الزبال القديم .. بيت المدرس الشاب، ويداعب بنقوده أحلام الأب والأم في الاستفادة من فرص الكسب التي يعرضها على الأب من خلال العمل في قضايا الخاصة بالعقارات !!

وهكذا يجد المدرس الشاب .. انه يقف وحيدا في مواجهة الانهيارات التي تحدث حوله بسرعة ..

النهاية .. بالجنون

حتى كان آخر أمل بالنسبة له .. هو خطيبته الشابة .. ولكن حتى هي لم تستطع الصمود .. انهارت .. وألقت بنفسها في أحضان الزبال الثري .. ووافقت على الزواج منه .. لتكون الزوجة الثالثة في حياته !



محمود ياسين .. في دور الزبال .. من فيلم .. انتبهوا .. أيها السادة

ولا يستطيع المدرس الشاب أن يعي وتتلاحق الأحداث التي جرت حوله متلاحقة .. وفي مدرج الجامعة وأمام طلبته .. يلقي محاضرته بصوت متهدج .. ويعيون زائغة لا تعرف النوم .. وتختلط الكلمات في ذهنه وعلى لسانه .. فما هي الحقيقة .. ؟!

ويهذي في هستيريا مجنونة .. وطلبته يتابعونه بدهشة .. ويجري من مبنى الجامعة في ذهول .. ليتوقف أمام تمثال نهضة مصر .. إنه أمامه عربة جمع القمامة .. وينظر إليها في ذعر .. كأنها هي الحقيقة المؤلمة التي حطمت حياته .. وتظهر على الشاشة عبارة انتبهوا .. أيها السادة !!

الرغبة في المعرفة .. والتساؤل

وينتهي الفيلم بهذه النهاية القاسية .. البطل ينتصر بنقوده .. والمثقف ينهزم بمثاليته !

ولكن لماذا !! .. وما هي الظروف والعوامل

علينا أن نفكر .. وننتبه !

وبهذه الجرأة في التناول والعرض

الطياران متشاجران بعد سقوط الطائرة.. لقطة من فيلم «يوم طفت الأسماك»



الفنى الشيق .. أصبح الفيلم مثار اهتمام وتعليقات كثيرة .

لقد اختار مؤلف الفيلم «احمد عبد الوهاب» .. شخصيتين متناقضتين تماما .. لكى يلعب على هذا التناقض المثير ، في تفاصيل الأحداث .. ولكى يبسط القضية التي يريد التذكير بها الوصول الى غالبية المستويات من المتفرجين .

وقد نجح الفيلم في إثارة التساؤلات .. وأى فن يحقق الرغبة في المعرفة ، والتساؤل .. ويحث على القلق الصحى .. هو فن رأيى فن يستحق الاحترام .

انتباه .. المخرج اليوناني الكبير

وربما كان الرب شاهدا على هذه النوعية من الأفلام - في السينما العالمية - هو فيلم «يوم طفت الأسماك» مثلا .. للمخرج اليوناني الكبير «ميشيل كاكويانس» الذي اطلق صيحته الشهيرة في نهاية الفيلم : انتبهوا .. انتبهوا .. انتبهوا من غفلتكم .. وينتهى الفيلم .. والنداء يدوى بلا انقطاع وفي رجاء مخلص أن ينتبه أحد للخطر الداهم !

من ذلك الفيلم فهو صانع «زوربا اليوناني» نموذجا فريدا من سينما إيقاظ المشاعر .

«قصة فيلم «يوم طفت الأسماك» .. تحكى بمزيج من الحكمة والسخرية عن سقوط طائرة عسكرية تابعة للطيران الأمريكي تحمل صندوقا أسود ضخما .. بداخله قنابل هيدروجينية !

تسقط الطائرة في البحر أمام احدى الجزر اليونانية الفقيرة .. ويتمكن الطيار ومساعده من النجاة بأنفسهما .. اما الصندوق الأسود المحمل بالخطر .. فهو يتدحرج على الصخور ليستقر في مكان ناء .. ليكتشفه فيما بعد احد الرعاة ويظن ان بداخله كنزا .. ويستعد من زوجته فرحا لكى ينقلا الصندوق الثقيل الى بيتهما الفقير !

بينما القيادة الأمريكية تدبر - في تكتم شديد - بعثة للبحث عن هذا الصندوق .. وتلجأ الى خدعة ارسال خبرائها على هيئة وفد سياحى الى هذه الجزيرة المجهولة .. تحت ستار انهم ينوون اقامة فندق سياحى وكازينو وتحويل الجزيرة الفقيرة الى بقعة سياحية رائعة !

ويأتي الوفد السياحي المزيف، ويرتدون أغرب الملابس ذات الألوان المثيرة .. زيادة في التعمية .. ويمارسون لهوهم ومتعتهم .. وتصدح الموسيقى الراقصة .. وينقلب حال الجزيرة .. جميع السكان البسطاء يتحولون بسرعة إلى خدمة السياح والاستفادة من أموالهم الكثيرة !! .. وعمدة الجزيرة يجدها فرصة لكي يجذب انتباه الحكومة له .. فيسرع بالاتصال بالصحافة لكي تنقل أخبار هذا الزحف العظيم من السياح .. وينتشر الخبر .. وتتوافد أسراب أخرى من السياح .. وينتشر الخبر .. وتتوافد أسراب أخرى من السياح الحقيقيين بعد أن أصبح اسم الجزيرة المجهولة على لافتات كل شركات السياحة .. على لسان كل هواة السياحة واكتشاف الأماكن الجديدة والمثيرة !!

وهكذا ينقلب المخرج «كاكويانيس» في استعراض عقلية الأثرياء الباحثين عن المتعة .. والفقراء الباحثين عن فرصة للكسب !!

أما خبراء الجيش الأمريكي، الذين يرتدون ملابس السياح الفاقعة الألوان فهم يتخبطون في البحث عن الصندوق المحمل بالقنابل الهيدروجينية .. في حين أن هذا الصندوق قد استقر داخل بيت الراعي الفقير الذي يحلم بالكنز بداخله .. وفي لهفة شديدة يحاول فض غلاف الصندوق المحكم .. تساعده زوجته في تكتم شديد حتى لا يتسرب الخبر إلى الجيران .. ويواصلان محاولاتهما في دأب وإصرار مستميت حتى ينجحان في النهاية في فض غلاف الصندوق .. ليفاجأ بأنه لا يحوي كنزاً .. ولا شيئاً ذا قيمة، سوى مجموعة من الكبسولات الصغيرة (أجزاء القنبلة) .. ولأنهما لا يعرفان كيف يتصرفان في هذه الأشياء التي لا تساوي - بالنسبة لهما - أي فائدة فإنهما في النهاية يحملان الصندوق بما فيه، ليلقيانه في البحر !!

وتتسرب المواد المشعة في المياه .. تقتل الأسماك وتطفو ميتة على السطح .. وتتسرب المواد المشعة أيضاً إلى آبار المياه .. ومواسير المياه .. وإلى الطعام .. تحمل الهلاك والموت !!

ولكن الكل يرقص في لا مبالاة .. وأهالي القرية يفتحون صدورهم للسياح .. والجميع مشغولون باللعبة البراقة .. ولا أحد ينتبه للخطر .. ويرتفع الصوت في نهاية الفيلم محذراً .. ولكن الصوت يضيع وسط ضجيج الموسيقى الصاخبة .. ورقص الجميع .. والعبث الدائر ليل نهار ..

حالة الكارثة .. ومهمة الفنان

وفي حديث مع المخرج «كاكويانيس» الذي كتب وأخرج وصمم ملابس هذا الفيلم .. قال يوضح وجهة نظره : «إن رغبتي في عمل الأفلام، ليست رغبة في التعليم على الإطلاق .. فليست هذه هي الوظيفة المباشرة للفن أو الفنان .. ولكن الذي يحدث أن الفنان يجد نفسه مضطراً لأن يقول شيئاً في لحظة معينة، وإذا كان ما يقوله يمضي بالرسالة أو المهمة فذلك في تقديري ومسألة ليس إلا درجة من إدراكه ووعيه بما يحدث حوله ..

وفي هذا الفيلم شعرت أن الأحداث تدور حولي - حولنا - وتحركنا كأننا عرائس خشبية .. ويقودنا إلى حالة الكارثة .. ومن هنا صنعت هذا الفيلم .. وفيلمي يعكس وجهة نظري أن العالم يتجه إلى الدمار .. وهذا لا يدعو إلى التفاؤل .. والفيلم يتساءل متى نكف عن الضحك أمام خطورة ما نواجهه .. فالذي يضحك لن يتمكن أن يتوقف عن الضحك حالاً .. بعد أن يكتشف أنه يضحك على نفسه» !!

العالم يتجه إلى الدمار وهذا لا يدعو للتفاؤل فمتى نكف عن الضحك ؟!





وعندما سألوه : «هل تعتقد أن السينما وسيلة مؤثرة لمثل هذا النوع من الموضوعات» ؟!

أجاب بثقة : «نعم .. إنها مؤثرة أكثر من أية وسيلة أخرى في عصرنا هذا» !!

هل ننتبه

والقضية قديمة جداً .. وجديدة جداً أيضاً ..

فعجلة الحياة الطاحنة .. وإرهاق المتطلبات اليومية .. وازدياد الضغوط .. تجعل من الصعب على الفرد العادي أن يتوقف، ويرفع رأسه ويتأمل، ويسأل: لماذا ؟ .. وإلى أين ؟ .. وما هو الحل ؟

ومن هنا يكون دور الفن مؤثراً وفعالاً .. إذا قام بهذه المهمة .. وطرح التساؤلات .. وأيقظ الرغبة في المعرفة .. فالمعرفة هي أولى خطوات البحث عن حل !

ولكن .. الكارثة الكبرى .. ألا يتوقف أحد .. وألا ينتبه أحد .. وأن يلقى الجميع أجسادهم المرهقة .. وأعصابهم المهدودة على وسائد من الراحة الكاذبة !!

رءوف توفيق

مونولوج
سامي

الفيل والشجرة

إسماعيل مصطفى تامر

ذهب الفيل العجوز، يحمل سنواته بصمت إلى حيث كهف أجداده الموحش.. كل شيء في كيانه تحول إلى نغم هادىء رزين... ماتت الأسئلة جميعها.. وأزيلت جميع الحواجز بين جميع التفاصيل.

وخلال الطريق.. جاءت فراشة رقيقة وصارت تحوم حوله.. لم يلتفت إليها أول الأمر، ولكنها شدت انتباهه بعنادها اللطيف، ووجد نفسه يصحو من تعقله وخدره اللذيذ، فجلس عند باب الكهف والتفت إليها معاتبا:

ـ منذ متى وأنت تلاحقينني أيتها الفراشة؟

ـ تذكر سيدي الفيل؟..

ـ كيف يتسنى لعجوز مثلي أن تؤاتيه الذاكرة؟.. هل تسخرين مني؟

ـ أبدا... وهل يسخر ضعيف من قوي، ياسيدي الفيل؟

ـ عزيزتي الفراشة... أنت شابة وجميلة... لذلك أنت قوية!! هل تتصورين ماذا تعادل قوة الجبل عندما يهرم ويشيخ كحالي؟

ـ لا أبدا لم أتصور ذلك!

ـ إن الجبل حينذاك لا يعادل قوة حصاة صغيرة شابة!

ـ تعجبني هذه المعادلة!

ـ والآن، ألا تتركتني أمضي في طريقي إلى الكهف؟!

ـ ولماذا أنت متعجل هكذا؟

ـ لأنني لا أطيق البقاء زيادة على عمري ولو دقيقة واحدة!!

ـ هل تعني أنك لست خائفا؟

ـ بل كل الخوف عزيزتي الفراشة!

ـ كيف تجتمع هذه المعادلة؟

ـ كما اجتمعت من قبل الحصاة مع الجبل في معادلة واحدة!!

ـ حدثني عن هذا الخوف الذي تعيش...؟!

ـ يحكى ياعزيزتي الفراشة أن فيلا في قديم الزمان.. وصل به الخوف لدرجة أنه تمنى على نفسه لو كان له عمر تلك الشجرة العتيقة التي عاصرت أجداد أجداده من الأفيال وتعيش بعد إلى أبناء أبنائه... وبينما هو في تأملاته تلك إذ بصوت شجري يهمس له:

ـ هل تتمنى حقا أن يكون لك عمر تلك الشجرة ياعزيزي الفيل؟!

ودون أن يعرف مصدر ذلك الصوت أجاب: «نعم.. بل يكبت»!!

وساعتها لم تبق شجرة في ذلك العالم إلا تمنت أن يوهب له ذلك العمر الشجري وتحققت الأمنية، ولكي يطمئن الفيل أكثر تساءل مرة أخرى؟ ولكن كيف أتحقق منفي من عمري الجديد؟ فأجابه الصوت الشجري: انظر لتلك الشجرة منك تهرم معها وتموت!!

وانطلق الفيل في حياته الجديدة بعد أن نسي الخوف من عمره الزائل بخاتمة الأمر، إن أن ينسيه أحيانا عدد أيامه أن يفكر به...!!

وبدأ كل شيء ينسحب بهدوء من حياته... زوجته... والده... والدته... أصدقاؤه ومعارفه... وكان عليه أن يبدأ من جديد.. وفي كل مرة كان ينظر للشجرة ليراها ما تزال على شبابها.. فيمرح إذن فالخوف ما زال بعيدا!!

ومرت الأيام وراء الأيام، كان الخوف بعيدا.. لكن شيئا ما يتسلل ويقترب من حياته بهدوء... ألا وهو التعب.. نعم لقد تعب الفيل... بينما تلك الشجرة رفيقته ما تزال جذورها تمتد في الأرض بكل ما فيها من قوة النماء والازدهار!!

وفي مرة سألته الشجرة:

ـ عجيب.. كيف تتعب لهذه الدرجة وأنت مثلي في سن الشباب؟!

ـ لا أدري.. يبدو أنني لم أدخل التعب في حساباتي... لا أدري كيف تسلل إلى حياتي.. ببساطة ملأت كل شيء... تصوري... لقد حسدتك قبلا... وما كنت أحسبني سأحسدك الآن...

ـ قل لي.. كم مرة فارقت زوجتك؟

ـ ألف مرة لالآن؟

ـ وحبيبتك؟

ـ مرة واحدة.. دفنتها في ذاكرتي العميقة.. بين أهلي وأصدقائي.

ـ أليس لديك أصدقاء الآن؟

ـ أبدا.. أصبحت غريبا عن جنسي.. مهجورا كبيت تسكنه العفاريت!

ـ لهذه الدرجة؟

ـ إنني مستعد لكي أبادل تعبي الذي أعيشه الآن... بخوفي الذي فارقت...

ـ لهذه الدرجة؟..

ـ توسلني لي... بهذه الأمنية... فأمنيات الأشجار لا ترد ولا ترجع خائبة.. وعند ذلك.. توجهت الأشجار بأمنيتها، لكي يعود الفيل إلى خوفه، وكما قال الفيل.. لا ترد أمنيات الأشجار ولا ترجع خائبة»

وهنا.. هست الفراشة بجناحيها الشفافين بعيدا... واختفى الفيل المتعب عن صورتها وهي تبتعد عنه وتصبح نقطة مبهمة... وفي نومة.. حلم ذلك الفيل أنه صار فراشة رقيقة.. فراشة بكل ما تعنيه الكلمة... وعندما صحا من حلمه لم يكن يعلم فيما إذا كان فيلا يحتويه فراشة... أو أنه الآن فراشة تحلم بأنها فيل!!

إسماعيل تامر

يا مسلمي العالم اتحدوا



جمال الدين الأفغاني — [illegible]

ابراهيم باشا — [illegible] على باشا

غير ساخط من ثروته بما اعتاده من عمار ونحلو ؟ [illegible] إلى صدره ، بقصد ما [illegible] من علوم وحفظه من معارف وإحاطته من الثقافات وسألوه عن ملابسه !! فأشار إلى جبته التي يلبسها .. وقال: كنت في أول الشهر احمل على جبة ثانية ثم طال عهدي بالملبس وادمنت [illegible] فاستثقلت حملها .. [illegible] على جسدي حتى يتمزق أو تتمزق ويصبح .. التغيير لا بد منه.

وفكر السلطان عبد الحميد في استرضائه وضمه إلى صفه فانعم عليه بملابس التشريفة المقصبة الذهبية والموشاة بما يخطف بريقه الابصار .. ورفضها صاحبنا وامتنع عن لبسها وقال: لا اريد ان اكون مثل البغل [illegible] !

ولما لم تنفع الحيلة - في ترويضه - حاولوا إغراءه بالزواج وشل حركته بحجة الاستقرار .. ولا عليك فستوفر لك مسكنا وتجرى عليك راتبا أنت ومن تعول .. ولكنه - فهم اللعبة .. ورفض الزوجة والمسكن والراتب.

حتى خلافة حينما عرضوا عليه مبلغا من المال يستعين به على أحوال الغربة ومرارة النفى .. رفض هبة الصحب .. لأن الليث لا يغدر فريسته أيما ذهب .. !

لا عقار ولا نضار ..
لا ثياب ولا منقولات ..
لا زوجة ولا ولد ..

لا ... لكل ما يوحى بالدعة ويغرى بالاستقرار ويحرض على إيثار السلامة .. وهكذا كان ينزع النار كلما سار .. ويستنهض الثورة حيثما حل هذا الشيخ.

● جمال الدين الأفغاني !

حياته كانت دائرة ثلاثية الحلقات (نفي - اعتقال - غربة) .. ليس فقط منذ نزوح الثورة وادمن النفى وعشق الغربة .. بل وحتى وهو طفل [illegible] .. كابول .. ومن سيرة منسوبة الناس إلى التيمية .. اسمه [illegible] .. فالوثيقا حاكم البلاد بالتواجد في (كابول) المكان تحت تسمع وتبصر أجهزة الأمن المركزية في العاصمة .. كان عمر جمال في ذلك الحين ثماني سنوات .. وتدور الأيام ويصدر القرار بنفيه جمال الدين الأفغاني إلى مصر

.. لماذا ؟

يقول القرار عنه: انه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش .. هدفها افساد الدين والدنيا .. !!

تحتفظ التاريخ للعالم الإسلامى .. العز بن عبد السلام .. وقفته الشهيرة التى الهبت حماسا في أهل مصر وفرسانها من المماليك فقاتلوا في سبيل الله صفا كأنهم بنيان مرصوص .. ونجح المسلمون لأول مرة في صد طوفان .. التتر .. بعد ان ظلوا يعيثون فسادا في الأرض .. وهو فساد بلغ ذروته في [illegible] .. بغداد .. [illegible] الثقافة .. [illegible] السلطان [illegible] والتكتم في [illegible] والمتوحش [illegible] والنهج .. [illegible] الاحتجاج [illegible] والفاني [illegible] الوعاء [illegible] [illegible] .. [illegible] .. قلب الإسلام لا يموت.

ويحفظ التاريخ ايضا موقف الوقفة الجليلة من عالم جليل .. [illegible] .. من السلطة ..

وعندما تطير الغرب ضد المسلم العالم الثالث .. حتى ظهر جمال الدين الأفغاني .. الثائر العظيم.

ويقول الناقد العالم ان الافغاني كان صاحب [illegible] في تجسيد الفكرة الثورية .. الثورة التي تقودها على مستوى العالم الإسلامي [illegible] التي تعد العقيدة الاكثر رحابة والاوسع مدى .. وهو [illegible] حيث يكون الاسلام يكون جمال الدين الأفغاني وهو ترتيب الصف .. [illegible] الأمة [illegible] [illegible].

كل ما حول الافغاني كان يغرى بالاستسلام وإيثار السلامة ويوحي بالقعود عن واجبات الخرافة .. [illegible] .. [illegible] .. فقل لي تعال الافغاني [illegible] .. [illegible] .. [illegible] الاسلامية [illegible] .. [illegible] .. الافغاني [illegible] [illegible] [illegible].

وهكذا كان ما حول الافغاني يغرى بالاستسلام والسلامة ويوحي بالقعود عن واجبات الخرافات ولكن الافغاني تعامل مع ما يعتقده [illegible] المسلمين حسن ظن الجهاد .. وقال للحول المسلمين [illegible] بريطانيا العظمى .. لو كنتم ذبابا لصمم طنينكم الآن بريطانيا العظمى .. ولو

جحا خطيب البلد



[illegible]



مقامات عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور



قال عبد الشكور المشهور بمعرفة الأنام والدور:

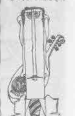
[illegible]



سليمان لم يكتب كثيراً، فقد حدثني في اليوم التالي وهو منشرح بشراً، وقال انه حجز التذاكر للسفر الى مصر!!

وعلى الفور اخذت طريقي الى بيت سليمان الموسيقي، فقد انطلقت اصابع [illegible] وربما ضحكت الامر [illegible] مع سليمان [illegible] لا توقعه في ورطة، بسبب عدم [illegible] مستحيل المستحيل، ام ان المخرج مريض [illegible] ام نقول له الحقيقة، ولعلها تكون [illegible] كل هذا [illegible] وجوالسه، دون ان نحصل على قرار في امر ذلك الجد او الهزل، وتعاقدنا على ان نلتزم السكون ونبكي ما يكون. وكان ما كان من عجيب مفاجآت الزمان، فسيارة سليمان دخلت في الاوتوبيس، واصبحت مرتبيس، اما هو فظل للمستشفى وقد كان [illegible] ولكن الله سلم وستر [illegible] مرحلة الخطر [illegible] اكثر من مرة [illegible] والمضحك انه سألنا عن المخرج [illegible] الدكتوراه!! [illegible] هوليود وان يعود [illegible] الاذاعة [illegible] الصناعية [illegible] وعمواته اصحاب العقول!! ولم يفهم سليمان المقصود، وراح يبحث عن [illegible] المفقود وهو يقصد هوليود!

ومازال سليمان حتى الآن يجمع في بيته الاصدقاء والخلان.





النائم الصاحي

قال مثقفون ان الذئب اذا نام اغلق عينا وفتح اخرى [illegible] وخوفه ان [illegible]

وفي هذا يقول الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي

باخرى المنايا فهو يقظان هاجع

والقائل هو: حميد بن ثور، كما ورد في صفحة ١٠٢ من ديوانه المطبوع .. ونحن نميل كلام : حميد، على انه من قبيل التشبيه [illegible] كأنه ينام باحدى مقلتيه [illegible] الجاحظ [illegible] بالحرف الواحد، والشاعر [illegible] على [illegible] لا على التحقيق.

واذا حدثت معجزة وخرج حميد من قبره البعيد وزار حديقة الحيوان [illegible] الذئب ينام مثل بقية خلق الله [illegible]

كل عصر مواصفاته الخاصة في موضوع الجمال الانثوي .. اجدادنا القدامى كانوا يرغبون في [illegible] ويؤثرون [illegible] (المثقلة الجسم) .. واستطرفوا من المثقلة [illegible] فقالوا ([illegible]) .. فان كان [illegible] من النحافة فلا بأس .. شريطة ان [illegible] الصف الاعلى [illegible] الادنى وكما يقولون [illegible] اعلاه قضيب واسفله كثيب .. ولهذا النوع غنى اسحق الموصلي

هيفاء كالبدر [illegible] ..

ومدرن [illegible] كوسادة الزجاج ..

وكما اسرفوا في حجم [illegible] تطرفوا في امتداح السمينات يقول [illegible]:

من راى مثل [illegible] تمشي [illegible] البدر اذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل ارادفها غدا

يستغرق دخولها يومين .. اليوم الاول لنصفها العلوي والثاني للمؤخرة [illegible] .. لكل عصر مواصفات وذوقيات [illegible] ولكن [illegible]



حل مسابقة من . أين . ما

تكملة ١٤

من : السندباد البحري
أين : البلدان
متى : الصقر

١) غير صحيحة لأنه الدليل الأدب من الماء الملكي المكون من حامض الإيدروكلوريك والنتريك .
٢) السكيتلور
٣) سيشل
٤) أحمد رامي
٥) ٣٠٣
٦) فالتيل القرطاجي
٧) عمران
٨) السقلي
٩) الرحمة
١٠) ١٩٤٧

من . أين . ما

من :
مؤرخ مسلم عاش أول اتصال بين قطر عربي عريق والحضارة الغربية المعاصرة كان فكها عذب الأسلوب اسمه من سبعة أحرف :
٣ ـ ٥ ـ ٤ : داء يصيب الجلد
١ ـ ٢ ـ ٦ ـ ٧ : اسم موصول

أين :
بلاد شاسعة مليئة بالأعاجيب حكمها المسلمون قرونا ثم دالت دولتهم بفعل الغزو الأوربي الذي انتهى بتقسيمها الثلاث اسمها من خمسة أحرف :
٢ ـ ٤ : حرف نفي ناصب
٥ ـ ١ ـ ٣ ـ ٥ : اسم انثى

ما :
سائل أسود كريه الرائحة يقع وراء المشاكل السياسية المعقدة لايزال أهله لا يحسنون التصرف به لصالح مستقبلهم . اسمه من خمسة أحرف .
٤ ـ ٣ ـ ٤ : زاحف صحراوى سريع
٢ ـ ١ : اقلع عن ذنوبك .

الجواب الصحيح

١) يصنع الحبر الأسود من ثلاث من المواد التالية ، ماهي ؟
السناج ـ النشا ـ الماء ـ الفحم الحجري ـ الصمغ العربي ـ الفينول .

٢) أيهما حفرت قبل الأخرى ، قناة السويس أم قناة بنما ؟

٣) يقع مستوى قاع منخفض القطارة بالصحراء الغربية المصرية والذي حال دون الفرسال روميل وغزو مصر في الحرب العالمية الثانية ، تحت سطح البحر بمقدار :
٥٠ مترا ـ ١٣٤ مترا ـ ٢٧٫٥ مترا

٤) رتب المدن العربية الآتية من الأقدم إلى الأحدث :
القاهرة ـ الدوحة ـ بغداد ـ دمشق ـ القدس .

٥) صاحب كتاب الموطأ في الفقه هو :
الإمام مالك ـ الشيخ حسن البنا ـ أبو الحسن الندوى

٦) الحيوان المسمى خيار البحر من مجموعة الحيوانات :
الجلد شوكية ـ القشرية ـ الاسفنجية .

٧) وادي لاهوى الليث يستحدث الطوان أهل البيت وأسمه الى قائله

٨) يلد الثعبان صغاره تحت مخرج الخروج شتاء .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟

٩) يستخرج (الزبد) من :
غدة حيوان ـ برعم زهرة ـ جذر القصب ـ ورق الحرمل .

١٠) يتركز أتباع مذهب الإباضية في :
الباكستان ـ عمان ومسقط ـ جزيرة سومطرة .

نتيجة مسابقة شهر مارس ١٩٨٠

● فاز بالجائزة الأولى ومقدارها ٣٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور القارىء عوض علي المرزوقي ـ السعودية .

● فاز بالجائزة الثانية ومقدارها ٢٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور القارىء أمين علي نعمان ـ الجمهورية العربية اليمنية .

● فاز بالجائزة الثالثة ومقدارها ١٠٠ ريال قطري واشتراك لمدة ستة شهور القارىء إسماعيل الشافعي ـ تونس ـ
الفائزون بالاشتراك مجانى لمدة سنة

١ـ نوال يوسف العبد الله ـ البحرين
٢ـ ناصر شريف بن عبد العظيم ـ سوريا
٣ـ نعيمة أبو زيد حسن ـ ج . م . ع
٤ـ أحمد فخري عبد السلام ـ الأردن
٥ـ عبد الرحمن عبد السلام عثمان ـ السودان
٦ـ خلود علي الجابر ـ قطر
٧ـ سليم عبد المجيد سلامة ـ ج . م . ع
٨ـ يسري الراهيم ـ السودان
٩ـ منى قصوق خميس ـ قطر
١٠ـ علي مسلم الهمامي ـ السعودية
١١ـ عبد الملك الصحياني ـ الجمهورية العربية اليمنية .
١٢ـ نهية عبد الجليل عماشة ـ مصر

حاول أن تعرف



مدينة عربية

مدينة في المغرب العربي .. خاض شعبها معركة طويلة من أجل التحرير .. وتظهر بعض النساء ... في الثلاثة من ... النساء .. هل يمكنك التعرف على المدينة؟



هذا الفنان العالمي

هذه اللوحة لفنان عالمي أرسى دعائم الحركة التكعيبية ورغم تحولاته العديدة فقد ظل يحترم جوهر القانون الطبيعي في صوره هل يمكنك التعرف على الفنان؟





وتعليق

ضع التعليق المناسب واربح ١٠٠ ريال

حل حاول أن تعرف

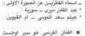


● الروائي الفرنسي الشهير هو ألكسندر ديماس (الاب) .

ـ اسماء الفائزين عن الصورة الاولى :
* عبد القادر ميري ـ سورية
* هيثم سعد الفومي ـ ام القيوين

● الفنان الفرنسي هو بيير اوجست رينوار .

ـ اسماء الفائزين عن الصورة الثانية :
* محمد رضا محمود ـ منيا القمح ـ مصر
* فوزية محمد بنداري ـ مصر



حل مسابقة كاريكاتير وتعليق العدد (٥٦)



عندما يتحول الإنسان إلى حشرة!!



فرانز كافكا

عبد القادر حميدة